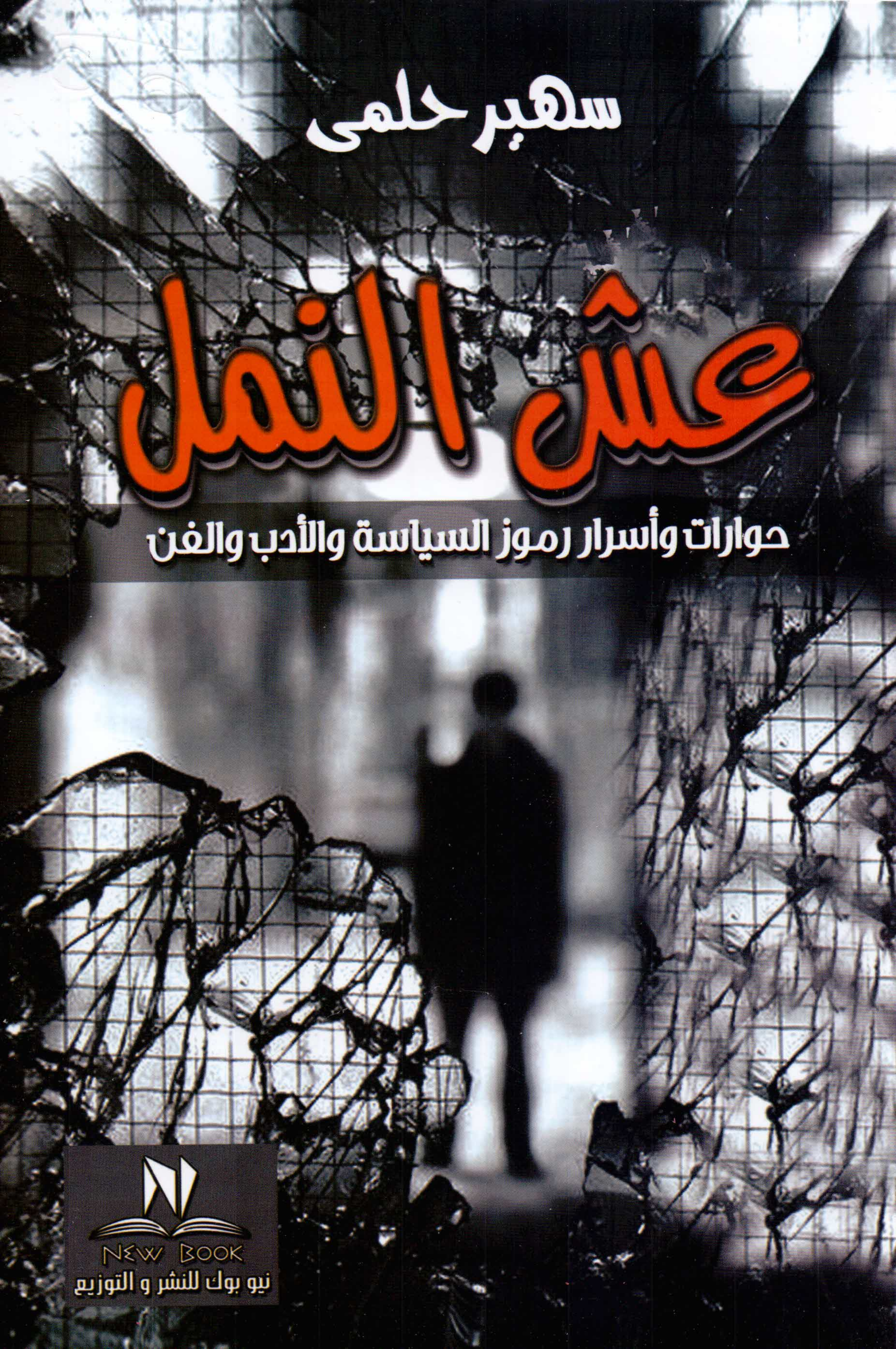
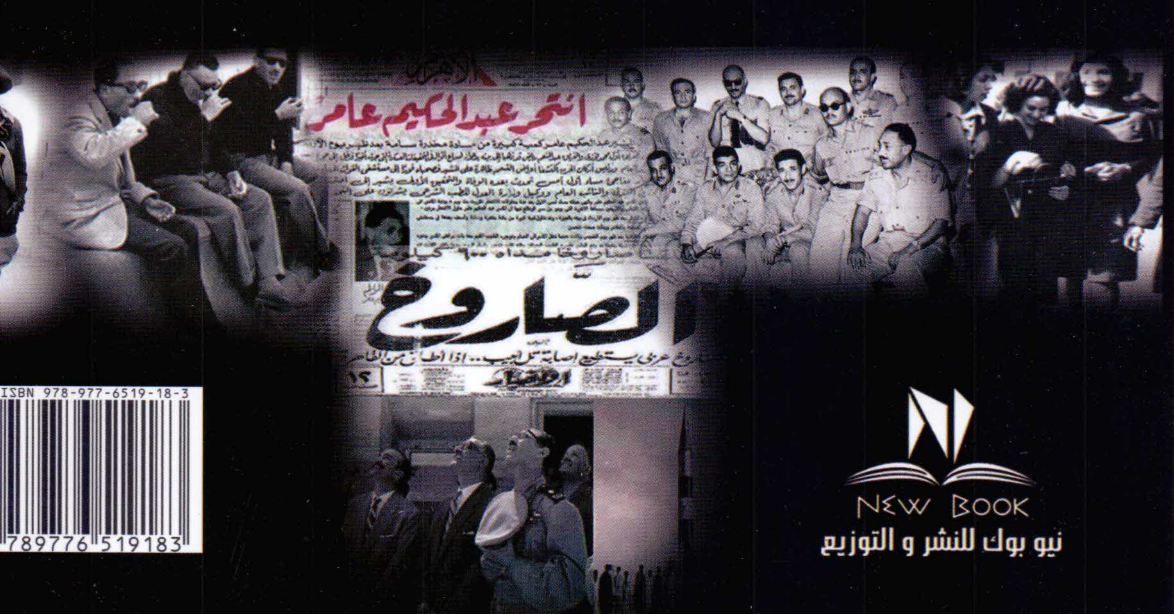

سهير حلمى
عش النمل
حوارات وأسرار رموز السياسة والأدب والفن
NEW BOOK
نيو بوك للنشر و التوزيع



من سراديب عش النمل

- محاولات إصلاح النظام كانت تعنى إسقاطه لذلك لم تتم.
- هذا هو سر تعيين الشيوعيين فى أجهزة الإعلام !
- هذه الثورة ليست لها قاعدة شعبية أومن يؤيدها لا من الشعب ولا الجيش
- عيسى الدباغ هو الأقرب لشخصية محمود مرسى.
- سر اختفاء حريق القاهرة من الوثائق الأمريكية.
- السادات كان يعتقد أننى المسئول عن مظاهرات ٧٧.
- ليلة القبض على المشيرعامر.
- ٦٠٪ ممن ينتخبون الرئيس القادم متوسطو الذكاء.
- متابعة الأطفال وهم فى بطون أمهاتهم هو سبب شهرة سكوتلانديارد.
- لماذا أبلغ عبد الحليم حافظ رؤساء التحرير بموعده مع صلاح نصر.
- نسبة التضخم بعد النكسة لم تتجاوز ٥٪
- خالد الاسلامبولى كان يشكو قبل اغتياله للسادات بأسبوع واحد أنه اشترك فى العرض لمدة ثلاث سنوات !
- الكلب هو المواطن المثالى لذلك جعلته بطلاً فى روايتى.
- رفض قرار التقسيم أكبر غلطة ارتكبها العرب.
- تشويه صورة الملك أمر طبيعى فالثورة لم تقم ضد ناس أفاضل.
- قلت لعبد الناصر : لو كنت مكان المشير لاعتقلتك.
- السادات كان قارئاً نهماً وما قيل عنه ليس صحيحاً.



ISBN 978-977-6519-18-3
9789776519183
NEW BOOK
نيو بوك للنشر و التوزيع

عش النمل

حوارات وأسرار رموز السياسة والأدب والفن

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية

حلمي، سهير
عش النمل: حوارات وأسرار رموز السياسة والأدب والفن/ سهير حلمي. - القاهرة:
نيو بوك للنشر والتوزيع/ ط ١ / القاهرة: ٢٠١٧م.
٢٩٣ص؛ ١٧×٢٤سم
تدمـــــك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٥١٩-١٨-٣
رقم الإيداع: ٢٠١٦/٩٧٩٠
١ - الحوار الأدبي
أ- العنوان ٨٠٨،٠٢٦

دار النشـــر:	نيو بوك للنشر والتوزيع
عنـــوان الكتـاب:	عش النمل: حوارات وأسرار رموز السياسة والأدب والفن
الكـاتبـة:	سهير حلمي
رقـم الطبعـة:	الأولى
تـاريـخ الطبـع:	٢٠١٧



نيو بوك
٦ عمارات الدفاع الوطني - حدائق القبة - القاهرة
ت: ٠١٠٩٢٦٧٣٢٧٤
newbooknb@gmail.com

عش النمل

حوارات وأسرار رموز السياسة والأدب والفن

سهير حلمي



نيو بوك للنشر و التوزيع

2017



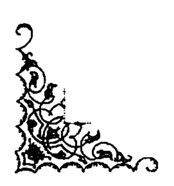
إهداء

إلى أمي ..

التي علمتني فضل القراءة وغرسـت في وجداني فضيلة السعي إلى المعرفة بدأب وصبر ..

امتنانا وحبا

سهير حلمى



الفهرس

م	الموضوع	صفحة
	مقدمة	9
	الفصل الأول: دنيا السياسة «تاج الشوك»	13
1	د. عبد العزيز حجازي	15
2	جيهان السادات	25
3	جمال حماد	41
4	صلاح دسوقي	63
5	أحمد حمروش	73
6	أمين هويدي	89
7	د. مصطفى طلبة	97
8	منصور حسن	111
9	منير شاش	121
	الفصل الثاني: نجوم الشعر والأدب والفن	131
10	فاروق شوشة	133
11	خيري شلبي	141
12	محفوظ عبد الرحمن	151
	الفصل الثالث: محترفون في كل الفنون	161
13	لويس جريس	163
14	سميحة أيوب	173
15	صافي ناز كاظم	185

16 وجدي الحكيم 195
الفصل الرابع: رواق الفلسفة والعلم 205
17 د. مراد وهبة 207
18 د. أحمد عكاشة 217
19 د. إمام عبد الفتاح إمام 225
20 د. إبراهيم بدران 233
الفصل الخامس: ظلال الحكايات 243
21 د. الصاوي حبيب 245
22 جمال الشرقاوي 255
23 د. رفعت السعيد 265
24 د. عبد المنعم جنيد 275
25 د. هنري عوض 285
التعرف بالمؤلفة/ سهير حلمي 293

المقدمة

رؤي انكشـفت ووجـوه عايشـت، وأحـداث انقضـت وأرواح غادرت، وشجون دفنت وخبرات تراكمت من نفوس غنية يجري لسانها بالحكمة.. وخلاصـة تجارب تبلـورت وأعادها الحكي من سـباتها .. تموت الحكاية إذا رويت بطريقة واحدة كما قال الحكماء.. فالحكي المتنوع ينعشها ويكشف شـيئا من أسرارها وظلالها .. وبما أن البرق لا يضرب نفس المكان مرتين ..

كان لابد أن أباغتهم بالسؤال، الذي يتسرب في ثنايا الحوار بصورة طبيعية أثناء الحديث.. هذه كوكبة رفيعة اندمجت في الحكي عن مدارج الصبي والشباب وأصداء العمر .. والانعطاف الذي أحدثه كل منهم في مجاله .. وقانونه الخاص الذي يحدد انفعالاته .. هم الكبار، فيهم من خصال الأطفال نقائهم وتفاؤلهم.

شرفـت بمقابلـة هذه القمم، التـي تضمها دفتا هذا الكتاب في حـوارات نشرت في جريدة الأهرام - باستثناء حوار أمين هويدي - نشر في مجلة الشباب .. وكم استمتعت بجمال أرواحهم وعذوبة لسـانهم وبلاغة أحاديثهم وعمق إحساسهم وبراعة اجتهادهم.. الحوار مع المبدعين والرواد وشهود العيان يشبه المشي فوق الزجاج المكسور .. متعة المغامرة لا يعادلها إلا صعوبة الطريق واكتشاف الثغرات، التي تنفذ بها للب الجوهر وأسرار الذات لدي كل منهم.

قد ينفجر الماء أمامك من تشـققات الصخور، ويجود محاوري الكريم بالأسـباب الحرجة التـي غيرت مجري حيـاة البشر ونتج عنها ركـود الفكر .. وقد يتداخل الحـكي والسرد وتتعدد الأصـوات في الحوار ويكون أشـبه بالروايـات الحديثة، التي تخضع لنفـس التكنيك وينطلق الراوي بالسرد، وينفلت كنز دفين مما كان يسميه ابن الرومي «الهنات العظام» فيجود محدثي بنمنمات عن أسباب اغتيال فكرة ما أو وأد مشروع معين.. أو مصرع تجربة .. ويتناسل الحكي ويصبـح كالمغناطيس يجذب أفكارا وكلمات جديدة لم يفصح عنها أو قيلت بصورة مختلفة .. وينطلق شذي عطر لم يختبر من قبل.. ويبدو الحكي مجردا من كل غاية لقارئ لم يوجد بعد ..

وتشتعل ورقتي البيضاء بالحكي الطازج عن الجمر، الذي أشعل الفؤاد في لحظات جموح الموهبة وحماسها.. ويسيل الوجدان بآيات الوفاء والولاء والامتنان لبشر خاضوا معهم في لجة بعض الصراعات بكل شرف و إباء.

استشعرت من خلال أحاديثهم أن المسافة الزمنية بينهم وبين الأحداث والأشخاص تحافظ دوما علي درجة ناضجة من الوعي والحس النقدي .. يوجد بالكتاب اعترافات علي سبيل المثال لا الحصر مثل استخدام أسلوب الـ99% في الانتخابات .. وحكايات عن زلزال الهزيمة وسقوط الحلم وتحطم الآلهة.. ومراجعة حيثيات استكانت تاريخيا .. من فرط استقرارها وثباتها ... وتحضرني مقولة الأديب الشهير في هذا الصدد .. ادجار الآن بو: « كثيرا ما يكون الشيء غير واضح من كثرة ظهوره وعرضه للعيان» فلا يجتهد الناس في إعادة تفسيره .. وفي رحلة بحثي عن منابع أصواتهم في الأدب والسياسة والعلم والفن، استطعت الوصول إلي قاع وجدانهم وفك الأغصان المتشابكة لكي يخرج الضياء وشعاع الغواية الأولي، التي أسرتهم في صومعة الفكر والإبداع.. بعضهم كان لديه ألف شك تبحث عن ألف دليل.

والبعض الآخر انتقد عقلية الحاخامات التي أقرت مبدأ المعارضة والانتقاد من داخل عباءة السلطة .. ومعظمهم روي من الحكايات ما يؤكد أن اكتشاف الموهبة كان أهم من اكتشاف بئر بترول .. حوارات «عش النمل» حكي من داخل النفس وهي تنظر للداخل تتأمله ولا تطلب الإعجاب ... بل منتهي أمل هؤلاء الكبار أن يصدقهم الناس مهما اختلفت الوجدانات.. معاناة الحاضر تستر الكثير من عيوب الماضي .. تكتشف ذلك إذا كنت موضوعيا، مهما حنت (الذاكرة) إلي الماضي .. فهي تتناسي سيئاته وترتبط بمحاسنه وربما تختلقها .. الأمر يتوقف علي مقدار شجاعة كل منا في مواجهة الذات.

تعلمت من حواراتي مع الأفذاذ والرواد .. وأن هناك مساحة من الذاكرة صنعها النسيان.. ولابد من استجلابها بحيل عديدة.. يري الفيلسوف «هيجل» أن التاريخ ماهو إلا تاريخ الأفكار وصراع التأويلات .. فالواقع لا يتغير إلا إذا تغيرت الأفكار.. وفي الكتاب سرد لخزائن نفوس غنية لا أثر فيها للأثرة ولا غراما بالشهرة .. فالشيء الذي يستحق السرد كان يخرج كالبرق حتي لو كانت أسرارا شخصية تروي لأول مرة.. بهذا المعني يعد «عش النمل» مرجعا للتأسيس الفكري والثقافي لبعض الرواد وكيف كانت مصر «وحدة قياس»

للريادة في عالمنا العربي .. تحدثوا عن أهازيج الفرح وتباريح العذاب .. وسوء تقديرات طهاة تركوا الطعام يسخن حتي الغليان... ومهرة كانوا يسبحون في المقدسات دون أن تبتل لحاهم.. وآخرين يفعلون ما يريدون ولتضج قريش ضجيجها .. وأن الأمل في هذه الحياة لا يزرعه إلا الفن والأدب.

لم يكن أفضل من «عش النمل» عنوانا ليعكس روح هذا الكتاب وغزارة سرده، وهيمنة شخصياته علي مجالاتهم بدأب ونظام ومكابدة وكدح في عقد لم تنفرط حباته أبدا.. هو النمل بقـرون استشـعاره وعملـه في صمت وحكمة .. وشـجاعته التي غيرت مسـار جيش سـليمان «ادخلوا مسا كنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون».

هـو النمل بعزمه الذي لا يسـتطيع أن يثنيه أي كائن عنـه .. حياته هي عمله إلي الأزل .. مملكة بلا قائد ولا عريف ولا ديكتاتور متسلط كما جاء في سفر الأمثال .. الكل يتبع غريزته - وكل نملـة تـترك أثرا ورائحة للنملة التي تليها - لكل مسـتعمرة كلمة سرها.. حياة تبعث علي الأمل .. جهنم بالنسبة لهم .. مكان لا رجاء فيه .. لا يعرف اليأس طريقا إلي قلب هذا الكائن الصغـير .. في اللحظات الفارقة يرفع قوائمه النحيلة ويلهج بالدعاء لكشـف الضر عنه.. أينما يكون النمل يكون الرجاء وجنة النعيم.

وتـبرز غـرزة عش النمـل كوحـدة زخرفية تليـق بثيابهم تتوافـق وتليـق بتفاصيل السرد وسـمو ومكانة هؤلاء الأفاضل .. تلك «الغرزة» التي لم يكتشـفها الملك في قصة كريسـتيان هاندرسـن.. حـين أقنعه أحـد الخياطين الدجالين بقـماش فاخر أنيق لا يرتديـه إلا الملوك ولا يشـاهده إلا الأذكياء .. فاستشـار الملك وزراءه .. فاضلوه وادعـوا الرؤية لكي لا ينتفي عنهم الذكاء، وكذلك فعل الملك وخرج عاريا في الاحتفال المهيب مقتنعا بأنه يرتدي أفخم الثياب .. واتبعه الغاوون والمنافقون .. وفجأة صرخ طفل صغير «الملك عار» فضجت الساحة بالحقيقة التـي يكون هؤلاء الرواد الكبار أول من ينطق بها .. أصحاب الرؤي والبصيرة الذين يوقظون الجماهير العريضة دوما من سباتها، ويقرعون الطبول لتنبيه العقول.

سهير حلمي

يوليو 2016

بيان

من اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصري.

اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها

وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب.

أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم في الوقت المناسب. في ظل الدستور

وإني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن مجردا من أية غاية.

وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس في صالح مصر.

وإن أي عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال. وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس وإني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولي التوفيق

لواء أ.ح.

٢٣/٧/٥٢

بيان ثورة يوليو بخط يد اللواء / جمال حماد

الفصل الأول

دنيا السياسة «تاج الشوك»

- د. عبد العزيز حجازي
- جيهان السادات
- جمال حماد
- صلاح دسوقي
- أحمد حمروش
- أمين هويدي
- د. مصطفى طلبة
- منصور حسن
- منير شاش

عبد الحكيم عامر وعبد الناصر والسادات وشاي العصاري



السادات والملك فيصل و د .عبد العزيز حجازي

1- د. عبد العزيز حجازي

لست مسئولا عن انفتاح «السداح مداح»

جمعيات حقوق الإنسان تريد الإفلات من القانون والاستقواء بالخارج



من الصعب أن يتخطي رجل الاقتصاد عتبة الواقع. فهي فضاؤه الذي يتردد فيه صدي سياسته التي تنعكس على الناس وأحوالهم ومعيشتهم سلبا أو إيجابا. ولا نبالغ إذا وصفنا الحالة الاقتصادية بأنها رمانة الميزان التي تضبط إيقاع المجتمع بأكمله. لذلك كان اختلاف الاقتصاديين رحمة لأنه يجنبنا شراك المضي في سياسات لا يظهر خطؤها إلا بوضعها على محك الممارسة بين الناس. من بين أكثر الأسماء شهرة واحتراما وعلما ونزاهة في المجال السياسي والمالي والاقتصادي يبرز اسم الدكتور عبد العزيز حجازي رئيس الوزراء الأسبق ورئيس الاتحاد العام للجمعيات الأهلية ليمثل حالة خاصة من الموضوعية التي تؤمن بأن السياسات الاقتصادية ليست نبتا شيطانيا تخضع للهوي الشخصي لمن يتولي دفة الأمر. ولكنها تفرض نفسها في كثير من الأحيان نتيجة للظروف الخارجية، فالتحول من التمصير إلى التأميم إلى الاشتراكية ثم الانفتاح وآليات السوق الحر يعد تمردا.. ولكنها أولويات كل مرحلة بأعبائها واحتياجاتها.. ونبدأ الحوار مع د. عبد العزيز حجازي رئيس الوزراء الأسبق ورئيس الاتحاد العام للجمعيات الأهلية.

أنت من مواليد محافظة الشرقية. فكيف جمعت بين المتناقضين. كرم الشراقوة المعهود. والبخل الذي يتصف به وزراء المالية عادة ويكون من أهم مقومات نجاحهم؟

يبتسم د. عبد العزيز حجازي قائلًا: أنا ولدت بكفر عوض الله حجازي بالشرقية لكنني

لم أعش في البلد إلا فترة قصيرة. ثم انتقلت إلى الإسكندرية وقضيت بها المرحلة الابتدائية والثانوية وكنت متفوقًا في الرياضيات وأنوي الالتحاق بكلية العلوم لأصبح مدرسًا. فقابلني بالمصادفة أحد الأصدقاء ولامني على هذا الاختيار الذي اخترته أسوة بوالدي وأعمامي وكلهم معلمون وأقنعني بالالتحاق معه بكلية التجارة جامعة فؤاد الأول. كنت أنتمي للطبقة المتوسطة وكان يتحتم على والدي العمل المستمر لكي يلبي طلبات أبنائه الأربعة. ففي الوقت الذي كانت فيه مصاريف كلية التجارة 28 جنيهًا في العام كان خريج التجارة لا يتجاوز راتبه 6 جنيهات شهريًا. لذلك حزن والدي بعض الشيء حين قمت بهذه الخطوة. لكني أتوقف أمام كفاحه من أجل إتمام تعليمنا وتقديرنا لذلك. الأمر الذي انعكس على أسلوب تربيتنا لأولادنا أيضًا. فتعبنا من أجلهم كما فعلوا معنا.. كانت كلية التجارة آنذاك أشبه بالمدرسة. فالدفعة كانت (60 طالبًا) فقط عام 1940. لذلك كان الاحتكاك والحوار بين الأستاذ والطالب ولك أن تقارني هذا العدد بخريجي دفعة 2009حيث بلغ عدد الطلاب (102ألف طالب) في تجارة القاهرة. لذلك سعدت بقرار هاني هلال وزير التعليم العالي، بإلغاء الانتساب فالتعليم يجب أن يتم عن بعد مثل كل دول العالم عن طريق الجامعات المفتوحة، وذلك يعني العودة إلى التعليم النظامي والأعداد المحدودة. وعود إلى بدء لنشأتي فلم تكن مترفة وحصلت على بكالوريوس التجارة عام 1944 بتفوق.

تدرجت في مناصبك الوظيفية ولم تكن منخرطًا في العمل السياسي بصفة رسمية. فكيف استفدت من التجربة فيما بعد حين آلت إليك الوزارة؟

في البداية عقب تخرجي عرض عليَّ العمل مباشرة ضمن خبراء وزارة العدل، لكنني رفضت واخترت العمل بمصلحة الضرائب وبدأت حياتي العملية عام 1944مأمورًا للضرائب في منطقة الدرب الأحمر. كانت سني صغيرة ولا أملك خبرة سابقة وأتعامل مع تجار مانيفاتورة محترفين معظمهم من اليهود.ينحصر نشاطهم في المنسوجات والسجاد. مكثت في هذه الوظيفة تسعة أشهر، ومن الطريف أنهم حين كانوا يعلمون بقدومي يقومون بإخفاء نصف بضائعهم من الأقمشة، ولكن كانت لي طرق بديلة لمعرفة دخولهم. فكنت أسأل عن عدد أولادهم ومحل الإقامة وأجري معهم حوارات غير مباشرة أستشف منها الحقائق ولم يكن هناك حصر من الممولين. لذلك حين أصبحت وزيرًا للمالية كان من أول القرارات التي اتخذتها إصدار

البطاقات الضريبية التي نعمل بها إلى الآن واعتز بأنني أرسيت قرار الخصم من المنبع بنسبة 15 % للمهنيين لأن هذا الإجراء كان يسهل على الممول فلا يفاجأ في نهاية العام بعبء الضريبة لكن تم تخفيض النسبة الآن إلى 5 %. وقمت بعمل مأموريات متخصصة للفندقة وللغزل والنسيج وللمهن الحرة لمعرفة حجم النشاط ونسبة الأرباح التي يحققها كل قطاع ويتم محاسبة الممول طبقًا لهذه النسبة، لكن تم إلغاؤها أيضًا وعادوا للمأموريات الجغرافية الآن. فالتدرج الوظيفي والانخراط في وظائف متعددة يتيح للإنسان اكتساب الخبرات ومعرفة الخبايا التي يترتب عليها عظائم فيما بعد خاصة في الاقتصاد فهو علم حي يمس مصالح الناس، فنحن لن نأكل أو نشرب من السياسة والشعارات، فالدول تتقدم بالإنتاج وتعظيم الناتج القومي.

ولكن من الثابت أن الشكوى دائمة في كل العهود من قبل المواطنين، فأين يكمن الخطأ؟

هذا صحيح، ولكن توجد إنجازات كبيرة على مر العهود السابقة والحالية وإذا كنا قد حققنا معدلات نمو بلغت 5,4 أو ما يقاربها فالعبرة والمعضلة أيضًا في معدل النمو هي شعور المواطن بهذا الرقم وانعكاسه على حياته فعليًا. لذلك أنا من معارضي تحديد الحد الأدنى للأجور لأن الذي يهمني هو دخل المواطن الذي يوفر له عيشة كريمة. إضافة إلى عدم تحديد المسميات بصورة دقيقة بين معظمنا. فالفقير مثلًا من وجهة نظري هو من لا يكفي دخله نفقات معيشته وبالتالي فهو يحتاج للدعم. أما المسكين فهو المعدم الذي ليس له دخل من الأساس ويستحق الزكاة.

حصلت على الدكتوراه من جامعة برمنجهام البريطانية عام 1951 وعملت عضوا بهيئة التدريس بكلية التجارة. فكيف تعرفت بالرئيس جمال عبد الناصر وأصبحت وزيرا للخزانة؟

كان أول لقاء بيننا في جامعة القاهرة حيث كنت أنادي على الطلبة المتفوقين في عيد العلم لمصافحة عبد الناصر وسمعني وأنا أقول لكل منهم أسرع! فابتسم قائلًا: على مهلك يا دكتور! وفي عام 1956 كان بصدد تأسيس هيئة السنوات الخمس للتصنيع والتي عهد بها إلى عزيز صدقي وزير الصناعة وبحرفيته السياسية وذكائه طلب من دكتور مصطفي خليل ترشيح أحد الأشخاص وضمه إلى هذه الهيئة لكيلا ينفرد عزيز صدقي وشلته التي كانت معه في أمريكا

بالقـرار في الهيئة على حد تعبير دكتور/ مصطفي خليـل نقلًا عن عبد الناصر. كانت تربطني بمصطفـي خليـل صلة عمل. فكنت مستشـارًا لوزارته في قطاع النقـل والمواصلات، وكنت لا أزال أسـتاذًا مسـاعدًا بالجامعة، فوافق عبد الناصر لأنه كان مهتمًا للغايـة بتدعيم أول برنامج تصنيـع في مصر وأصبحت عضوًا بمجلـس الإدارة واختار عبد الناصر، أمين حلمي كامل وهو مـن الضباط الأحرار ليكون عضوًا معي من خارج شـلة عزيز صدقـي، وقدمت هذه الهيئة دراسـات قيمة جدًا وكانت بمثابة بيت خبرة متكاملا ولعبت دورًا أساسـيًا في كل المشروعات العملاقة، مثل الحديد والصلب والغزل والنسيج. وكنت أنا وصديقي الدكتور/ حسن شريف أول اثنين يحصلان على الدكتوراه في المحاسبة في مصر، وكانت سمعتنا طيبة وعملنا في وزارات عديـدة وفي المصانع الحربيـة، وفي عام 1968 تمـت تعييني وزيرًا للخزانـة في فترة من أصعب الفترات التي مرت بها مصر عقب النكسـة والسـنوات العجاف وشد الحزام وكانت تعليمات عبـد النـاصر واضحة تمامًا، فلا شيء يعلو على صوت المعركة ولا أنـسي كيف أبلغني أننا فقدنا ما يقرب من 90 % من أسـلحتنا وأن خسـائرنا العسكرية تقدر بعشرة مليارات من الجنيهات. كانت حرب الاسـتنزاف في أوجهـا، وفي عام 1970 كُلفت بتدبـير (100 مليون جنيه) خلال أربعين يومًا فقط لبناء حائط الصواريخ لتقوية دفاعاتنا الجوية التي انتهكتها إسرائيل بصورة صارخـة في مدرسـة بحر البقر والحمد للـه نجحت أنا والدكتورة/ عائشـة راتب في تهجير ما يقـرب من نصف مليون مواطنًا من منطقة القناة، اضطروا لـترك منازلهم وموارد رزقهم مقابل إعانات شـهرية ضئيلة لا تتجاوز عشرة جنيهات، واضطروا للسكن في الجوامع. لذلك كانت معركة أكتوبر معركة مصرية شـعبية تمامًا، وشـاركت أيضًا مع حلمي مراد في إعداد البرنامج التنفيـذي لبيان 30 مارس 1968الشـهير والخاص بإزالة كل آثار المعركـة و إعادة تنظيم الدولة ماليًا و إداريًا واقتصاديًا.

ما الذي يميز أسـلوب عبد الناصر عن السـادات من وجهـة نظرك، مع الأخذ في الاعتبار أنك تعاملت معهما في أحرج الفترات؟

توليـت الوزارة عام 1968، و يقال إن عبد الناصر مـات معنويًا عام 1967. رحمه الله كان إنسـانًا متواضعًا، حاد الذكاء، لم يكن دكتاتورًا كما يردد البعض. ولكن قوة شـخصيته توحي بذلـك الانطباع، أعطاني ثقته كاملة وكان لي الحق في مناقشـة كل وزير في خطته واعتماداته

المالية وقمت خلال هذه الفترة بفرض ضريبة الجهاد وجمعنا منها أكثر مما كنا نتوقع، وأهم ما يميز فترة عملي مع عبد الناصر هي مراعاة الأولويات وكانت على التوالي: الإعداد للمعركة، وضغط الإنفاق العام والتنمية ومراعاة الطبقات الفقيرة. كان بطبعه يحصل على المعلومة من أكثر من مصدر، أذكر أنه سأل في أحد الاجتماعات الوزارية على زين العابدين وزير المواصلات آنذاك عن حال الأتوبيسات. فأجاب أنها في أحسن حال، فأخرج أمامه مجموعة من الصور وكان قد كلف الأستاذ حسنين هيكل بالبحث في الموضوع وإعداد هذه الصور، وكانت حالتها سيئة ومكتظة، فقال بلهجة غاضبة: أنا لست جالسًا في بيتي، ولكنني أنزل الشوارع وأعلم كل شيء وأعتقد لو أمد الله في عمره كان سيقوم بدراسة وتعديل التجربة الاشتراكية لأنه طلب مني فعليًا الاطلاع على بعض الدراسات في الخارج الخاصة بذلك، فمصلحة مصر كانت شاغله الأول والأخير ولم يكن يزايد أو يكابر في هذا الشأن. أما الرئيس السادات فلم يكن يحب الدخول في التفاصيل الصغيرة وهو سياسي بارع.

عملت مع السادات في فترة حرجة حيث تم فيها تحويل الدفة من النظام الاشتراكي إلى الانفتاح وعهد إليك بتنفيذ هذه المهمة الثقيلة. فكيف استطعت تغيير الهوية الاقتصادية في تلك الفترة الوجيزة؟

عملت مع عبد الناصر سنتين ومع السادات خمس سنوات، وكنت حريصًا خلالها على ترتيب أوراقي جيدًا لكي لا يتدخل البنك الدولي إلا في أضيق الحدود ولم يحدث في عهدي كلا الرئيسين أي تقصير في سداد أي قرض، وقبل حرب أكتوبر كانت كل الديون مدفوعة ولم يكن هناك إلا الدين العسكري للإتحاد السوفيتي، علمًا بأن نسبة التضخم في تلك السنوات الصعبة لم تتجاوز 5 %، وفي عهد الرئيس السادات قمت بتحويل وزارة الخزانة إلى وزارة المالية. أي أضفت إلى جمع الأموال والضرائب والجمارك قطاع الموازنة وحسابات الحكومة. ومبدئيا من يملك الميزانية لابد أن يكون مستمعًا جيدًا ومن الصعب أن يكون كريمًا مبذرًا لأنني كنت حريصًا على ألا تفلت المعايير خاصة أنني درست جيدًا اقتصاد الحرب في إنجلترا وقبل حرب 1973 سافرت إلى أوروبا وأمريكا ولكن أمريكا لم تنه تحفظاتها معنا إلا في أكتوبر 1974، وقد لا يعلم الكثيرون أن الانفتاح كان خيارًا مطروحًا فرضته الظروف الخارجية والسياسة العالمية التي تدير النظام الاقتصادي. كانت هناك دراسات في عهد وزارة محمود فوزي واستكملتاها

في عهد وزارة عزيز صدقي، وكنت عضوًا في اللجنة التي تشكلت لدراسة سياسة الانفتاح وكانت مكونة من دكتور/ عبد المنعم القيسوني ونظمي عبد الحميد ودكتور/ إسماعيل صبري عبد الله وكان يساريًا لكنه كان مقتنعًا بالظروف المستجدة التي تتطلب التغيير والطبيعة الديناميكية للاقتصاد، لكن عزيز صدقي كان مخلصًا تمامًا للاشتراكية فتعثرت الدراسة وتم إنجازها في عهدي حين توليت رئاسة الوزراء عام 1974.

الانفتاح التصقت به جميع السلبيات والعبارة الشهيرة لأحمد بهاء الدين: «السداح مداح» وصمت الفترة كلها على إطلاقها بذلك. ألا تشعر بالظلم؟

الانفتاح الذي شاركت في إرسائه كان قانونًا وليس سياسة، وكان ضرورة فرضتها علينا الظروف. ففي عام 1972 سافرت إلى موسكو فرفضوا إمدادنا بقطع غيار الطائرات وبعد حرب أكتوبر ارتفعت الفوائض المالية في منطقة الخليج نتيجة لارتفاع أسعار البترول، فكان لابد من تعبئة مدخرات المصريين بالخارج واستثمار الأموال العربية التي كنا سببًا في زيادتها ونقل التكنولوجيا الغربية إلى مصر حيث أنهكت مصانع القطاع العام خلال سنوات الإعداد للمعركة والسبب الأكبر كان يتمثل في أن معظم صادراتنا كانت تتوجه للكتلة الشرقية مقابل التسليح العسكري وقطع الغيار في حين أننا كنا نستورد معظم احتياجاتنا من أوروبا ونحتاج لتدبير العملة الصعبة، إضافة إلى إعادة المياه إلى مجاريها بين أمريكا وروسيا فلم نكن نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي في عالم متغير. مع الأخذ في الاعتبار أنني كنت مسئولًا عن وضع قانون للاستثمار العربي والأجنبي، هو قانون 174 لسنة 1974، ولست مسئولًا عن التجاوز في الممارسات والذي بدأ بالارتفاع في السلع الاستهلاكية وإن كانت تلك طبيعة الانفتاح في كل الدول حتى الاتحاد السوفيتي ذاته. فقد بدأ الانفتاح لديهم بالكوكاكولا أيضًا، ثم تبدأ الأمور في الاتزان تدريجيًا وعبارة أحمد بهاء الدين لا تجسد حقيقة الانفتاح بأكمله لأنه لم يكن كذلك على الأقل في بدايته. كان هناك تقصير في إصدار قرارات مواكبة في مجال النقد وسعر الصرف والائتمان وإهمالًا واضحًا لدراسات الجدوى التي كنا نوليها اهتمامنا. فتصاعدت الديون تدريجيًا نتيجة للانفلات في قطاع التجارة وحين جاء مبارك للحكم كانت أرقام الديون مرهقة للغاية، لكنه واجه هذا التحدي بنجاح، ولم أستمر في رئاسة الوزارة سوى سبعة أشهر تقريبًا ثم قدمت استقالتي عام 1975 وتولي ممدوح سالم منصبي. فالمسرنية تبدأ من عهده.

لماذا لم تمكث في الوزارة سوى سبعة أشهر بالرغم من أنك كنت أهلًا للمنصب باقتدار؟

أحيانًا لا يكفي هذا في عالم السياسة، فأنا فوجئت بمظاهرات ضدي تجوب الشوارع تهتف: حجازي بيه يا حجازي بيه كيلو اللحمة بقي بجنيه وحكم النازي ولا حكم حجازي، وكان الهدف من وراء تلك الحملة أن أرضخ لسلطات رئيس مجلس الشعب سيد مرعي الذي كان يطالب ببعض الطلبات للعمال والتي من شأنها أن تضع عبئًا على الخزينة وتضر المصلحة العامة واعترضت وأبلغت الرئيس السادات أنني لا يمكن أن استمر في منصبي وسلطتي غير كاملة ووزير الداخلية في وزارتي يتآمر عليَّ طمعًا في الوزارة.

من هو؟

ممدوح سالم الذي تولى رئاسة الوزراء من بعدي وقبل الرئيس السادات الاستقالة وتلقيت خطاب شكر منه.

ولكنك قمت في عهد الرئيس السادات بإعادة العلاقات بين مصر وإيران ومهام حيوية أخرى ألم تشفع لك؟

يبتسم د. حجازي ويقول بنبرة أسي: لقد خدمنا بلدنا وبذلنا أقصي ما نستطيع، ودائمًا أقول أننا خدمنا مصر أكثر من د. أحمد زويل، فقد عهد إليَّ السادات بإنشاء بنك ناصر الاجتماعي عام 1971 عندما كنت وزيرًا للمالية وأخبرني أنه عاني كثيرًا أثناء فترة طرده من الجيش وتنقله في مهن عديدة. ففكرة التكافل الاجتماعي كانت تشغله، وأعطاني مليون جنيه من حساب التبرعات الذي يخص الرئيس عبد الناصر وكان يبلغ ثلاثة ملايين جنيه، وبالرغم من صغر المبلغ إلا أنني قمت بتدبير التمويل اللازم كما قمت بالسفر إلى الخليج وحصلت على مليار دولار استثمارات، وكانت تربطني علاقة طيبة بالقائم بالأعمال الإيراني في القاهرة، فعرض عليَّ زيارة إيران رسميًا تمهيدًا لعودة العلاقات، فعرضت الأمر على السادات فوافق ومن الطريف أنه سألني كيف سأسافر؟ فأجبت: على طائرة مصر للطيران! فقال: هل ستقابل الإمبراطور بطائرة مصر للطيران يا عبد العزيز! خذ طائرتي الخاصة وسافرت بصحبة عثمان أحمد عثمان وكمال أبو المجد وطاهر أمين، وكلفني بالتوجه أولًا إلى السعودية لمقابلة الملك فيصل وعرض

الأمر عليه نظرًا للحساسية بين السعودية و إيران آنذاك. كان فيصل رحمه الله له مواقف مشرفة مع مصر ويحظي باحترام السادات وهو شخصية فريدة، دمث الخلق، قليل الكلام، تحدثت أمامه في الموضوع فهز رأسه وقال كلمات مقتضبة ولم تكن موافقة صريحة، فسألت الأمير فهد بن عبد العزيز. فأجاب: مادام صمت إذن فهو موافق. وذهبت لمقابلة فيصل مرة أخرى بصحبة أشرف مروان وكان صديقًا لكمال أدهم صهر الملك فيصل ومديرًا للمخابرات وحصلنا على تمويل لخط أنابيب البترول وأسسنا شركة استثمارية في الرياض، وقد زار فيصل مصر بعد حرب 1973 وأخبر السادات أنه سيتولى جمع التمويل اللازم لدعم مصر من دول الخليج ولن يكلفنا عبء تلك المهمة الثقيلة، وتم تأسيس صندوق لهذا الغرض بالفعل وآل الأمر لأمير الكويت في هذا الصدد. ثم سافرت إلى إيران وكانت الأحوال بدأت تسوء في البازار وفي الشارع والجامعة، وقلت للشاه أننا حصلنا من الخليج على مليار دولار ووقعت معه بروتوكول تعاون بـ 800 مليون دولار، وحصلنا على قرض وصفقة تقدر بألف أتوبيس نقل عام والتي اتهمت فيها بالرشوة وأنصفني القضاء وأسست بنك مصر إيران وبعض المشروعات الصغيرة. ومنذ أربع سنوات ذهبت مع زوجتي رحمها الله إلى إيران وتوجهت إلى القصر الإمبراطوري ووجدت أن المجوهرات كلها معروضة ولم تمس، وفي النهاية يكفيني فخرًا أنني وفقت في تمويل معركة أكتوبر وتجهيزها دون الإفلاس، لكن الروس ظلوا يشعرون بالغصة كلما ذكر السادات، ومنذ فترة قريبة دعاني السفير الروسي بالقاهرة لمناقشة كتاب سفير روسي سابق عنوانه «سفير في بلد الأهرامات» وقال هذا الكاتب المزعوم أن السادات كان خائنًا فرددت عليه أنه خائن بالنسبة لكم لأنه طردكم من مصر، لكننا لا نقوله عليه ذلك أبدا، وقد انتصرنا معه في حرب أكتوبر.

أنت من أنصار الاقتصاد الإسلامي وإلغاء الدعم، ومن مؤيدي الطريق الثالث الذي يجمع مزايا الرأسمالية الوطنية لا الغربية والاشتراكية التي تنحصر في مسئولية الدولة إداريا وتنظيميا فقط. فهل تتفضل بالتوضيح كيف يمكن الجمع بين هذه الاتجاهات المختلفة؟

قمت بدراسة الاقتصاد الإسلامي، وأعكف الآن على توثيق التجربة الإسلامية التي تقوم على الإعمار والعدل الاجتماعي و إعلاء الحرية الفردية والمنافسة لا الاحتكار وتحريك المال

العـام لا اكتنـازه، وحين يقل معـدل الفائدة وتصبح صفـرًا فإن الاسـتثمار يتصاعد كما يقول الاقتصادي الشـهير «كينز»، ومعظم خبراتي اكتسـبتها من قراءاتي إضافة إلى أن المعاملات لا علاقة لها بالعبادات، والاقتصاد الغربي حاليًا يحذو حذونا ويسـتفيد من وسـطية الإسـلام وتم إنشـاء فرع لسيتي بنك على المنهج الإسـلامي في البحرين، ويوجد في إنجلترا جامعات تدرس الاقتصاد الإسـلامي. أما الدعم فقد درسـته جيدًا في المجتمع الأمريـكي وهو مجتمع الرفاه كما نقول، ووجدت أن هناك ترشيدًا ولا يمنح الدعم إلا لمستحقيه، ويوجد لديهم كوبونات تسمي دولار غـذاء يحصـل بها المحتاج على مـا يريد من بعـض المطاعم، فإذا كان دخلـه مثلًا «مائة دولار» ويحتـاج إلى ثلاثمائـة دولار فيتم دعمـه بمائتي دولار، لكننا في بلادنـا ونحن دولة نامية ندعم الغني والفقير على السواء. فأنا مع الدعم النقدي ضمانًا لوصوله لمستحقيه.

تعرضت في الآونة الأخيرة لهجوم شـديد بصفتك رئيساً للاتحاد العام للجمعيات الأهلية. فما سبب الهجوم؟

الجمعيات الأهلية وصل عددها إلى ما يقرب من «30ألف» جمعية لابد من حصرها ومعرفة مـدى مسـاهمتها في الناتج القومي. لذلك يجب أن تخضع لـلإشراف والتنظيم والرقابة ولا تترك سداح مداح كما يريد البعض، فنحن مجتمع له طبيعة خاصة تفرضها الظروف الأمنية، والقلة القليلة هي الملتزمة وتشعر بواجبها إزاء الطبقات الفقيرة والألف قرية المعدمة. توجد محاولات جادة لمحاربة الفقر سـنجمعها كلها في منظومة واحدة ونقوم الآن بحصر العشوائيات، ولكن جمعيات حقوق الإنسـان بصفة خاصة تحاول الإفلات من قبضة القانون والاسـتقواء بالخارج وتأسيس شركات مدنية بدلًا من الجمعيات الأهلية، لكنني أقف لهم بالمرصاد خاصة أن بعضهم حصـل في السـنوات القريبة الماضيـة على ما يقرب من مليار جنيه في صـورة دعم من الخارج. والكثـير منها يكتفـي بالوجاهة الاجتماعية ونـشر الصور في الجرائد والصحـف. ففي الفترة القادمة سنقوم بتصنيف الجمعيات نوعيًا لأننا يجب أن نعمل بصورة جدية في العمل الأهلي شأن العالم من حولنا.

□□□

2- جيهان السادات

عدم ظهور تحية عبد الناصر كان سبباً في مهاجمتي

السادات لم يمنع أغاني عبد الحليم حافظ



هـي سيدة دانـت لهـا الشـهرة والمجـد والأصداء العالميـة صاحبة وجـه وواجهة جميلة تجسـد قوي مـصر الناعمة في أبهي صورها. يصعب الإفلات من أسر شخصيتها الساحرة ومودتها وربما تستشعر أنك اقتحمت عالمها بكل سـهولة ولكنها بسـاطة البحر



المؤلفة مع السيدة / جيهان السادات

في وداعتـه حين تسـكن أمواجه تمتلك مقدرة خاصـة على تحلية حديثها فبداخلها شـاعرة والشـعراء أمراء الـكلام هي في ميت أبوالكـوم أم جمال وفي منزل أسرتهـا كانت تناديها والدتها الانجليزية جين وفي أمريكا «مسـز سـادات» جمعها بالسـادات مأدبة الحب بكل مـا تحفـل به من توافق روحي بينهما تجلي في المثل الشـعبي القائل ما جمـع إلا ما وفق فالميل للمغامـرات ونزعة التحدي واقتحام أفاق جديدة هي الميراث المشـترك الذي تقاسـمته مع السـادات.. أسئلة عديدة تعصف بالذهن والمرء بصحبتها. فحديثها يشعل فتيل الذكريات التي تتداعى تلقائيًا بعيدًا عن الإعداد المسـبق للحوار.. آثرت أن يكون الصدق هو غايتها في حوارهـا معنا حيث تبلـورت خلاصة تجربتها الفريدة كسـيدة أولى في مرحلة من أهم مراحل تاريخنا.. فالابتعاد عن المناصب ليس مرضًا عضالًا والهبوط من قمة جبل الأوليمب الرفيعة أمر يمكن تجاوزه واحتماله بل والاسـتمتاع به، فحين يسترد الإنسان حياته الخاصة من براثن القيود والرسـميات والأضواء لابد أن يحتفي بها.. فهي الآن تحفل بموسـيقى الحياة الصاخبـة.. تتردد على الأسـواق.. وتحـدق في القمر مليًا ويسـتوقفها في فضـول فني ألوان الكناريا واسـتكانة بحيرة صافية في الريف الأمريكي تجسدها في لوحة فنية، ارتبط اسمها تاريخيًا بالسـادات.. سـجلت جيهان السـادات تجربتها كشـاهدة عيان عـن زوجها الذي عبر حياتها كالشـهاب ثم اختفى من سـمائها وعزاؤها أنه كان من جلائل الأمور وعظائم الأعمال التي يزداد الوعي بقيمتها كلما مر الزمن.

والدتك انجليزية لذلك تفتح وعيك على ثقافة مزدوجة.. فما الذي تستحضرينه من ذكريات.. فمرحلة الطفولة تحمل شفرة المستقبل في معظم الأحيان؟

جدي كان طبيبا وأرسـل والدي إلى إنجلترا لدراسـة الطب أيضا في جامعة شـفيلد.. وفي عام 1923 تعرف بوالدتي (جلاديس) حيث كانت تعمل مدرسـة للموسـيقي وارتبطا معا بقصة حب عميقة. وأرسـل لجدي يطلب موافقته على الزواج.. فرفض في البداية بشـدة ولكن جدتي اسـتطاعت إقناعه بأن الرفض ربما تسـبب في بقائه بإنجلترا وسـتجتذبه هي للمكوث في بلدها والأفضل أن يأتي ابنهما صفوت بعروسه إلى مصر لتعيش بينهم ووافق جدي على وجهة نظرها وأرسـل إليه تكاليف الزواج وشبكة العروس ومصاريف شـهر العسل.. والدتي كانت جميلة جدا وحين كانت تأتي لزيارتي في المدرسـة وتشاهدها زميلاتي كن يسألن: لماذا أنا لست جميلة

مثلها؟.. كانت سيدة قوية الشخصية.. هادئة ومتعصبة في نفس الوقت شأن بقية الإنجليز لبلدها.. فقد ضحت وتركت أسرتها وأصدقاءها وارتبطت بوالدي وأحبته حبا جما.. لكنها كانت تحتفظ بعاداتها في الطعام.. فلم تتذوق أبدا طعامنا كالملوخية والبامية والحمام والكباب وجميع الأصناف الشرقية.. فكانت تفطر على سبيل المثال سمك في بعض الأحيان وبعض الأكلات الثقيلة.. وتفضل الخضار المسلوق على الغذاء فالمطبخ الإنجليزي ليس شهيا مثل مطبخنا.. لذلك كان لدينا طباخ يقوم بإعداد الأكلات المصرية لنا..وكثيرا ما كانت تتحدث بفخر و إعتزاز عن الظروف الصعبة التي خاضتها أثناء الحرب العالمية الأولى وهي طفلة صغيرة حيث كانت تصرف لهم بيضة واحدة في الأسبوع ولم يكن هناك سكر لذلك كان انتصار الحلفاء موضع افتخارها وتشرشل هو مثلها الأعلى.. لم تكن مسلمة بالطبع.. لكنها أحبت الإسلام وقرأت القرآن مترجما وكانت تصوم معنا في شهر رمضان كمشاركة وجدانية وتشجيعا لنا.. و إذا تعثرنا ونحن أطفال تتركنا لنقوم وحدنا دون مساعدة لنعتمد على أنفسنا..

كانت سيدة بيتوتية تعتني بزوجها وأولادها وترعاهم رعاية كاملة تشجعني على القراءة.. فمنذ العاشرة من عمري كنت أدخر مصروفي وأذهب إلى المكتبة في منزلنا بحي الروضة الذي ولدت به.. لاختار واشتري الكتب التي تروق لي في هذه السن الصغيرة.. وكان صاحب المكتبة يبتسم ويقول ما كل هذه الكتب؟.. النقود التي معك لا تكفي إلا لكتابين بعد قراءتهما.. أعيديهم مرة ثانية وسأمنحك كتبا غيرهم.. وهكذا ساهمت القراءة في توسيع مداركي في تلك السن الصغيرة وصقل شخصيتي.. كنت استشعر أنني مؤهلة لأكون زعيمة لأطفال العائلة بالرغم من أنني أصغرهم سنا وأتحدث مع عمتي زوزو وكانت بمثابة أمي المصرية في هذا الشأن.. ومن المؤكد أنني استشعرت الثقة والاعتماد على النفس في تلك السن المبكرة.

جيهان السادات فى ريعان الشباب ما الذي دفعك لدراسة اللغة العربية في كلية الآداب.. فقسم اللغة الإنجليزية كان أقرب إلى تكوينك ونشأتك؟

هذا هو التحدي فحين استكملت دراستي بعد الزواج وأخبرت أنور السادات بأنني أرغب في الالتحاق بقسم اللغة العربية فأنا عاشقة لقراءة الأدب.. حاول إقناعي بأفضلية وسهولة الالتحاق بقسم التاريخ أو الجغرافيا أو اللغة الإنجليزية وكان مشفقا علي.. لأنه يعلم صعوبته.. لكنني كنت محبة للغة العربية.. أقرأ المنفلوطي وغيره وأتذوق الأسلوب الجميل..

وفي البداية كنت أخشي من النحو فاستعنت بالدكتور (السيوري) من كلية الآداب لإعطائي دروسا في النحو والصرف وأصبحت أهلا لهذا التخصص وأحببت النحو وتغلبت على مصاعبه وحصلت على الليسانس ثم الماجستير والدكتوراه فيما بعد وكان موضوع الماجستير عن أثر الشاعر الإنجليزي شيلي في الشعر المصري وعلي الشعراء المصريين.. فشيلي كتب عن مصر والأهرامات وكان من ضمن كوكبة من الشعراء أثرت على العالم منذ أكثر من مائة عام مثل كولريدج وكيتس وفيرن ولكن شيلي يمتاز شعره بالرقة والعذوبة جذبتني أشعاره.. وقمت بعمل دراسة في الأدب المقارن وربما كنت أول طالبة من قسم اللغة العربية تقوم بعمل دراسة مقارنة بالإنجليزية ففي قسم اللغة الإنجليزية كان هناك دراسات مقارنة عديدة.

قيل أنك حصلت على تسهيلات يسرت لك الحصول على الليسانس والماجستير لأنك كنت زوجة الرئيس؟

لقد تفوقت على زملائي لأنني كنت أكبرهم سنا وأكثرهم نضجا وتحصيلا.. ولم يتدخل أحد في رسالة الماجستير التي كانت تشرف عليها آنذاك الدكتورة سهير القلماوي ود. مجدي وهبة.. والعكس هو الصحيح لقد عذبتني د. سهير فكنت أقوم مثلا بإعداد ما يقرب من ثلاثمائة صفحة فتقوم باستبعاد(250) صفحة منهم لكنها أفادتني كثيرا.. لأنها جعلتني أتعمق في كل المواد.. فالأدب المقارن شغلانة كبيرة يتطلب التصدي لها الإلمام بالتاريخ القديم والحضارة وعلوم أخرى عديدة وكنت صادقة مع نفسي أريد الحصول على درجة علمية نتيجة لتحصيل معارفها وليس للتباهي.

يقال أن الرئيس السادات لم يكن يقرأ التقارير والمراسلات وليس لديه صبر على القراءة.. ما تعليقك؟

غير صحيح على الإطلاق.. السادات كان يقرأ بغزارة منذ شبابه.. وكانت الكتب من أهم محاور أحاديثنا المتبادلة فكان يسألني عما قرأته وأقصه عليه ويفعل معي بالمثل وينصحني بقراءة بعض الكتب.. خاصة حين انتقلنا إلى رفح بعد زواجنا وبعد الثورة حيث كان السادات يعود في الثانية صباحا ومكثت عدة سنوات بدون أطفال فكانت القراءة هي كل حياتي.. وفي معظم البلدان التي كنا نزورها نحرص على اقتناء الكتب لنا وأولادنا.

هذه هي دراستك ومؤهلاتك فما الذي تقومين بتدريسه للطلاب في الجامعات الأمريكية منذ ما يقرب من خمسة وعشرين عاما فقد قيل أيضا أن الطريق أمامك كان ممهدا بفضل اسم السادات وهو يعني الكثير بالنسبة لهم؟

أجابت بصورة قاطعة، مستحيل في المجال الأكاديمي في أمريكا أن يكون هناك اعتبار للمجاملات.. فالمجتمع رأسمالي بحت لكل إنسان قيمته العلمية والأكاديمية ومكانته الصحيحة التي يستحقها والتي يتحدد على أساسها أيضا راتبه ودخله.. فهل يعقل أن يجاملوا اسم السادات لمدة ثلاثين عاما.. فحين قررت السفر إلى أمريكا كان من المفترض أن أذهب لتدريس اللغة العربية في الجامعة الأمريكية بواشنطن لمدة عام واحد فقط ولكني فوجئت بهم يطلبون مني شيئا مختلفا وتم تكليفي بالترتيب لعمل ندوات موسعة لكل زوجات الرؤساء الأمريكيين السابقين وبعض الشخصيات العامة.. لأنهم كانوا يعرفون صلتي بهم التي تصل إلى حد الصداقة مع بعضهن.. ورغبة من الجامعة في نقل تلك التجارب الإنسانية والسياسية الثرية للطلاب والأساتذة.. وبالفعل نجحت في دعوة روزالين كارتر وبيتي فورد وبربارا بوش ونانسي ريجان وحرم مارتن لوثر كينج وغيرهن كثيرات.. ونجحت التجربة جدًّا حتى إن الجامعة لم تجد قاعة تتسع للأعداد الغفيرة من الحضور وأخذنا قاعة في الكنيسة المجاورة للجامعة واستعنا بالشاشات ونقلت وسائل الإعلام هذه المحاضرات التي كنت أقدم فيها المتحدث أو المتحدثة وأعطي نبذة عنه ثم نفتح الحوار للمناقشة.. وفوجئت بالعروض تنهال على من الجامعات الأمريكية في شتي الولايات.. وتطورت الأمور مؤخرا حتى عرض على أن أكون رئيسة لإحدي الجامعات الأمريكية ولكني رفضت لأنني مرتبطة جدا بعائلتي وأولادي وأحفادي.. وهذا المنصب يعني بقائي في أمريكا معظم شهور السنة.. وأنا حريصة على تنويع المحاضرة وجعلها شيقة فالطالب الأمريكي لا يرحم لأنه قارئ جيد جدا والمعلومات تسبح حوله في كل مكان.. إضافة إلى أن أفكاره كبيرة ومتجددة ولابد أن أكون على نفس المستوي والقيمة للرد على كل استفساراته.. بالرغم من أنهم غير راضيين عن المستوي التعليمي لديهم ويشعرون أنه تدني مقارنة بطموحاتهم العلمية!! وأنا مستقرة الآن في جامعة ميرلاند لكنني أعطي محاضرات في مختلف الجامعات.. تعرف بالمحاضرات الجوالة يقوم بها أيضا معظم الرؤساء السابقين حيث يجوبون معظم الولايات يمنحون تجاربهم للطلاب.

كنت تكتبين الشعر تحت اسم مستعار.. لماذا؟

لأنـني كنت زوجة الرئيس وكنت محبة للشـعر منذ طفولتي فاقـترح على الصديق العزيز الشاعر الكبير فاروق جويدة الكتابة باسم مستعار رحاب رؤوف وكان يساعدني في نشر تلك الأشعار بالأهرام ولا أدري من أفشي هذا السر هو أم أحد غيره..

صلة الرئيس السادات بيوسف رشاد وزوجته ناهد رشاد توطدت دعائمها لأنه كان عضوا بالحرس الحديدي؟

السـادات لم يكـن عضوا بالحـرس الحديدي ولم يخـبرني بذلك أبـدا.. الضابط مصطفي كمال صدقي هو الذي كان في الحرس الحديدي.. علاقة السادات بيوسف رشاد تعود إلى بداية الأربعينيات حين كان السادات يعمل في سلاح الإشارة ولجأ إليه يوسف رشاد للاتصال بالقاهرة للاطمئنان على ابنه المريض.. وبعد الحادث الذي تعرض له الملك في القصاصين أصبح يوسـف رشـاد طبيب الملك الخاص ولم ينس صداقته بأنور ودخل السـادات السـجن لمدة ثلاثين شهرا في قضية اغتيال أمين عثمان وبعد زواجنا مباشرة_ عمل لفترة مع الطيار حسن عزت زوج ابنة عمتي في المقاولات لكنه لم يجد نفسه في هذه المهنة.. فلجأ ليوسف رشاد لكي يتوسط له لمقابلة حيدر باشـا وزير الحربية في محاولـة للعودة إلى الجيش لأنه كان ضابطـا صغيرا وهاربا وليس باسـتطاعته مقابلته دون هذه الوسـاطة.. وأذكر أنه استلف في هذا اليوم بدلة مصطفي مراد.. وتقابل بالفعل مع حيدر.. وانفعل عليه قائلا: لا أريد سياسة وشغب في الجيش.. فالجيش نظام وضبـط وربط وهكذا كانت عودته.. من فترة تقابلت مع ابنة حيدر باشـا بالمصادفة في أحد الأماكن العامة وشـكرتني نيابة عن والدتها لعودة المعاش لوالدتها فقلت لها كيف تشـكريني ووالدك له الفضل في عودة السادات إلى الجيش!!

ومـاذا عن قصة مقابلة السـادات للملـك عقب صلاة الجمعة في جامع الحسـين وتقبيله ليده وعودته للجيش كما ذكر أحد الكتاب الكبار؟

هذه قصة مختلقة تماما.. لم يشـاهد السـادات الملك وجها لوجه على الإطلاق.. لكنه كان يشاهده وهو طالب أثناء مروره للصلاة شأن بقية المواطنين.. أما ناهد رشاد فعلاقتنا بها كانت عادية.

قيل إن الرئيس السادات كان حريصا على عدم المساس بها في محاكمات الثورة ولم يضايقها أحد؟

طبعا.. لأن يوسف رشاد كان له فضل كبير على الثورة كلها!!

كيف؟

قبل الثورة بحوالي شهر أو عشرين يوما كنت بصحبة السادات في الإسكندرية ووقف بسيارته أمام نادي السيارات وأخبرني أنه سيتركني دقائق لمقابلة صديقه بالنادي.. ومكثت أراقب المارة وهم يتنزهون على الكورنيش.. ثم حضر السادات وبصحبته يوسف رشاد الذي دعاني على العشاء أنا والسادات وفوجئنا بأن الملك يجلس على المائدة المجاورة لنا كنت صغيرة في السن في السابعة عشر تقريبا وكنت أسمع عن الملك ومغامراته النسائية.. فخشيت على نفسي.. خاصة أنه استدعي يطلب يوسف رشاد وهو معنا وسأله عنا فقال له صديقي وزوجته وقمت على الفور بتغيير وضعي وأعطيته ظهري ولكن إحقاقا للحق لم يفعل أكثر من لعب الكوتشينة ولم يشرب على الإطلاق لكنه كان بدينا للغاية.. في تلك الليلة سأل يوسف رشاد السادات عن حركة الضباط بالجيش وحقيقة الأوضاع.. حيث كان الكلام يتناثر في صورة شائعات.. لكن السادات نفي وجود تنظيم للضباط نفيا قاطعا وبمعني أصح ضلل يوسف رشاد وأبعد الفكرة عن ذهنه تماما.. ويوسف بدوره نقل هذه الصورة للملك وبعد مرور فترة بسيطة قد لا تتجاوز عشرين يوما قامت الثورة.

كيف كان موقف السادات ورد فعله يوم تنحي عبد الناصر ويوم وفاته؟

عبد الناصر رحمه الله كان صاحب شخصية قوية يمتلك كاريزما خاصة.. ومهما اقترب الإنسان منه.. كان لابد أن تكون هناك مسافة فاصلة.. يوم التنحي كان السادات رئيسا لمجلس الأمة وحاول إقناع عبدالناصر بضرورة التمسك بمنصبه.. وكان قد عين زكريا محيي الدين بدلا منه.. وكادت الجماهير تضربه نتيجة لغضبهم كنا كالغرقي نشعر أن عبد الناصر ربان السفينة ولابد أن يصل بنا إلى بر الأمان ويخرجنا من تلك الدوامة السحيقة.. وهذا هو سر تمسك الناس بعبد الناصر رغم الهزيمة.. أما يوم وفاة عبد الناصر فقط سقط السادات مغشيا عليه ولم يمش في الجنازة طوال النهار.

السيدة الفاضلة سوزان مبارك أثنت على نشاطك وأعمالك التي قدمتيها للمرأة في عهد الرئيس السادات في أحد أحاديثها الصحفية وقد بدأ انخراطك في العمل العام بعد هزيمة 1967.. فما سبب الهجوم الذي أحاطك.. حتي قيل آنذاك أن جيهان السادات تحكم مصر؟!

لا يمكن تجاهل الظرف التاريخي والأحوال الاجتماعية والأعراف السائدة عند مناقشة البدايات في أي مجال بصفة عامة.. والظرف التاريخي الذي أحاط بنشاطي في العمل العام كان يسجل سكونا وهدوءا معهودا من قبل السيدة الفاضلة تحية عبد الناصر والتي لم يكن لها أي نشاط اجتماعي فكان الرئيس عبد الناصر وأولادها هم محور حياتها. وكانت لا تفضل الاختلاط فهي من أنصار المدرسة القديمة حتى أنها كانت تقول له «يا ريس» وهما وحدهما فكنت أزورها وحدي بدون السادات وفي المصيف بالإسكندرية كان رجال الثورة يسهرون مع بعضهم البعض في منزل عبد الناصر وكنا نسهر وحدنا بالمثل أنا وزوجات حسين الشافعي وزكريا محيي الدين.. وكان عبد الناصر يأتي يوميا بعد النكسة ويجد راحته في منزلنا القديم بالهرم وأفاجئ بالسادات يحدثني تليفونيا قائلا: جهزي عشاء خفيف علشان عبد الناصر سيحضر الليلة!!.. عبد الناصر كانت حياته كلها مصر وكفاحا من أجلها.. فيما يتعلق بالعمل العام.. فأنا بدأت شيئا صعبا في توقيت أصعب بعد الهزيمة شعرت أن لي رسالة ودورا في المجتمع الذي منحني الكثير ولابد من رد جميله وتلك قناعتي فالإنسان لابد أن تكون له رسالة في الحياة إلى أن يوافيه الأجل ويموت واقفا كالأشجار وهو يعمل.. وكان ظهوري المتكرر في وسائل الإعلام.. محل هجوم الجميع حتى المؤيدين للمرأة في المجتمع لم يستوعبوا الأمر وأصابتهم الدهشة والاستنكار.. لأنني قمت بعمل طفرة غير مسبوقة مقارنة بعدم ظهور السيدة تحية فقيل أنني أسعي للشهرة والظهور.. ونسب إلى قانون جيهان للأحوال الشخصية وأشياء أخرى عديدة.. وكلها باطلة.. وحقيقة الأمر أن زوجة أي رئيس إذا أرادت الظهور.. فالمناسبات الرسمية تكفل لها ذلك دون أدني مجهود أما السيدة سوزان مبارك فأنا فخورة بها للغاية لأنها أكملت ما قمت به وهي تؤدي رسالتها على أكمل وجه.. بصورة مشرفة للغاية.. أثبتت مع مرور الزمان أنني كنت أسير على الطريق الصحيح وهي من أكبر الداعمين وصاحبة الفضل في تأسيس متحف للسادات في مكتبة الإسكندرية.

أم كلثـوم كانت قوية الصوت والشـخصية في آن ووصـف صوتها بأنه له صفات الزعامة التي تستحوذ على الاهتمام. قيل أن سر الخلاف بينكما يعود إلى نفس المنبع وهو قوة شـخصيتك وسـعيك للزعامة الاجتماعية آنذاك.. هل تتفضلين بتوضيح سر الخلاف بينكما؟

بنـبرات تحمل عتابـا أجابت: كل مـا قيل في هذا الشـأن ليس صحيحا عـلى الإطلاق.. وأم كلثـوم لم تنعت السـادات «بأبـو الأنوار» ولم أغضب مـن ذلك كما قيـل.. وبالرغم من مضي السـنين فأنا لا أسـتطيع أن أخفي دهشـتي لقدرة البعض على الفبركة واختلاق الشـائعات.. فأنا أعلم أن هذه الشائعة تحديدا من (طبيخ) «سامي شرف» فهو الذي دبر هذا الأمر وأحكم تدبيره اسـتنادا لمكانة أم كلثوم الفنية وشـهرتها وجماهيريتها الطاغية.. حتى تكون الشـائعة مؤثرة.. وتنفذ إلى أغراضها وتسـتقر في جوف الزمن وهو ما حـدث بالفعل.. وحقيقة الأمر أن أم كلثوم كانـت صديقـة عزيزة.. اعتادت أن تزورني في بداية سـنوات زواجـي في منزلنا بالروضة حين كان السـادات رئيسـا للإذاعة وكنا نقطن بالدور الخامس ولم يكن بالعمارة مصعدا فكانت تأتي يومـا بعد يوم تقريبا.. تجلس معي ونتجاذب الحديث وكانت امرأة ذكية جدا.. فرضت موهبتها واحترامهـا لذاتها على الجميع.. امرأة عصامية ارتبطت بالنخبـة المثقفة وارتقت بثقافتها وكانت تمتلك من الحصافة وآداب السلوك ما يمنعها من رفع الكلفة بينها وبين الناس. كنت أحضر بعض حفلاتها الشـهرية وأحب كل أغانيها وكثيرا ما كنا نلتقي في مآدب جماعية في منزل سـيد مرعي بالهرم فأنا أحبها جدا.. وكنت من القلائل الذين يترددون عليها في مرضها الأخير قبل وفاتها.

ذكـرت حضرتك كلمة (طبيخ) هل يتم طبخ الشـائعات بالفعـل أم أنها تأتي أحيانا بصورة عشوائية أو نتيجة للتواتر والنميمة؟

الشـائعات يتم طبخها بالطبع، فصنع الشائعات دراسـة وعلم، فالشائعة في جميع الأحوال تحدث بلبلة وتوتر وتصيب الهدف في معظم الأحيان.

قيل أيضا إن القيادة الليبية وضعت صورة لسيادتك بالحجم الطبيعي وأنت ترقصين مع المطرب الأمريكي الشهير فرانك سيناترا وأنك تعرضت للهجوم الشخصي نتيجة لرفض البعض لسياسة السادات؟

أنا لم أرقص في حياتي مع سيناترا ولكني دعوته لزيارة مصر و إقامة حفلة غنائية لصالح جمعية

الوفاء والأمل ولم يكن هناك مجالا للرقص وفي اليوم التالي قام بزيارة أبنائنا في الوفاء والأمل وسعدوا بأغانيه كثيرا بالرغم من أنهم لم يفهموا كلماتها.. لكنه مطرب عظيم.. يمتلك حنجرة ذهبية وهو موهبة لا تعوض.. أما الصورة التي تتحدثين عنها فقد استقرت في مطار طرابلس وكنت أرقص فيها مع الرئيس كارتر.. فأثناء حضوري أنا والسادات لأحد المآدب الرسمية بالبيت الأبيض.. أعقب العشاء موسيقي ورقص غربي.. وأذكر أن المطربة الأمريكية السمراء «بيلي بيرل» جذبت السادات للرقص معها.. فابتسم وأخبرها أنه لا يعلم الرقص، فقالت له سوف أعلمك.. وفوجئت بالرئيس كارتر يصحبني بتلقائية ولم يستغرق الأمر ثواني «أخذني لفة صغيرة» ثم شعر بملامح الصد والرفض ترتسم على وجهي بدون حديث.. فبادر بالاعتذار إدراكا منه بأن الأمر يتنافى مع تقاليدنا وعاداتنا.. فبعض الدول العربية كانت لها مواقف مؤسفة مع مصر.. في حين أن السادات لم يبدأ بهجوم أي رئيس أو دولة عربية.. فلم يكن أبدا صاحب مبادرة في الهجوم.

هذا يأخذنا إلى المناخ العام الذي أحاط باتفاقية كامب ديفيد وعواصف الهجوم التي تعرض لها الرئيس السادات هل تعتقدين أن التاريخ ربما اتخذ مسارا آخر الآن لو أن السادات كان مدعوما من الأشقاء في البلاد العربية؟

بالتأكيد.. فالسادات تعرض لمصاعب عديدة وقد لا يعلم البعض وخاصة الشباب أنه عقب إعلانه عن اعتزامه زيارة إسرائيل توجه إلى سوريا وعرض على الرئيس حافظ الأسد الانضمام إلى جانبه من منطلق أننا حاربنا سويا.. ومن الأفضل أن نتفاوض سلميا سويا أيضا.. ولكن المفاجأة أن السادات وهو داخل القصر الرئاسي في زيارة رسمية فوجئ بأن رفعت الأسد أدخل طلبا على عجالة لشقيقه الرئيس السوري يطلب فيه اعتقال السادات لعزمه عقد اتفاق سلام مع إسرائيل.. فنهرهم حافظ الأسد وأمن خروج السادات سالما من دمشق.. ثم بدأت الشتائم تنهال على شخصه من الإذاعة السورية بمجرد ركوبه طائرته في طريق عودته لمصر.

يقال إننا نعيش الآن في بعض المناطق العربية نتيجة للممارسات الإسرائيلية أجواء» اللا حرب واللا سلم» عقب الغزو الإسرائيلي للجنوب اللبناني وغزة وانتهاكات الحرم الإبراهيمي.. وغيرها من مشاكل الاستيطان. فهل مازلت مؤمنة بإمكانية تحقيق السلام في تلك المنطقة الملتهبة بصفة مستمرة؟

حين جاء الرئيس الأمريكي أوباما إلى السلطة ناشد العرب والفلسطينيين مساعدته

لكي يتسنى له مساعدتهم وهو شخصية رائعة يمتلك طاقة هائلة على التغيير أوباما وزوجته ثنائي (يفرح) خصوصا أن جورج بوش الابن أتعبنا كثيرا في الشرق الأوسط.. لكن إسرائيل تستغل للأسف الشديد جميع الخلافات التي تصل إلى حد التحارب والعراك بين الكيان الفلسطيني ممثلا في فتح وحماس مع عدم وجود تجمع عربي إزاء سياسة عربية بعينها. فالانقسام هو آفتنا التي تضعف موقفنا وكل التحديات التي واجهها السادات لم تتقدم بالقضية الفلسطينية نحو الحل ولكنها عطلت المسيرة!!

ولكن يقال إن الرئيس السادات لو كان حيا لم يكن ليقبل التطبيع الكامل مع إسرائيل مقابل إيقاف الاستيطان وهذا ما كان يعيه جيدا فلم يكن هو ذاته من أنصار التطبيع الكامل بدون مقابل من منطلق أن صيغة السلام التي توصل لها كانت براجماتية تضع اعتبارا للمقابل والثمن والعائد في مقدمة الأولويات؟

مؤكد.. فقد حصلنا على أرضنا مقابل التطبيع مع إسرائيل.

ولكن قرار التطبيع في النهاية يظل قرارا شعبيا وليس سياسيا.. فالأغلبية تحجم عن التطبيع بكافة أشكاله نتيجة لممارستهم وانتهاكاتهم؟

موقف إسرائيل من الفلسطينيين سيئ جدا نتيجة للإبادة التي حدثت في غزة على سبيل المثال فلدينا تعاطف شديد ومشاركة وجدانية لإخواننا الفلسطينيين فلا يمكن أن نشاهد الفلسطيني وهو يضرب ويسجن ويشرد وندعو للتطبيع الكامل.. سيحدث هذا حين تتوصل إسرائيل لموقف يرضي عنه العرب جميعا فأنا أشجع التطبيع حين تعود الأراضي الفلسطينية والضفة الغربية وجميع الحقوق العربية.

ذكر الكاتب الكبير أنيس منصور أن الرئيس السادات كان يتصرف بحذر وحرص شديدين.. فما هي أبرز صفاته الإنسانية التي لا يستشعرها إلا المقربون؟

أنيس منصور صديق عزيز.. من محبي السادات وهو من الشخصيات القلائل التي اقتربت منه وفهمت مفاتيح شخصيته لذلك يستطيع أن يبرر الكثير من مواقفه.. ولكن على المستوى العائلي فالسادات كان يعطي انطباعا عاما بعدم الاكتراث أو الانشغال الظاهري.. فأحيانا كنا نتواجد سويا في أحد المناسبات أو عند بعض الأصدقاء وعقب عودتنا إلى المنزل أتهيأ لأخبره

بما كنت اعتقد أنه لم يشـاهده أو لم يحط به علما فيبتسـم ويقول: أعلم أعلم.. وأكتشف أنه شاهد ما حدث بتفاصيله ويكمل لي القصة وقد يعلل أسبابها!!

لكن توجد بعض الثغرات التي أحاطت بشـخصية السـادات ولم يفهمها البعض.. عفـوا لمـاذا كانت صورته عقب وفاة عبد الناصر أنه(غلبـان) أو بمعني آخر لا يصلح رئيسا للجمهورية؟

وهنا قاطعتني السيدة جيهان وأضافت بصورة فاجأتني قائلة: وأنه لا يقدم ولا يؤخر، وهل من المعقول أن يملأ الفراغ الذي تركه عبد الناصر؟ ولكنني أتحدث معك عقب مرور كل هذه السـنين بصدق ولا أتحرج في أن أخبرك أنني أيضا تشككت في قدراته آنذاك وحدثت نفسي بما تسـاءل به الناس، فأنا في النهاية مواطنة.. وبالرغم من أنني زوجته وأقرب الناس إليه وأعرف قدراته ومهاراته وبراعته السياسية إلا أن هذا ما حدث في البداية بالفعل!!

سألتها باندهاش: لماذا؟

لأن عبـد النـاصر كان زعيـما وطنيا قوميا اسـتحوذ على قلوب الجماهـير في مصر والعالم العربي. كنت صغيرة نسـبيا حين وصل إلى سـدة الحكم حيث تفتح وعينا واعتدنا على زعامته التي كنا نلتف حولها!!

هل يمكننا القول أن كاريزما عبد الناصر ظلمت السادات في البداية؟

ربما. هذا احتمال وارد إضافة إلى هدوء السادات غير المفهوم في بعض الأحيان كما أشرت سـلفا. فهـو يعطي انطباعا بأنه لم يسـتوعب. فوجهـه لا يظهر أي تعبـيرات، لكنه في حقيقة الأمر(لماح جدا) ولديه شـفافية.. والثقة والاعتزاز بالنفس والتواضع من أهم سـماته.. كان مثلا يجلس أحيانا فترات طويلة في الشـمس ولا يعبأ بكونه أسـمر وسيزداد سمرة، وأن زوجته بيضاء ولا يتواني في الذهاب لفرح ابنة السـائق الذي اختبأ عنده قبل الثورة. بالإضافة لما تقدم فهـو لم يكن متكالبـا على المناصب.. فحـين كنت أطالـع الصحف أثناء فـترة وضعي لابنتي الكبرى لبني فوجئت في الجرائد أنه أصبح وزيرا.. فعاتبته حين جاء لزيارتي وقلت له لماذا لم تخـبرني؟! أجاب: لأنني ببسـاطة لم أكن أعلم مثلي مثلك تماما.. فقـد كان رافضا لهذا المنصب ولكـن عبـد الناصر أصر على تعيينه، كان لديه اعتقـاد أن الوزير في نهاية الأمر موظف يتعين

عليه الذهاب يوميا إلى مكتبه.. فهو يكره الروتين نتيجة للفترة التي قضاها في السجن قبل الثورة.. لذلك كان يصعب تحديد إقامته.. وأسعد فترات حياته هي تلك التي قضاها رئيسا لمجلس إدارة جريدة الجمهورية وحين تولي رئاسة مجلس الشعب من1960 إلى 1968.

تتمتعين بسعة الأفق والجسارة على تقبل الجديد.. فلماذا غضبت من صور الفنان فاروق إبراهيم التي نشرها السادات في أخبار اليوم؟

لم أغضب من الفكرة في حد ذاتها. فقد أذن السادات لفاروق إبراهيم بمصاحبته حتى نزوله من المنزل لتسجيل يوم في حياته وهو يحلق ذقنه و يركب الدراجة حتى نزوله من المنزل.. ولكني استأت من ظهوره(بالملابس الداخلية) فرئيس الدولة له احترامه ويجب أن يظهر بصورة لائقة ولم يقم هو بالطبع باختيار هذه الصور.. يظهر بالمايوه ممكن.. على البلاج جائز.. لكن ما نشر كان يحمل بعض المبالغة وعدم التوفيق!!

هذا يقودنا إلى بعض التناقضات التي كانت تنطوي عليها شخصية الرئيس السادات_ فبالرغم من هدوئه واتزانه إلا أنه كان يأتي أحيانا ببعض الأفعال التي تنم عن صلابة رأسه.. هل هذا صحيحا؟

هذا صحيح إلى حد بعيد، فالسادات كان رأسه ناشف كما نقول وعنيدا.. في بعض الأحيان كنت أضحك مع أولادي أثناء محاولتنا لإقناعه بشيء ما.. فأقول لهم.. سنخبره بعكس رأينا لكي نحصل على موافقته عن طريق اعتراضه فكان يسمعني و يضحك!!

ولكنه كان متوافقا سياسيا مع عبد الناصر إلى حد بعيد؟

دائما كان يأخذ نفس موقف عبد الناصر إيمانا منه بصحة موقفه و إن كانت شخصيتهما تختلف كل الاختلاف وأساليبها في العمل.. لكنه كان محبا له.. وفي بداية عهده اعتقد البعض متسرعا أنه سيسير على نفس نهج عبد الناصر.. لكنه كان يسير عكسيا.

هل لهذا السبب تضامنا مع عبد الناصر.. ترك الرئيس محمد نجيب في منزل زينب الوكيل بالمرج بعض الوقت فمحمد نجيب عاني الأمرين، فلماذا لم يعطف السادات على حاله منذ البداية؟

الاستعطاف جاء حين أخبر أحد الموظفين لدينا(الصاغ) فوزي عبد الحافظ بأنه زار

الرئيس نجيب في منزله بالمرج ووجده في حالة يرثي لها في هذا المنزل المتهالك فقام الصاغ فوزي بنقل الصورة كاملة للسادات فأمر على الفور بخروجه وإنهاء تحديد الإقامة ولم يكن يعلم في البداية تفاصيل إقامته ومدي الإساءة التي تعرض لها.

قيل انه منع إذاعة أغاني عبد الحليم حافظ التي غناها للثورة وعبد الناصر فلم تظهر هذه الشرائط في الأسواق إلا بعد وفاة السادات؟

هذا الكلام ليس له أساس من الصحة.. فنحن محبون جدا لعبد الحليم حافظ وخاصة أغانيه التي تمجد الثورة ونحتفظ بهذه الشرائط في منازلنا وسياراتنا فهذه الأغاني من أجمل ما غني عبد الحليم حافظ.

ولكن ما سبب اختفائها عقب وصول الرئيس السادات إلى الحكم هل تعتقدين أن البعض فعل ذلك اعتقادا منه أن السادات سيبارك مثل هذه الخطوة وإن لم يأمر بها مباشرة؟

لو تم الأمر وفقا لهذا السيناريو فهو يحمل ضررا بالغا لا فائدة فمن المؤسف أن بعض الناس يغفلون عن حقيقة جوهرية تتمثل في أن رئيس الجمهورية _ بصفة عامة _ ينشغل بجلائل الأمور ويعنيه في المقام الأول توفير المتطلبات الحياتية والآمنة لشعبه ومئات المشاكل المحلية والدولية ولا يوجد لديه وقت ليبدده في مثل هذه الصغائر.. إضافة إلى أن السادات كان محبا للفنانين وهو الذي أرسي عيد الفن وكان حريصا على الاحتفال به سنويا واذكر أنني حين ذهبت إلى قصر عابدين للمرة الأولى _ تساءلت لماذا تم نزع صور الملك فاروق.. وطالبت بإعادتها.. فتاريخ مصر يجب أن يتواصل لأن كل حاكم يضيف لما يفعله سلفه.

هل كان يراجع نفسه أحيانا ولا يكابر في تصحيح أخطائه؟

اعتقالات سبتمبر 1981 من المواقف القليلة في حياته التي كابر فيها ولم يذعن لنصائحي كزوجة محبة ومواطنة حريصة على مصلحته بصفته رئيسا للجمهورية.. فذكرته بأنه ذاق مرارة السجن والاعتقال وتقييد الحريات فكيف تطاوعه نفسه بجمع اليمين إلى اليسار إلى الإخوان والشيوعيين.. كنت لا أريد أن يغضب منه أو يكرهه أحد، فأنا أحبه لكنه أجابني أنها فترة محددة حتى يسترد سيناء بعدها ستعود الأمور إلى طبيعتها وكان يستند في قراره هذا

بالطبع إلى التقارير الأمنية التي أوصت بهذه الاعتقالات نتيجة لوجود بعض الشغب والاحتقان الذي ينذر بالخطر.

هل تستمتعين بالأماكن الشعبية والحياة البسيطة مثله؟

أحب الأماكن الشعبية جدا.. وأعشق منطقة القاهرة المملوكية والحسين وخان الخليلي وباب زويلة.. بل أنني لا أجد غضاضة في الأكل من الشارع. فأثناء رئاستي للمجلس المحلي بشبين الكوم، كنت أنتهي من عملي في الرابعة بعد الظهر وأكون مجهدة فكنت أوصي بوضع ساندوتشات الطعمية الشهية التي تصنعها "أم سيد" في شبين الكوم وتبيعها على عربية يد بجوار مقعدي في السيارة وكان الرئيس السادات يداعبني قائلا: إنها مصنوعة من زيت العربيات.. فكنت أقول له: لذلك أتذوقها، فقد كانت بحق أشهي طعمية تذوقتها في حياتي!!

اطلعت على حديث لسيادتك في جريدة النيويورك تايمز ذكرت فيه سنك.. ألا تتحفظين في هذا الأمر شأن بقية النساء؟

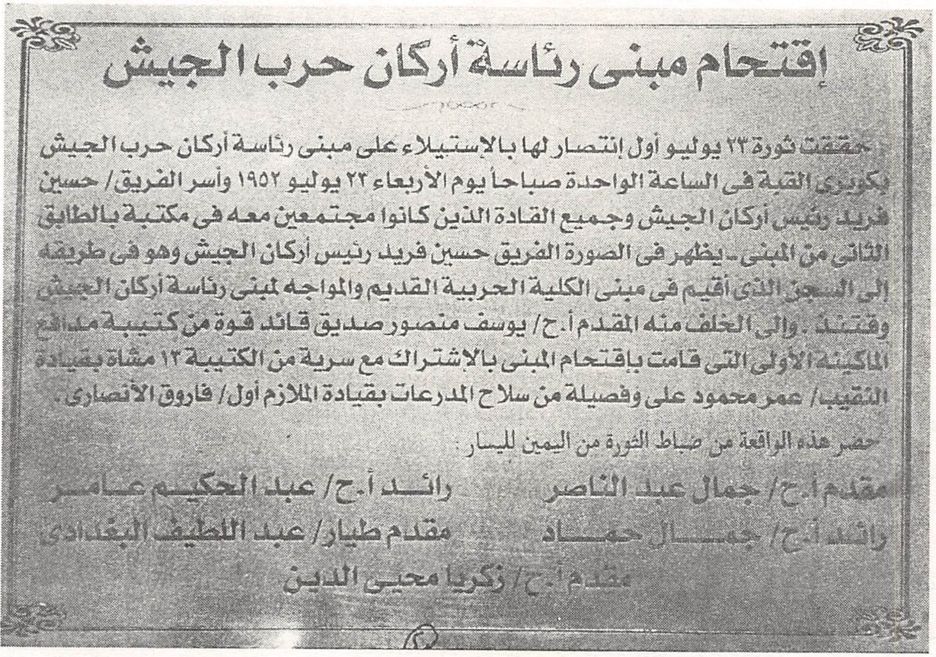
انتهي هذا العصر الذي تخفي فيه المرأة عمرها الحقيقي. فالمرأة لديها الآن قضايا أهم، فأنا أفضل أن أكون في السبعينيات وأبدو في الستينيات. فقد اعتدت الاعتناء ببشرتي عن طريق الكريمات والزيارة السنوية لأخصائي البشرة.. لكني أرفض عمليات شد الوجه لأنها تغير ملامحه.. فمسألة جمال الشكل لا تعنيني بقدر ما يعنيني جمال الروح.. فلم أشعر يوما أنني جميلة ولا أراهن على ذلك فأنا مأخوذة دائما بالشخصية التي أمامي فأحيانا أجلس مع سيدة في الثمانين من عمرها.. فتسحرني بروحها المتوهجة وتجذبني شخصيتها وأحيانا أنهي حديثي المقتضب مع فتاة في الثلاثينيات لا تشع روحها أي بريق- فالسادات كنت سعيدة معه للغاية ومنبهرة بشخصيته وأعماله وقدراته الرائعة.

السادات قتل بفتوى حمقاء من الشيخ عمر عبد الرحمن وآخرين. الآن تدهور الحال حتى أن بعض الناس تسعى لطلب الفتاوى لتفسير البديهيات.. كيف ترين السبيل لتطوير الخطاب الديني داخليا لكي تنعكس آثاره خارجيا؟

بداية أنا غير مؤمنة بهذه الهوجة من الفتاوى. فليس لها دخل بالإسلام.. أما الخطاب الديني الذي يتجسد في أولي مراحله في خطبة الجمعة.. فيجب أن يبتعد تماما عن السياسة ويكرس مضمونه للحض على مكارم الأخلاق وفضيلة إتقان العمل كما يوصي الإسلام.



مجلس قيادة الثورة من اليمين:
جمال حماد - محمد نجيب - عبد الحكيم عامر - حسين الشافعي



إقتحام مبنى رئاسة أركان حرب الجيش

حققت ثورة ٢٣ يوليو أول إنتصار لها بالإستيلاء على مبنى رئاسة أركان حرب الجيش بكوبرى القبة فى الساعة الواحدة صباحاً يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأسر الفريق/ حسين فريد رئيس أركان الجيش وجميع القادة الذين كانوا مجتمعين معه فى مكتبه بالطابق الثانى من المبنى - يظهر فى الصورة الفريق حسين فريد رئيس أركان الجيش وهو فى طريقه إلى السجن الذى أقيم فى مبنى الكلية الحربية القديم والمواجه لمبنى رئاسة أركان الجيش وقتئذ . وإلى الخلف منه المقدم أ.ح/ يوسف منصور صديق قائد قوة من كتيبة مدافع الماكينة الأولى التى قامت بإقتحام المبنى بالإشتراك مع سرية من الكتيبة ١٣ مشاة بقيادة النقيب/ عمر محمود على وفصيلة من سلاح المدرعات بقيادة الملازم أول/ فاروق الأنصارى.

حضر هذه الواقعة من ضباط الثورة من اليمين لليسار:

مقدم أ.ح/ جمال عبد الناصر　　رائد أ.ح/ عبد الحكيم عامر

رائد أ.ح/ جمال حماد　　مقدم طيار/ عبد اللطيف البغدادى

مقدم أ.ح/ زكريا محيى الدين

اللوحة النحاسية مسجلا عليها عملية اقتحام مبنى أركان الجيش في يوليو 1952

3- اللواء جمال حماد

60 ٪ من قضية الأسلحة الفاسدة.. دعاية!

تشويه صورة الملك أمر طبيعي!



مؤرخ عسكري كبير.. من الضباط الأحرار وأبرز رجالات ثورة يوليو الذين انتحوا جانبًا بعيدًا عن الاقتتال على السلطة واحتدام الصراع واغتنام الفرص وتدبير المؤامرات وغياهب السجون التي قد يلقى فيها أخلص الخلصاء. أورثه والده أستاذ اللغة العربية. حب الشعر والفروسية فكانت العسكرية ميدانًا اتسع لهذا الوهج الحماسي فاجتمع في شخصيته الفريدة كشاهد عيان رأي وسمع واشترك في الأحداث، ما يجعل الجميع يتوق لسماع شهادته فهو محارب بالذخائر وشاعر بالكلمات فإذا كانت الحساسية هي خبز الشعراء فالبرجماتية هي خبز السياسيين وحين يختلط الفن بالحياة والتاريخ بالواقع والدهاء الفني بالحصافة السياسية. فلابد أن يولد من رحم الحقيقة والموضوعية حقيقة ثانية هي الفن الذي جسده في روايته البديعة التي تحولت لفيلم سينمائي شهير «غروب وشروق» الكتابة التاريخية من وجهة نظره تتطلب عمقا زمنيا لكي تستقر الرؤية بالوثائق المتاحة بعد مرور السنين ومن ثم إعادة ترتيب الأوراق ولكن المعضلة أن شبح الكتابة الأولى يستقر طويلا والكتابة فيما بعد من وجهة نظر مخالفة لا تفتح أمامها الأبواب والعقول إلا بعد عسر وجدال عقيمين.

يكتب اللواء / جمال حماد الشعر العمودي غنت له نجاة الصغيرة ولحن له محمد عبد الوهاب. ودرس في الكلية الحربية للرئيس حسني مبارك وكتب البيان الأول لثورة يوليو واشترك في حرب 1948 و1956 وحرب اليمن.

«احترس. ربما تحققت أحلامك» عبارة شهيرة للأديب الأيرلندي أوسكار وايلد. هل كنتم تحلمون كضباط شباب بزمام السلطة ومقاليدها بهذه السهولة واليسر أم أن فضاء الحلم كان أقل من الواقع؟

في أشد أحلامنا جنوحًا وجنونًا لم نكن نتخيل أن الملك سيتنازل عن العرش ويغادر البلاد. دون اقتتال أو إراقة الدماء وبهذه السهولة. فالظروف تتهيأ أحيانًا وتنعطف باتجاه الأماني والأحلام وهذا ما لم يتحقق مثلًا في أحداث تاريخية أخرى!

كيف بدأت علاقتك بالضباط الأحرار. وهل كانوا يستميلون أفرادًا بأعينهم؟

تخرجت في الكلية الحربية عام 1939. دفعة المشير عبد الحكيم عامر. كنا زملاء وأصدقاء في سلاح المشاة عام 1950 وبدأ يكلمني عن الأوضاع في البلد والجيش وعرف أني ساخط شأنه تمامًا فبدأ حديثه معي بأسلوب التجنيد وأفصح عن تنظيم الضباط الأحرار. وكان عامر رحمه الله قريبًا من محمد نجيب لأنه كان أركان حربه في فلسطين فسألني سؤالًا مباشرًا عمن يتولى قيادة التنظيم إذا نجحت الحركة وسارت الأمور على ما يرام. فقلت على الفور فؤاد صادق. فانزعج عامر وقال في استنكار. ماذا تقول إذا حدث ذلك سيتخلص منا جميعًا في اليوم التالي في ميدان عابدين، ففؤاد صادق كان صارمًا للغاية، ثم أردف عامر قائلًا: وماذا عن محمد نجيب؟

وهل التنظيم كان منشغلًا باختيار قائده منذ عام 1950؟

اللواء محمد نجيب كانت له سمعة طيبة وذاع صيته وشهرته في حرب 1948 حيث أصيب ثلاث مرات. إحدى الإصابات كادت تودي بحياته. ومنح نجمة فؤاد تقديرًا لشجاعته وأبعد عن سلاح الحدود لأمانته واستقامته. فإسناد القيادة إلى شخصية عسكرية كبيرة كان من شأنه تسهيل تكتل الشعب والجيش والالتفاف حول الحركة. مع الأخذ في الاعتبار إبعاد أي شخصية قوية خوفًا من سيطرتها على زمام الأمور!

حديث سيادتك ينفي ما قيل عن عدم معرفة نجيب بالتنظيم إلا في اللحظات الأخيرة. وهل الأسباب التي ذكرتها كانت السبب وراء نجاحه في رئاسة مجلس الإدارة في انتخابات نادي الضباط؟

انتخب محمد نجيب رئيسًا للنادي في 31 ديسمبر 1951 وانتخبت عضوًا عن سلاح المشاة وفازت قائمة الضباط الأحرار فوزًا ساحقًا وحصل محمد نجيب ورشاد مهنا على 90% من الأصوات وفاز أيضًا زكريا محيي الدين عن سلاح المشاة أيضًا.

لماذا تطورت أحداث نادي الضباط. بهذه السرعة خلال ستة شهور حيث تم حله وقيام الثورة بعد أسبوع من هذا القرار؟

أحداث نادي الضباط موضع التباس في معظم الكتابات التاريخية.. فالبعض يخلط بين رغبة الملك فاروق في قبول حسين سري عامر (مدير سلاح الحدود) عضوًا بمجلس الإدارة. بصفته مندوبًا له فيما بيننا. فلم يجرؤ الملك في طلب تعيينه رئيسًا للنادي بدلًا من محمد نجيب كما اعتقد البعض هذا لم يحدث إطلاقًا. وقد أدليت بشهادتي هذه للجنة تقصي حقائق الثورة. لأنني كنت عضوًا بهذا المجلس وكنت مقربًا أيضًا من محمد نجيب بصفتي أركان حربه في سلاح المشاة وعملت أيضًا مديرا لمكتبه بعد الثورة لمدة شهرين وكنت على علم بتفاصيل هذه الأزمة التي افتعلها الملك نتيجة لعناده فكلفته عرشه!

وما هي طبيعة علاقته بضباط الجيش والنادي قبل عام 1951؟

بعد حادث 4 فبراير 1942 وحتى عام 1948 اعتاد الملك الحضور إلى نادي الضباط في تلك الذكري سنويًا وكانت له غرفة مخصصة على يسار البهو الرئيسي. حيث كان يجتمع بالضباط وبعضهم يتبادلون معه النكات الخارجة وكان يحب سماعها من اللواء حمدي طاهر والرشيدي أركان حرب التجنيد وحين حدثت شروخ بالنادي ثم هدمه و إعادته مرة أخرى وكان هناك وعدا من السراي بتأثيثه بالمفروشات.

لماذا أصر فاروق على انتخاب حسين سري عامر عضواً هل يرجع ذلك لثقته به أم لخبرته؟

لا هذا ولا ذاك ولكنها العلاقة الشخصية فاللواء حسين سري عامر أسند إليه سلاح الحدود بدلًا من محمد نجيب بعد حرب 1948 وكان متهمًا باستغلال نفوذه واستقدام أسلحة غير صالحة من الصحراء الغربية وقضي فترة في سجن الحضرة بالإسكندرية ثم ظهرت براءته وأفرج عنه وكانت تربطه صلة وثيقة بأقرب شخصيتين من الملك محمد حسن السليماني (الشماشرجي)

وحلمي حسين السائق الذي منحه فاروق رتبة الأميرالاي (عميد)! كان سري عامر يسهر معهما و يرسل لفاروق عن طريقهما بعض المنشطات التي كان يحصل عليها من أسماك البحر الأحمر. فتم تعيينه مديرًا لسلاح الحدود وحيدر باشا كانت معظم خدمته في البوليس، وعثمان المهدي كانت خدمته بالسراي فوضع الجيش كان سيئًا وحدث أن استفسر حيدر باشا وزير الحربية من نجيب عن السلاح الذي يفضله فاختار سلاح المشاة لأنه أكبر سلاح في الجيش وحين نجح محمد نجيب في الانتخابات وقائمتنا على النحو الذي ذكرته استدعي حيدر باشا محمد نجيب ورشاد مهنا وظل يتفاوض معهما من التاسعة مساء حتى الرابعة صباحًا عن طريق الترغيب والترهيب والخلاصة أن مولانا زعلان جدًا من نتيجة الانتخابات. ورفض الاثنين وقالا لحيدر سلاح الحدود ليس له مندوب من الأساس في النادي لأنه يضم ضباطا من كل الأسلحة وفي نهاية المطاف. اخبرا حيدر بعرض الموضوع على مجلس الإدارة ثم جاء خطاب من رئيس الأركان اللواء حسين فريد يفيد بأن سلاح الحدود أصبح سلاحًا قائمًا بذاته ومن ثم يتحتم أن يكون له مندوب في مجلس الإدارة تم ذلك خلال 24 ساعة وكان لدي حيدر يقين بأن نجيب سيلين موقفه!

ألم يكن ذلك صادماً للملك وقد أثر عنه قوله «الجيش في جيبي»؟

في عام 1942 عقب حادث 4 فبراير أراد الفريق إبراهيم عطا الله التخفيف عنه ومنافقته وتم تغيير شعار الجيش بعد أن كان (الله - الوطن - الملك) أصبح (الله - الملك - الوطن) في الفترة الأخيرة من عهده انقطعت الخيوط بين الملك والجيش والشعب لأننا بعد حرب 1948 كنا نعيش في حالة غليان واكتوينا بنار الهزيمة. وساءت الأمور بالنسبة لنادي الضباط على النحو التالي. عرض محمد نجيب خطاب تخصيص مندوب لسلاح الحدود وانتهي المجلس بعرض الأمر على الجمعية العمومية في فبراير 1952. ولم نجتمع نظرًا لظروف حريق القاهرة في 26 يناير لأن الجيش نزل إلى الشوارع وتم التأجيل حتى يعود الجيش لثكناته ثم اجتمعنا في 16 يونيو 1952 وكان أخطر اجتماع عسكري منذ مظاهرة عرابي كنا نتخاطف الميكروفون كانت الكلمات أشبه بالقذائف وتحدثنا عن الأوضاع الشائنة وقلنا لا نريد أثاثًا من السراي بأموال أخذت من دماء الشعب. الأمر الذي اضطر عبد المنعم أمين - سيصبح سفيرًا فيما بعد - للقول بأننا من الآن لا نأمن على أنفسنا من الحرس الحديدي وكان معروفًا باغتيالاته ثم كانت هناك

ثلاث اقتراحات: تأجيل الموضوع إلى الجمعية العمومية حتى 1953 فقوبل بالرفض واقتراح ثان بقبول مندوب سلاح الحدود ورفض أيضًا بالإجماع وكان تحديًا صارخًا للملك وكان الأمر أشبه برسالة غير مباشرة إليه. وكان الاقتراح الأخير هو الرفض التام وفي 16 يوليو 1952 تم حل مجلس إدارة النادي فعجل ذلك بالثورة.

أين كان جمال عبد الناصر وأنور السادات من أحداث نادي الضباط؟

جمال عبد الناصر لم يكن عضوًا في مجلس الإدارة ولكنه كان حاضرًا في الجمعية العمومية وأنور السادات لم يكن له أي نشاط في نادي الضباط. ومن طبيعة عبد الناصر أنه كان يخطط ولا يظهر وحين سألته عن سبب اختفائه قال: عارف يا جمال «الزهرة القرمزية» تلك الشخصية الروائية في الثورة الفرنسية التي كانت تتنكر في أكثر من شخصية وتنقذ النبلاء وتكتفي بالأعمال النبيلة أنا الزهرة القرمزية. وفعلًا عبد الناصر قعد كتير لحد ما ظهر! فالعمل السري يختلف كثيرًا عن العمل العلني.

هل كان حيدر باشا خال عبد الحكيم عامر؟

لم يكن شقيق والدته ولكنه يمت له بصلة قرابة وفي الصعيد والأرياف تقال كلمة خال على سبيل العرف والإكبار.

ما السبب في عدم تصديق فاروق لمنشورات الضباط الأحرار واستهانته حتى أن قلم المخابرات وضع خاتمه على إحدى المنشورات لكي يقتنع بتغلغل التنظيم داخل الجيش؟

نعم كان يكتفي بقوله كما ذكرتي «الجيش في جيبي» حتى أن عبد المنعم النجار وكان دفعتي ويمت لناريمان بصلة قرابة حكي لها عن التنظيم و أحوال الجيش وما يشوبها من عدم استقرار وسخط بدون ذكر أسماء. لكنه لم يهتز!

هل حقا كتب محمد نجيب خطابا من أربع صفحات يطلب فيه بعض الطلبات من الملك فاروق ومنحه رتبة الفريق. ثم تنكر نجيب للرتبة بعد مغادرة فاروق البلاد كما جاء في مذكراته التي نشرها الأهرام؟

لقد قرأت هذا الكلام وأقول بملء فمي أن فاروقا كذاب في هذا الموضوع. لأنني عاصرت هذه الأحداث فعقب استيلاء يوسف صديق على هيئة أركان الجيش و إلقاء القبض على الفريق حسين فريد رئيس الأركان بحضور جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وزكريا محيي الدين وكنت حاضرا معهم أيضا. عقدنا اجتماعا في مكتب حسين فريد وكلفني جمال عبد الناصر بكتابة البيان وكان يعرف موهبتي الأدبية والشعرية جيدا وكانت مهمة صعبة لأنه حملني مسئولية نجاح الثورة أو إخفاقها بناء على قدرة البيان على حشد الجماهير وبقية وحدات الجيش وضمها للحركة وهكذا فالبيان الأول شأن الانطباع الأول أما أن يصعد بنا إلى أعلى عليين أو يهبط بنا إلى الدرك الأسفل فتنفض الناس من حولنا. فجلست مع عبد الحكيم عامر في غرفة مجاورة لغرفة القيادة وتناقشنا في بعض النقاط ولم تستغرق كتابته إلا دقائق ولكن واجهتني معضلة فاللواء محمد نجيب كان مديرًا لسلاح المشاة فوجدت أنه لقب لا يتناسب مع المهمة الجليلة المنوطة به وربنا ألهمني كتابة اسمه اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة مع أنه ليس كذلك وحيدر باشا كان ما يزال قائدا عامّا وكان موجودا بالإسكندرية وقرأ السادات البيان بصوته في الإذاعة لأن زكريا محيي الدين كلفني بصفتي رئيسًا لأركان سلاح المشاة بالذهاب والسيطرة على ضباط اللواء السابع وقمت بتنفيذ المهمة. من جهة أخرى بعد نجاح المرحلة الأولى من الحركة حاولنا معرفة موقف الملك ومدي قوته وهل سيستعين بالانجليز أم لا فقام نجيب بعمل بالونة اختبار وطلب منه تكليف على ماهر برئاسة الوزراء وتعيين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة. كما ذكرنا في البيان الذي أذيع في 7،30 صباحا و إبعاد ستة أفراد من الحاشية وفي مساء 24 يوليو في التاسعة والنصف مساء كان علي ماهر يحلف اليمين وعقد أول اجتماع للوزارة ببولكلي بالإسكندرية وأصدر قرارًا بتعيين محمد نجيب قائدا عامًا للقوات المسلحة بدرجة وزير وتلا ذلك في نفس الليلة مرسوم ملكي بمنحه رتبة الفريق. نجيب لم يطلب الرتبة لنفسه ولكن الذي فعل ذلك على ماهر. وحين رحل الملك تنازل نجيب عن الرتبة ولم يطمئن لذلك درءا للشبهات لأنها منحت من الملك وحتى لا يقال أنه تكسب من وراء الثورة وخفضا للنفقات المادية التي تترتب عليها. وكانت غلطة وقع فيها نجيب لأن رتبة فريق كانت «برستيج» لمجلس قيادة الثورة ومعظمهم كان رائدًا أو مقدم. استكثر نجيب الرتبة مع أننا جميعا رتبنا كانت ممنوحة من الملك. وهو كان رجلًا متواضعا وطيبا في عصر لا يعترف بالطيبة خصوصا في السياسة!

برنارد شــو حيــن بلغه نبأ اغتيال غانــدي قال: الرجل الطيب دائمــا في خطر! ما تعليقك؟

هــذا صحيح و ينطبق على محمد نجيب وربما كانت طيبتــه ومثاليته هي التي حفزت عبد الناصر لاختياره لقيادة مجلس الثورة فاطمأن إلى أنه لن يغدر بهم ولكن سيغدر به.

ذكــر فاروق أيضــا. «قبل الانقلاب لم تطأ قــدم أي رجل من رجــال نجيب أيا من قصوري إلا القليلين الذين منحوا أوسمة عسكرية». فهل شاهدت الملك فاروق ودخلت القصور الملكية في عهده»؟

نعم كنت أشــاهده في صلاة الجمعة بمسجد السلطان حسن وله واقعة لا تمحي من ذاكرتي وان كانت عبارته الســالفة تعني عفوا أننا صعاليك. فالواقعة التي ســأرويها ذات مغزى. ففي أحــد الأيام جاء إلى الماظة لافتتاح مســجد وكنت حاضرا وفوجئنا بلــواء طبيب يصرخ بأعلى صوته: مظلوم يا مولانا. مظلوم يا مولانا. فلم يحرك النداء فيه ســاكنا ولم يلتفت أو يشر لأحد اتباعه بالاستفســار عن شكواه. فقد كان متكبرا للغاية تتســم تصرفاته بالعنجهية الملكية ولا يتبســط مع الناس حفاظا على هيبته و إن قيل أن له شــخصية أخرى منبسطة فكانت لا تظهر في الرســميات وقد تربي منذ نعومة أظافره عــلى البروتوكول الملكي. وحضرت مأدبة الغداء التي أقيمــت يــوم 26 يناير احتفالا بمولد فؤاد الثاني وكان يجلس أمامــي جمال عبد الناصر.. وكانت القاهرة تحترق ولم تكن هناك شهية للطعام أو الحديث.

تعليق: أثناء بحثي في ملفات الثورة اســتوقفني هذا الخبر المنشور بجريدة الأهرام بتاريخ 5 - 10 - 1952 وقــد احتــل مكانا بارزا وهو لا يحتاج لتعليق تحــت عنوان «الرئيس اللواء يلبي نداء صوت بائســة» لأول مرة في تاريخ رؤســاء الوزارات المصرية يســمع رئيس وزارة صوت استغاثة به فيغيث المستغيث على الفور. أم وطفلتها أعطاها محمد نجيب أربعة جنيهات وكلف ياوره بتسجيل شكواها وعرضها عليه!

هل اعتقدتم أنه هو الذي حرق القاهرة كما قيل آنذاك؟

هو كان خائفا جدا وقام بترتيب أمتعته وتحدث مع جلال علوبة قائد المحروســة في ذلك الأمر. لكننا اعتقدنا لسنوات طوال أنه قام بحرق القاهرة بالتعاون مع الإنجليز بهدف إسقاط

حكومة النحاس التي جاءت إلى الحكم عنوة بمباركة الإنجليز عام 1942 ولكن الحقيقة أنه لم يكن ضالعا بهذا الموضوع ولم يتورط فيه.

ومـاذا عن ضرب الرصـاص الذي تبادله أفـراد الفرقة السـودانية الخاصة به مع الجيش. ومقتل فرس الأميرة فريـال رحمها الله خاصة أنها نفت تلك الواقعة؟

لقد ذهبت لزيارة الفريق مرتجي أطال الله عمره لاستفسر منه خصيصا عن هذا الموضوع حين وجهت سـؤالك لي لكي تكـون إجابتي دقيقة. فالفريق مرتجـي كان قائد مدافع الماكينة آنذاك وتحت قيادته سرية مدافع الماكينة الخاصة بالحرس الملكي والملك كان معه سرية واحدة سـودانية مكونـة من مائة فـرد وليس 800 كما يقـول في مذكراته ولم يضربـوا النار لأنهم لم يكونـوا برأس التين وأفادني الفريق مرتجي بـأن طلقات الرصاص كانت قليلة للغاية لم تصب أحدا. بعدها هدأت الأمور وسلمت جماعة الملك ولم يظهر الأمر في صورة معركة بودلت فيها النيران كما ذكر فالقصة بها مبالغة وتهويل من جانبه.

تحـدث الملك عن التحف الأثرية التي تعـج بها القصور الملكية. ولكن حين قامت الثورة كما ذكر كان بالإسـكندرية ويبـدو أن القصور في القاهرة لم تكن مؤمنـة فالملكة فريدة ذكرت لكاتبنا الكبيـر أنيس منصور أن «الكوليه» الذي ارتدته في رقبتها ليلة زفافها من فاروق شاهدته في رقبة ابنة أحد قيادات ثورة يوليو. فمتى انتظمت اللجان في الجرد؟

اسـتغرق الأمر شـهرا تقريبا. وحتى بعد تحديد اللجان كان أعضاء اللجان يستولون على بعض الأشـياء ويمنحونها للكبار لكي يضمنوا سـكوتهم. بل إن إحـدى زوجات عضو بمجلس القيـادة عرضـت خاتما يخـص الأميرة فوزية شـقيقة فـاروق للبيـع ولم تكن تـدري أن هذه المجوهرات النادرة في أوروبا لها كتالوجات خاصة وثبت أن الخاتم أهداه الشاه لفوزية وكان باهـظ الثمن وكانت فضيحة وأبلغت السـفارة السـلطات في مصر! فالمـزاد الذي عرضت فيه المجوهرات والتحف عام 1954 كان شوية كلام فارغ!

وماذا عن سرقته للآثار كما قيل ولهدايا الملك عبد العزيز آل سعود التي منحها لحاشيته كما ذكرت الأهرام عقب نزوله عن العرش؟

لا اعتقد ذلك فالهدايا تمنح للأفراد ولكنها مبالغات!

ولماذا تم تشويه صورته عمدا بعد الثورة؟

هـذا أمـر طبيعي جدا فالثـورة لم تقم ضد ناس أفاضل وأسـوياء فنحـن كنا في خصومة مع النظام والحاشـية الفاسـدة. جميع الثورات تعرضت لهذا والثورة الفرنسـية على سبيل المثال تخلصت من زعمائها، أنا لا أبرر أفعالا ولكني أوضح الوضع والظروف التي كانت قائمة آنذاك والشعب كان مشحونا ضده ولم يكن ملاكا كما ظهر في المسلسل.

ما هي دلائل انقطاع الخيوط بينه وبين الشعب والجيش في الفترة الأخيرة؟

على سـبيل المثال ذكر جلال علوبة قائد المحروسة في مذكراته أن الملك اتصل به تليفونيا يـوم 25 يوليـو وأبلغه أن الأمـور بينه وبيننا على ما يرام وتم الاتفـاق بينه وبين قادة الحركة في حين أن القوات كانت تتحرك من القاهرة إلى الإسكندرية والدبابات نصفها نزل إلى الشوارع في القاهرة والنصف الآخر ذهب إلى الإسـكندرية.. وهي واقعة لا تحتاج إلى تعليق وتدل على أنه لم تكن لديه أدنى فكرة عن أي شيء كما يقال!.

يقال على سـبيل المفارقة إن فاروقا فـي أوائل عهده فتح الكلية الحربية لأبناء الطبقة المتوسطة بعد معاهدة 1936. وهكذا انطبق عليه المثل القائل وعلي نفسها جنت براقش، ما رأيك؟

معظـم قـادة يوليو دخلوا الحربية بالفعل بعد معاهدة 1936 ولكـن الانجليز هم الذين فتحوا أبواب الحربية على مصراعيها. بعد أن كانت حكرا على الطبقة الارستقراطية لأنهم كانوا متيقنين من الظروف الصعبة التي حالتهم إليها سياسة هتلر وبالفعل استفادت بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية بصورة قصوى من الجيش المصري، حيث انتصروا في العلمين. خدمت بالإسكندرية وكانت بريطانيا تحرص على حماية أسطولها عن طريق الاستعانة بالمدافع المضادة للطائرات ولكنهم كانوا يمسكون أيديهم عن الدبابات والعربات المدرعة ولا يمنحونها لنا إلا في القليل النادر!

لماذا؟

لأنهم يعلمون مدى قوتها كسلاح هجومي إذا تيسرت لنا من الممكن أن نهاجمهم ونطردهم مـن بلادنا. لكننا كنا نتحايل على ذلك الحظر وكان ضباطنا يذهبون لحضور مناقصات تكهين

هذه الدبابات وهم متنكرون في ملابس مدنية على أساس أنهم من الشركات التي تشتري هذه الخردة ثم يقومون بإدخالها صيانة الجيش ويقومون بعمل التعديلات المطلوبة لكي يتيسر استخدامها في الميدان في أثناء حرب 1948 لأنهم كانوا من دهائهم يقومون بقطع مدفع الدبابة عشوائيا لإضعاف قوتها ولكيلا تتحد الدبابات في المدى القتالي.

إذن لم تكن هناك أسلحة في حرب 1948 وأننا كنا نتسول السلاح والمتسول لا يملك حق الاختيار على حد تعبير الملك وبما أن العنوان لا ينفصل عن المتن فكيف انبثق عنوان الأسلحة الفاسدة؟

الاسم الصحيح هو الأسلحة والذخائر الفاسدة. وقد ذكر فاروق أن محمد نجيب بني انقلابه على هذه الأكذوبة ولكن الأسلحة ونقص العتاد وفساد الذخيرة كانت من أهم الأشياء الجوهرية في منشورات الضباط الأحرار. والقضية ببساطة شديدة كانت تخص أناسا من الحاشية ومن خارجها. فالحاشية تم التحقيق معها بواسطة النائب العام. وبموافقة النحاس - رئيس الوزراء - ولم تتم محاكمتهم في المحكمة وحفظ التحقيق كانت هناك رشاوى وعمولات مثبتة والأمر كذلك بالنسبة للمتهمين من خارج الحاشية ولكن النقطة الجوهرية التي قوضت أركان هذه القضية أن هذه الأسلحة لم تستخدم في الحرب!!

قيل إن معظم الذخائر التي تم الحصول عليها من مخلفات في الصحراء الغربية من بقايا الحرب العالمية الثانية. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تم تهويل هذه القضية. ولماذا تحملت مصر وحدها مسئولية الهزيمة بالرغم من وجود جيوش سبع دول عربية؟

بصراحة شديدة حجم الدعاية في قضية الأسلحة الفاسدة لا يقل عن 60 % وقد روجت السينما لهذه القضية طويلا. وكل ما في الأمر أن المدافع التي قيل إنها كانت ترتد لصدور جنودنا كانت تنفجر نتيجة لسخونتها. وكثافة استخدامها في ضرب النار وقلة التدريب. فالمدفع الـ25 رطلا من أفضل المدافع في العالم وهيأ النصر للانجليز في العلمين ولكن الذخائر التي استخدمت كانت فاسدة نتيجة للعوامل الجوية وحرارة الشمس في الصحراء الغربية، أما الهزيمة فقد تحملتها مصر. لأنها مصر الرائدة والأخ الأكبر دائما. كان جيشنا أكبر جيش. أحد الجيوش السبعة كان يتكون من (1000مقاتل) يحاربون بالبنادق فقط وبلا خرائط!

هل كان ذلك بسبب ضعف الإمكانات والتسليح في البلاد العربية عموما أم اعتمادا على مصر في القتال. فبعض العسكريين يرفضون فكرة الجيوش الجماعية ويؤكدون أن الجيش يجب أن يكون وطنيا له هوية محددة وعقيدة عسكرية يحارب من أجلها وهذا الاتجاه راهنت عليه إسرائيل في هذه الحرب؟

معظم الدول العربية كان محتلا وكان هناك حظر شديد على الأسلحة. إضافة إلى أن الملك عبد الله ملك شرق الأردن سحب قواته من اللد والرملة وكان يريد ضم جزء من فلسطين للأردن فالبلاد العربية كانت تصارع من أجل استقلالها. تقدم جيشنا من غزة إلى مجدل واسدود لكننا كنا نواجه مستعمرات حصينة وألغاما لا نملك حيالها شيئا. لأننا لا نملك الدبابات. ومع الأسف تركنا معظم المستعمرات واصطلينا بنارين. نار الهزيمة والشعور بالعجز نتيجة نقص الأسلحة والعتاد.

ولكن كيف برئ جميع المتهمين في قضية الأسلحة الفاسدة بالرغم من أنها نظرت أمام المحاكم بعد الثورة؟

حين صدر هذا الحكم انقلبت الدنيا. لأن الناس تهيأت لسماع حكم يتلاءم مع كونها قضية رأي عام كبري. بل هي أهم وأخطر القضايا التي ارتكزت عليها الثورة لذلك تم تغليظ العقوبة وكان نجيب مؤيدا لهذا الاتجاه ووقع الاختيار على عبد الغفار عثمان كبير مفتشي الذخيرة ليكون كبش الفداء!

يأخذنا الكلام لأستفسر منك عن حجم المأساة التي عايشها عبد الناصر في حصار الفالوجا. لمدة 125 يوما ومعاناته التي ربما كانت سببا في غضبه الجامح. ولكن ماذا عن مرونة شخصيته ومدي الأريحية التي يتعاطى بها الشأن السياسي. وهل كان دائما متصلبا. كبرياؤه تحركه؟

بادئ ذي بدء لابد أن أؤكد أن حرب فلسطين اكتوي بنارها الجميع فكل الظروف تآمرت ضدنا أما عبد الناصر فقد كان يتسم ببعض الصفات التي لا تخلو من المرونة بالفعل. وربما يفاجأ البعض حين يعلم أن عبد الناصر كان لديه صديق يهودي تعارفا في أثناء حصار الفالوجا وكانا يتحدثان ويساعده في الحصول على الطعام.

كيف يحاربان بعضهما ويعقدان صداقة أو تعارفا أليس أمرا غريبا؟

يبتسم في هدوء و يستطرد بثقة قائلا: الفكرة أن عبد الناصر كان يعرف عن طريقه بعض أخبار الحرب وهذه القصة معروفة فيما بيننا ضباط حرب 1948. حتى إن اليهود استعانوا بعبد الناصر فيما بعد لكي يدلهم على أماكن موتاهم في الفالوجا. فالسياسي يجب أن يصل لأغراضه كاملة وهذا يدل على أنه كان يقبل التفاوض مع اليهود!

يقال إن إسرائيل كانت تحاول عقد اتفاق سلام مع فاروق واتصلوا بالفعل بالدكتور حسين هيكل كوسيط. فهل كانت بذرة المفاوضات مهيأة آنذاك لنسج أي خيوط سلام في هذا التوقيت المبكر؟

لم يتم هذا الاتفاق وفي أوائل عهد الثورة كانت هناك قنوات اتصال أيضا ومقابلات سرية تتم بهذا الشأن في باريس. قبل مبادرة روجرز بسنوات!

عاصرت قرار تقسيم فلسطين عام 1947 فكيف ترى الوضع العام بعد مرور أكثر من ستين عاما؟

يؤسفني جدا الوضع القائم وما آلت إليه الأمور. قرار التقسيم كان أفضل مما نحن فيه ولكن من الذي يفرط في الأرض والشهداء الذين سالت دماؤهم. أتخيل أن الوضع ربما لم يكن بهذا السوء فالاستيطان الإسرائيلي تلاشت أمامه كل الآمال.

ولكن ماذا عن الثورة بعد أن خضعت لها الأشياء وخضع لها الأشخاص وأصبح رجالها يتحكمون في الأمور تحكم عزيز مقتدر. لماذا تزيل تمثال الخديو إسماعيل من موضعه بالإسكندرية وهو صانع نهضتنا المعمارية في العصر الحديث؟

تمثال الخديو إسماعيل قامت الجالية الايطالية بمصر بتمويله بالكامل كان موضعه مكان النصب التذكاري للجندي المجهول ونقل سنوات طوالا في مكان منزو بالإسكندرية وهي تصرفات صبيانية كان يجب ألا تحدث لأنها أساءت لصورة الثورة، من الضروري أن نزيل إذن تمثال إبراهيم باشا من الأوبرا ومحمد على من الإسكندرية. والأمر كذلك بالنسبة لقاعدة التمثال التي صنعت في ميدان الإسماعيلية (التحرير). وكانت قد صنعت قبل الثورة مباشرة

للملك فؤاد. وظلت مطمعا في عهدي الرئيس عبد الناصر والسادات من قبل ذوي التكتيكات النفاقية والاقتراحات بوضع التماثيل الخالدة. وفي النهاية فاض الكيل بالجميع وتمت إزالتها نهائيا ولا نعرف حتى يومنا هذا أين استقر بها المطاف. واذكر أن عبد الناصر وبخ مسئول الإذاعة حين أوشك أن يوقف أغنيات أم كلثوم بحجة أنها غنت للملك فقال له فلتأخذ قوة وتذهب بها إلى الهرم الأكبر وتحيله إلى أحجار منثورة. أم كلثوم هرم مصر الغنائي!

من الذي قوض عرش فاروق من وجهة نظرك؟

والدته في المقام الأول، وكان خطؤه فادحا حين تركها تسافر إلى أمريكا بصحبة شقيقته. فنازلي كانت كالفرسة الجموح تحتاج لشد لجامها بصفة مستديمة وهذا ما أدركه زوجها الملك فؤاد مبكرا فاستطاع ترويضها ولكن الوضع اختلف مع ابنها فاروق فأطلقت العنان لأهوائها. وفي نهاية عهده تزوجت شقيقته فتحية برياض غالي فبلغ السيل الزبي كما يقال. وعلا ضجيج الاستنكار والغضب وأصبحت صورة العائلة المالكة تتسم بالانحلال للأسف الشديد حيث كان هناك إغفال شديد لعاداتنا وتقاليدنا الشرقية من قبل والدته في هذا الشأن. والسبب الثاني كان قضية الأسلحة الفاسدة التي تحدثنا عنها. وأخيرا حريق القاهرة ولم يكن له دور ولكن تسبب في الإساءة إليه نتيجة لرعونته وتخاذله في نزول الجيش عقب مرور خمس ساعات على الحريق!

عاصرت حادث مقتل أحمد حسنين رئيس الديوان الذي ارتبط بعلاقة عاطفية بنازلي فهل تعتقد أن حادث موته مشكوك في قضائه وقدره؟

بالقطع فعلي مدار التاريخ ومنذ إنشاء كوبري قصر النيل لم نسمع عن حادث مروري قاتل به. فما بالك بحالة المرور عام 1946، حيث الفراغ والمسافات هي القاعدة والأساس في القيادة. إضافة إلى أن ظروف الحادث هي التي أكدت فكرة تدبيره حيث اقتحم سائق لوري المقعد الخلفي الذي كان يجلس فيه أحمد حسنين عمدا. فقد كان حسنين هذا من أهم (الكوابح) التي كان لها دور رئيسي خلال فترة حكم فاروق. وظل الأمر كذلك حتى عام 1946، حيث رحل السفير الانجليزي الذي أذاق فاروق الأمرين ومن ثم لم يعد في حاجة لوجود حسنين الذي تسبب في فضائح والدته.



جمال حماد مع الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق والأمير فيصل الثاني

شخصية فاروق تجمع بين متناقضات عديدة فإلي جانب تهوره وعناده. يقال إنه كان يمتلك عينا ملكية ثاقبة. تجيد تقييم الأشياء وتقدير بعض المواقف بصورة لا تخلو من الحكمة. ما مدى تقييمك لسلوكياته بصفة عامة؟

فاروق أرستقراطي المولد والنشأة والنظام الملكي بطبيعته يتسم بالنزعة الاستعلائية. وقد نشأ في أحضان جالية ايطالية ومعظم المقربين كانوا كبارا مخضرمين بالنسبة لطفل صغير. فاكتسب بعض النضج العقلي وكان موفور الذكاء في بعض المواقف وأشهرها قدرته البارعة عن طريق مساعدة أحمد حسنين على الإيقاع بين مصطفي النحاس ومكرم عبيد أشهر صديقين في السياسة المصرية بالرغم من حداثة سنه آنذاك - 22 عاما فقط - لكن بعض تصرفاته كانت تتسم بالتهور وعدم الحصافة السياسية أيضا. وأذكر أنه طلب من رئيس الوزراء النقراشي باشا إقالة وزيرين شاهداه في ملهي ليلي وكانا يجلسان بصحبة وزيرين آخرين فانصرفا وظل وزير الحربية أحمد عطية باشا بصحبة وزير المالية وأكملا سهرتهما فحنق عليهما اعتقادا منه أنهما تحدياه ولم ينصرفا. وكانت مشكلة كبري كاد يستقيل بسببها النقراشي. بل أن هذه الحادثة تسببت في كارثة أخرى حيث نجم عنها إقالة أحمد عطية والاستعانة بحيدر باشا وإسناد منصب وزارة الحربية إليه وكانت كل خبرته بالسجون، الأمر الذي عانينا منه. وهذه عينة من بعض تصرفاته! فهو إنسانيا يستحق العطف نظرا لظروف نشأته والانكسارات التي تسببت فيها تصرفات والدته مما دعاه لمهاجمتها نتيجة لكمده ومعاناته وليخبر الجميع بأنها من أسباب انهياره وفشله وهو بذلك أساء لنفسه مرة أخرى لكنه لم يكن مؤهلا لتولي زمام الأمور.

حاشية الملك فاروق أساءت إليه والأمر كذلك بالنسبة للرئيس جمال عبد الناصر مع الفارق الهائل بينهما. متى تفسد الحاشية؟

إذا غابت الديمقراطية. ووضعت الحجب على تصرفاتها واختفت الشفافية والمساءلة وهذا ما حدث في عهد فاروق وعبد الناصر مع اختلاف الظروف وآليات العمل. فعبد الناصر على سبيل المثال عهد إلى صلاح نصر بجهاز المخابرات والعمل على تحقيق الصالح العام للبلاد. لكنه أساء استخدام السلطة!

هل قتل صلاح نصر الملك فاروق عن طريق دس السم له في الطعام فما يقال عن كونه كان لا يمثل خطرا لا محل له من الإعراب مقارنة بتصرفات عجيبة مثل تظليل صورة الملك في فيلم أو إلقاء القبض على المواطنين لتداولهم النكات ولا ننسي أنه في عام 1649 قضي كرومويل على الملكية في إنجلترا وباع التاج الانجليزي في جنوب أفريقيا ثم عادت بعد عشر سنوات. وعبد الناصر في حدود علمي كان يقرأ التاريخ جيدا أنه صلاح نصر الذي أحال مصر إلى عبارة روزفلت الشهيرة بعد تعديلها: ليس لدينا ما نخافه سوى الخوف نفسه؟ فاروق قتل والطعام الذي تناوله قبل موته وأسباب الوفاة تدعو للسخرية والاستهزاء بالعقول. فكيف يأكل إنسان كل هذا الطعم كما لو كان مفجوعا. فقائمة المطعم بالكامل تمت كتابتها تقريبا في محضر الوفاة. صلاح نصر كان في قمة عنفوانه عام 1965 وربما أراد أن يستعرض المزيد من عضلاته. وفاروق صيد ثمين. حادث وفاته لابد أن يسبب دويا وانجازا مخابراتيا.. يقال أن اعتماد خورشيد هي التي أفشت هذا السر أثناء محاكمة صلاح نصر؟

تولي حسين الشافعي رئاسة المحكمة التي نظرت قضية صلاح نصر وبالصدفة كان المدعي العام من أقربائي فحكي لي كيف أن صلاح نصر كان يقاطع اعتماد خورشيد وهو في قفص الاتهام ويصرخ كذابة. كذابة وهي تروي تفاصيل مريعة قصها عليها عن انجازاته الشائنة. حتى أن رئيس المحكمة اضطر لطرده نتيجة لمقاطعته للشهود فتشبث بالقضبان واضطر عساكر البوليس الحربي إلى جرجرته على الأرض فقلت عندئذ سبحان الله. يمهل ولا يهمل!

قال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان أثناء الخلاف الشهير على الولاية بين معاوية وعلي بن أبي طالب «أتري أننا خالفنا علياً لفضل منا عليه؟ لا والله إن هي إلا الدنيا نتكالب عليها لتقطعن لي قطعة من دنياك وإلا نابذتك» أما على صبري

الـذي كان مـن أهم مراكز القوي فـي مصر فقد جاء في التحقيقات الرسـمية عقب أحداث مايو 1971 أنه كان دائم الهجاء والاستعداء للرئيس السادات واشتهر بقوله في هذا الصدد: البلد مفيش فيه رجالة؟ فلنبدأ بالفلاش باك منذ أحداث مايو 1971؟

كان جمال عبد الناصر يمر بحالة نفسـية سـيئة عقب نكسـة 1967 وحاول التنحي ولكن الشـعب أبي إلا أن يسـتكمل معه المسـيرة حتى يتحقق النصر.. وكان استغراقه العميق لإعداد القـوات المسـلحة واسـتعادة الكرامـة والأرض.. فـترك المسـئولية في يد مجموعـة مكونة من شعراوي جمعة وسامي شرف والفريق محمد فوزي وعلي صبري مع الأخذ في الاعتبار أن عبارة البلـد مفيش فيها رجالة كانت كلمة دارجة خلال فـترات الكفاح الوطني ضد الإنجليز وكان يقصد بها شحذ العزيمة والهمم ولكن من المؤسف أن تصدر هذه الكلمة في حق السادات وهو رئيس الجمهورية ومن مجموعة كانت بحق ممن أضاعوا شـهامة الرجال بالقهر والتجسس وقد اسـتطاع السـادات تقديمهم للمحاكمة بالشرائط التي فيها هذه الأقوال وكانت شهادات إدانة وقرائن لا تقبل الشك ومعظمها وشايات وأعراض لا يجب الخوض فيها!!

وصف الأسـتاذ جمال بدوي رحمه الله الصراع الذي كان قائمـًا بين جمال سـالم وعبد الحكيم عامر وشمس بدران وحمزة البسيوني وبين عامر وناصر بأنه يشبه عهد المماليك وسماهم المماليك الجدد حيث تدبر المؤامرات والدسائس فكل مجموعة تتربـص بالأخرى وأنه لا فرق بينهم وبيـن قطز وأقطاي وكتبغا إلا في المدي الزمني ما تعليقك؟

لا تعليق سوى أن جمال بدوي رحمه الله كان صاحب أسلوب عذب في كتاباته التاريخية.. وأن مجموعة على صبري مارسـت اختصاصات واسـعة عقب إصابة عبد الناصر بأزمة قلبية في عام 1969 بعد مهاجمة إسرائيل للزعفرانة.

شخصية جمال عبد الناصر الأسـطورية بلغت حد التقديس الذي لا يمس الذات بأي نقد عند البعض بينما كان البعض الآخر لا يرصد إلا كل سلبيات العهد ويختزلها في شخصه كيف يمكن تقييم عبد الناصر بصورة موضوعية؟

جمال عبد الناصر هو صانع ثورة يوليو وفي ذلك لا يماري أحد.. فهو أشـد الجميع إخلاصًا لأفكاره الوطنية وأهمها طرد الاحتلال الإنجليزي في بلد ردد فيه السـفير الإنجليزي مرارًا أنه

باق في مصر طالما بقيت الأهرامات أما القومية العربية فقد ولدت (ناصرية) بطبعها وحركات التحرر والاستقلال العربي والأفريقي والوحدة مع سوريا والإنجازات التي تحققت في الداخل في المجال الصناعي والزراعي والسد العالي كلها أمور تتحدث عن نفسها وغيرها عشرات الأعمال لا ينكرها إلا جاحد.. ولكن عبد الناصر الذي لم تكن المادة يوماً شاغله لم يكن وحده على الساحة فالأشخاص والأحداث لهما دور أساسي عند التقييم.

إذا ناشدنا موهبتك الشعرية في اختزال وتكثيف المعاني فكيف تصف أعضاء مجلس قيادة الثورة؟

أجاب بعد تفكير عميق محمد نجيب: «في ميدان القتال شجاعة الأبطال وبراءة الأطفال في ميدان السياسة». جمال عبد الناصر: «بالمغامرة تتحقق الآمال.. بينما الرئاسة هي الهدف الذي دائمًا في البال». يوسف منصور صديق: «لا يفل الحديد إلا الحديد.. ومن الخطأ إظهار البطولة والبأس ولقد وجدت نفسك في النهاية وراء الشمس». أنور السادات: «التظاهر بالخنوع والاستكانة في البداية.. قد يكون هو السبيل إلى السلطة في النهاية». زكريا محيي الدين: «رجل الأمن الهمام هو الذي صام عن الكلام خمسين عامًا من الأعوام». عبد المنعم أمين: «الدبلوماسي البعيد عن العين يظل دائمًا بعيدًا عن القلب». جمال سالم: «التعامل بالضرب والشلوت مع البشر لابد أن ينتهي بصاحبه في بطن الحفر». صلاح سالم: «من العجيب أن العاصفة الهوجاء لها قلب ناصع البياض». حسن إبراهيم: كبر دماغك وكن في حالك تنجو بنفسك من المهالك». عبد اللطيف بغدادي: «الرجل العاقل ذو الحكمة والاتزان لابد من استبعاده من الميدان». كمال الدين حسين: «لا تكن لينا فتعصر ولا صلبًا فتكسر والسلطان هو من بعد عن السلطان». خالد محيي الدين: «حرصت على ألا تتداخل وأن تظل بعيدًا عن المشاكل لكنها وصلت إليك في الخارج والداخل». حسين الشافعي: «المكر والدهاء تغلبا على الفروسية والكبرياء فوجدت نفسك تحتضن الهواء». عبد الحكيم عامر: «الصعيدي الجدع الذي حاز القوة والشعبية وتعلقت به الآمال فضاعت كلها في الرمال».

في نوفمبر 1954 أطاح مجلس قيادة الثورة بمحمد نجيب لأنه طالب بعودة الأحزاب وتطبيق المبدأ السادس من الثورة أي إقامة حياة ديمقراطية سليمة.. لماذا استعصت الديمقراطية حتى أن غالبية المجلس وافق على استبعاده؟

بدأت الأزمة بين نجيب وناصر في فبراير 1954 واضطر عبد الناصر إلى الاستعانة بمجموعة المدفعية التي كان يتزعمها محسن عبد الخالق وحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة 15 عامًا ثم أفرج عنه لكي يضمن وقوف السلاح إلى جانبه في الصراع المحتدم إثر قبول استقالة محمد نجيب التي قبلها جميع أعضاء مجلس القيادة باستثناء يوسف صديق وخالد محيي الدين وعبد المنعم أمين.. لكنه عاد مرة أخرى تحت ضغط المظاهرات التي اجتاحت مصر وشوارع الخرطوم أيضًا في اليوم التالي 27 فبراير مرة أخرى للسلطة، وفي مارس 1954 صدرت عدة قرارات تكتيكية مؤقتة فتم إطلاق حرية الصحافة و إعلان عودة الأحزاب وهادن عبد الناصر الإخوان المسلمين في تلك الفترة وأطلق سراح ما يقرب من 500 معتقل من رجالهم بعد قرار حل الجماعة في يناير 1954.. في محاولة لتحييد الإخوان - وكانوا أخطر أعدائه - عن هذا الصراع بل إنه قام برفقه صلاح سالم بالتوجه لزيارة حسن الهضيبي المرشد العام لتهنئته بالإفراج عنه!! ولم يدم شهر العسل طويلًا.

لذلك يقال إن قرارات مارس 1954 التي كانت تطالب بعودة الجيش إلى ثكناته وعودة الأحزاب وحرية الصحافة والديمقراطية استمرت فترة قصيرة لكن كان لها من الأصداء ما هو أعمق من حيزها الزمني؟

القرارات بالفعل طرحت فكرة الديمقراطية وقد بلع الطعم الكثيرون مثل يوسف صديق (بطل الثورة) الذي اعتقل عقب كتابة مقالة في جريدة المصري يطالب فيه بتشكيل وزارة ائتلافية يرأسها د. وحيد رأفت.. وكان قد فرضت عليه الإقامة الجبرية ولكن في أبريل 1954 عقب صدور القرارات بشهر تم اعتقاله لمدة 13 شهرًا وسجن معه بعض أقربائه ومن ضمنهم تلميذ في الصف الثاني الإعدادي وسجنت زوجته في سجن الأجانب، وظل في الإقامة الجبرية بعد الإفراج عنه حتى عام 1956 وكذلك تعرض للمصاعب العقيد أحمد شوقي قائد الكتيبة 13 التي قامت بالبطولة الرئيسية ليلة الثورة و إحسان عبد القدوس بسبب مقاله في روزاليوسف وكان عنوانها (الجماعة السرية التي تحكم مصر)

هذا يأخذنا لمسألة لم يتم حصرها بالتواريخ الفعلية في معظم الكتابات وأعني استبعاد أعضاء مجلس قيادة الثورة تدريجيًا.. فهل كان الأمر مقصودًا؟

أعضاء مجلس القيادة الذين بعدوا واستبعدوا كانت أسباب خلافاتهم مع عبد الناصر

ومجلس القيادة تختلف من شخص لآخر وكان في طليعة من استبعدوا يوسف صديق وعبد المنعم أمين وذلك في فبراير 1953 بسبب عدم رضائهما عن تصرفات المجلس في قضية المدفعية.. ثم خرج اللواء محمد نجيب في نوفمبر 1954 عقب إلغاء قرارات مارس ومظاهرات عمال النقل التي طالبت بسقوط الديمقراطية وفي أبريل 1954 استبعد خالد محيي الدين وفي أغسطس 1955 تم استبعاد صلاح سالم.. وفي يونيو 1965 حصل جمال عبد الناصر في الاستفتاء الشعبي على نسبة تأييد بلغت 99.9% وأصبح مجلس القيادة منحلًا وعبد الناصر رئيسًا وصاحب السلطة الشرعية في البلاد.

. ولكن مجلس القيادة كان يضم أعضاء بارزين اشتبكوا في الكثير من الأحداث فكيف تأتي لهم ذلك بدون صفة رسمية بعد حل المجلس؟

حقيقة الأمر أن ستة أعضاء من مجلس القيادة الذي تم حله ظلوا يعاونون جمال عبد الناصر بصفته رئيس الجمهورية في صورة أوامر وتكليفات مباشرة وهم: أنور السادات وحسين الشافعي وزكريا محيي الدين وعبد اللطيف بغدادي وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم أما المشير عبد الحكيم عامر فكان القائد الأعلى للقوات المسلحة وظل في حالة صفاء لا يشوبها أي شائبة مع عبد الناصر منذ قيام الثورة وحتى عام 1965حيث باغتنا العدوان الثلاثي وكان ما كان فطلب ناصر من عامر استبعاد بعض القادة المسئولين عن الأخطاء فرفض عامر.

إنها أزمة أهل الخبرة والثقة وهل المشير عامر كان مهيئًا لهذا المنصب العسكري الرفيع؟

عبد الحكيم عامر - رحمه الله - كان دفعتي عندما قامت الثورة كان كلانا رائدا.. ولكني استكملت دراستي في الخارج وحصلت على أكثر من فرقة عسكرية.. أما عامر فقد كان أول قرار يوقعه محمد نجيب هو ترقيته من رتبة رائد إلى لواء ولكن ظلت عقلية الرائد ومعلوماته العسكرية تحكم جميع قراراته المصيرية أما لماذا تولي هذا المنصب الخطير فلأنه كان من أقرب أصدقاء عبد الناصر وكان الأخير يريد ضمان ولاء الجيش التام وكان عامر يحظي بشعبية جارفة في الجيش حتى أنه كان يصرح بأن عبد الناصر إذا أراد أن يبادله الرئاسة فلن يوافق ويترك الجيش!! أما شمس بدران الذي تولي منصب وزير الحربية وكان مرشحًا في يوم من

الأيام لرئاسة الجمهورية فمعلوماته كانت معلومات قائد فصيلة أي مسئول عن ثلاثين من العساكر!!

ولكني أتساءل عن النتائج الفعلية التي ترتبت على تفضيل أهل الثقة على أهل الخبرة؟

لقد أدي ذلك إلى انفصال السودان بعد أن كان على وشك الاتحاد مع مصر وكان المسئول (صلاح سالم) بينما لم يضطلع المشير عامر بأهمية الدور المنوط إليه في مشروع الوحدة مع سوريا وكان حاكمها آنذاك حتى أن مدير مكتبه عبد الكريم النحلاوي كان من ابرز أعضاء الانقلاب العسكري الذي تم هناك ضد الدولة وطرد المشير ورجاله من سوريا وانتهت الوحدة عام 1961 بهذه النهاية المؤسفة بالإضافة لإخفاقات حرب اليمن وهزيمة 1967 والكثير من القضايا الإستراتيجية التي لم يتوافر لها الخبراء!!

هل حقًا استخدمت إسرائيل نفس الخطة العسكرية (قادش) في كلا الحربين 1965 - 1967 حيث علق موشي ديان على ذلك معللًا السبب بأن العرب لا يقرءون؟ يبدو الأمر مأسويًا ويذكرني بعبارة ديجول عن تشرشل: أنه كان رائعًا خلال سنوات الحرب فقط وهذا ما افتقدته القيادة العسكرية لدينا وقت الحرب؟!

هذا ما حدث وقد حاول عبد الناصر بعد الانفصال عن سوريا إبعاده واستبعاد من تسببوا في الانفصال ولكن عامر كان دائمًا نصيرًا لرجاله في الصواب والخطأ واهتدي عبد الناصر لإنشاء مجلس الرئاسة عام 1962 خصيصًا لإبعاد عامر عن القوات المسلحة حيث اشترط أن من يتولي هذا المجلس من أعضاء مجلس قيادة الثورة القدامي لا توكل إليهم أي أعمال تنفيذية ولم تنجح مساعي عبد الناصر وتصدي عامر وأعوانه لإرادة عبد الناصر وبقية أعضاء مجلس القيادة القدامي ووصل الأمر إلى تقديم عامر لاستقالتين في سبتمبر ونوفمبر 1962.. فاضطر ناصر لاسترضائه خشية تمرد القوات المسلحة وانقلابها ضده!

لكننا لم نكن نتخيل أن جمال عبد الناصر كان حليمًا إلى هذه الدرجة وقد وصف مرارًا بالشدة وصلابة الرأس؟

عبد الناصر كان يستمع لزملائه أحيانًا بصدر رحب حتى أن كمال الدين حسين قال له

في أحـدي المـرات «يبقي الكلام ده في المشـمش» وفي مرة أخرى «اتق اللـه».. حين تسربت أخبـار التعذيب في السـجون!! كـما أن عبد النـاصر كان حليمًا جدًا مع عامـر وعقب عودة عامر عن استقالته عام 1962 عاد أكثر قوة وأوسع نفوذًا وذهب إليه عبد الناصر في بيته لإثنائه عن هذه الاسـتقالة التهديدية وأصبح لقبه نائب القائد (الأعلى) للقوات المسـلحة بعد أن كان القائـد العام فقـط.. فدائمًا كان يخرج ظافرًا من كل أزماته مع عبد الناصر نتيجة لازدياد قوته وسـطوته ونفوذه ومن ثم نفوذ رجاله في الجيش وفي جميع أنحاء البلاد حتى أصبحوا يشـكلون أخطر مراكز القوي.

ولمـاذا لم يبحث الرئيـس جمال عبد الناصر عن شـخصية بديلة وكان الجيش يزخر بالعديد من الأسماء اللامعة؟

جمال عبد الناصر كان دائم السـعي لإحداث شيء من التوازن إزاء هذا الوضع المستحكم فعين صلاح نصر رئيسًـا للمخابرات وشـمس بـدران وزيرًا للحربية عـام 1966 ظنًا منه أنهما سـيعيدان الأشـياء إلى وضعهـا الطبيعي وسـيكون ولاؤهما له ولكن عبد الحكيـم عامر أصدر قرارات منح من خلالها شـمس بدران جميع اختصاصاته على أن لا يسأل بدران إلا أمام المشير فقـط وهكذا رجحت كفة ميزان المشـير وبدران وصلاح نصر أمـام كفة عبد الناصر.. حتى جاءت الهزيمة في 1967 وكان ما كان وتنحي عبد الناصر وكان المشـير يتمني أن يذكره في بيان التنحـي.. لأن الشـعب أعاد نـاصر قبل أن ينتهي مـن خطبته.. ولكن تم تعيـين الفريق محمد فوزي قائدًا عامًا للقوات المسلحة.

على غرار هذه الصراعات التي تمت بين ناصر وعامر ورد في مذكرات عبد اللطيف البغدادي أنه أثناء نقاشـه مع عبد الناصر احتدم الخلاف بينهما حول موضوع ما فقال له عبد النـاصر: «هذه الثورة ليسـت لها قاعدة شـعبية تعتمد عليها وليس هناك من يؤيدها لا من الشعب ولا الجيش وان الذين قاموا بها 90 ضابطًا وأنهم في تنـاقص مستمر حتـى أصبح عددهم 50 ضابطًا يقول بغدادي وعلقت على كلامه بقولي: معني ذلك أننا نفرض أنفسـنا على هذا البلد فرد ناصر بالإيجاب» ما تعليقك على هذا الجزء من مذكرات بغدادي؟

عبـد اللطيف بغدادي رحمه الله كان يكتب يوميـات ومذكراته وكتاباته بصفة عامة من

أصدق ما قرأت لأن الكثير من الأحداث التي عشتها وجدتها تتطابق مع رصده لها.. لكني لا أعلم شيئًا بالتحديد عن سياق هذا الحوار الثنائي وخلفياته!!

هل هناك وقائع محددة استلهمت منها قصة فيلم غروب وشروق الذي تدور أحداثه قبل الثورة؟

كنت متأثرًا كضابط من الضباط الأحرار بحالة القمع وكبت الحريات التي تسبب فيها بعض رجال الثورة لأننا غامرنا بحياتنا من أجل أمن واستقرار بلادنا وكانت الرواية في حقيقتها بمثابة إسقاط على فترة ما بعد الثورة فيمكن اعتبار «عزمي باشا» رئيس البوليس السياسي هو إبراهيم إمام الذي تولي هذا المنصب قبل الثورة أو صلاح نصر بعد الثورة.. وقد قام بأداء الدور العملاق محمود المليجي وكان من أروع أدواره وكذلك دور زوجة الطيار الذي قامت به (سعاد حسني) ووجدها زوجها في منزل صديقه وهذه القصة حدثت بالفعل ولكن لا يمكن الإفصاح عن أصحابها بالأسماء!!

لماذا تم تجاهل حصر الضباط الأحرار حتى عام 1972 حيث صدر القرار الجمهوري بذلك؟

هذا ما حدث في الواقع حيث تم تحديد معاش وزراء للفئة الأولى (وأنا منهم أول الأسماء في الكشف) وفئة ثانية معاشها يبلغ مائة جنيه ولكن ما حدث أن قرار المعاش لم ينفذ ولم أحصل على معاش وزير ويبلغ عدد أفراد الفئة الأولى 99 ضابطًا والفئة الثانية حوالي 150 ضابطًا تقريبًا ولكن من المؤسف أن كل الأمجاد وأوسمة النيل ذهبت لمجلس القيادة وبعض من لم يشترك في الثورة وأصبحوا في قمة السلطة.. بينما بعض الضباط الأحرار حالتهم كانت ضنكا عضهم الفقر بأنيابه وقد صادفت أحدهم يعمل سائقًا لتاكسي.. فالثورات دائمًا يخطط لها الدهاة ويقوم بها الشجعان وينتفع بها الجبناء.

□□□

4- محافظ القاهرة الأسبق صلاح دسوقي

يكشف سر تعيين الشيوعيين في أجهزة الإعلام!

شمس بدران يدعوني لقضاء سهرات في منزل المشير



ربما كان الانطباع الذي تركه الأستاذ صلاح الدسوقي في نفسي يتجسد في عبارة: «مثل مصر وفدًا رفيع المستوى». السياسي المناضل الذي كان من أبطال مذبحة الإسماعيلية والفارس النبيل الذي غامر بمستقبله أيام الإنجليز.. ومحافظ القاهرة «الخواجة» كما كانوا يطلقون عليه لميوله الدولية فكان يقال أي ضيف لمصر لابد أن يزور الهرم وعبد الناصر وصلاح دسوقي، ويلقي كلمة في مبنى المحافظة!! قام بتطوير مولد السيدة زينب بصورة حضارية حتى أن النيويورك تايمز كتبت عنه.. فصلاح دسوقي شخصية متعددة الزوايا متشعبة المواهب والقدرات.. كان حريصًا على أن يحفظ لقاهرة الستينيات شخصيتها التي مازلنا نتغنى بها.. فهو رجل شق طريقه للمناصب بثقافته لا بالمؤامرات التي كان يتألق فيها البعض.. كان مقربًا من عبد الناصر لزهده في المناصب وحرارة مشاعره التي كان يستشعرها الزعيم.. حين تتحدث إليه تتداعى إلى ذهنك الصورة المشرقة النضرة للقاهرة التي كانت تغتسل في عهده يوميًا بالماء والصابون وتبدو شوارعها كالحرير الأسود تضاهي شوارع باريس ولندن وروما في بهائها ورونقها.. والأهم ناسها.. فالرجل كانت لديه قناعة بأن التشييد والبناء لابد أن يخضع للتخطيط ولفلسفة ما.. من مواليد 1923 تخرج من كلية البوليس عام 1944 عُين مدرسًا بكلية البوليس ثم أركان حرب بوزارة الداخلية وعمل مع جمال عبد الناصر أثناء وزارة الأخير للداخلية عام 1953.. أُختير سكرتيرًا عامًا للحكومة المركزية أثناء الوحدة مع سوريا ثم محافظًا للقاهرة من 60 - 1965 وكان أصغر محافظ في مصر.. أنشأ

كورنيش حلوان والمنطقة الصناعية واستعان بمكتب فني على مستوى عال ومهندس أمريكي لتخطيط القاهرة.. قام بإنشاء طريق صلاح سالم.. ساهم مع كمال رفعت في تأسيس مكتب «مكافحة الجاسوسية».. كان عضوًا في نادي السلاح الملكي قبل الثورة ومن أبطال مصر في رياضة الشيش (الرابع عالميًا) انتخب رئيسًا لاتحاد السلاح عام 1960 ورئيسًا للنادي الأهلي 1962 وعين سفيرًا لمصر بفنلندا عام 1965 - 1968 ومستشارًا بالأمم المتحدة حصل على بطولات في البولو والاسكواش والفروسية.. وعضو بمركز الدراسات الإستراتيجية بلندن.

كيف بدأت علاقتك بالضباط الأحرار خاصة أنك كنت من ضباط البوليس القلائل الذين اقتربوا منهم في البداية؟

كان تجاور كليتي الحربية والبوليس يمنحنا فرصة الاختلاط والتعارف آنذاك ومعظم الدفعات في الكليتين كانت تربطهم صلة ما، كان صديقي الصدوق كمال رفعت - رحمه الله: من ضمن الحراسة الخاصة للملك فاروق ومن الضباط الأحرار ومسئولًا عن المخابرات في منطقة القناة بعد الثورة وكانت تربطني صلات زمالة وجيرة بعبد اللطيف بغدادي وجمال سالم وعقب تخرجي في كلية البوليس عام 1944، تصادف أن حيدر باشا وزير الحربية آنذاك - وهو بالأساس كان ضابطًا بالبوليس - أراد تغيير صورة مصلحة السجون. فأخذ على عاتقه اختيار ضباط رياضيين فارعي الطول من كلية البوليس وأثناء اشتراكي في إحدى المباريات الرياضية شاهدني المدرب الفرنسي وعرض عليّ الاشتراك في نادي السلاح الملكي لأنني كنت متفوقًا في لعبة الشيش فوافقت على الفور لأنها فرصة كبرى تتيح لي تدريبات مستمرة - وطلب حسنين باشا رئيس الديوان الملكي أن يلعب معي - عقب تخرجي تهيأ لي أنا وكمال رفعت الاختلاط بالفريق عزيز باشا المصري حيث قبض عليه أثناء محاولته الهروب من مصر أثناء الحرب العالمية لأنه كان مواليًا للألمان ومناوئًا للإنجليز وحين فشلت تلك المحاولة التي اشترك فيها أنور السادات تم إلقاء القبض عليه وتوليت أنا وكمال رفعت حراسته.. وكنا نتحدث إليه كثيرًا وبهرتنا شخصيته.. فهو موسوعة تمشي على قدمين كان محط إعجاب كل رجال الثورة وبمثابة الأب الروحي لهم جميعًا وهو من أهم الشخصيات التي غيرت مجرى حياتي فنصحني بالقراءة قائلًا: العقل مثل أي عضلة في الجسم إذا لم يتم تمرينها بالقراءة والتفكير تضمر وتضعف.. والمأساة في بلادنا أن السياسيين لا يقرأون! وتدريجيًا بدأت اسمع عن تنظيم الضباط الأحرار وتطورت الأمور حتى

أن جمال عبد الناصر كان يقوم بتخبئة بعض الأسلحة في منزلي وفي غرفة نومي تحديدًا.. فقد كنت عضوًا في السلاح الملكي وأسافر للخارج للاشتراك في المباريات ولم أكن عرضة للشبهات وحين قامت الثورة كنت أمثل مصر في دورة الألعاب الاوليمبية بهلنسكي.

منحت منصب أركان حرب وزارة الداخلية.. فلماذا ابتعدت عن الداخلية بعد هذا اللقب المستحدث؟

كنت في كلية البوليس برتبة يوزباشي وانتقلت للداخلية حيث تولى عبد الناصر بعد انتقالي بفترة قصيرة وزارة الداخلية عام 1953 لمدة ثمانية أشهر تقريبًا وهو الذي أصدر هذا المسمى الجديد - وعهد إليّ بتامينه على المستوى الشخصي وكان دائمًا يذكرني أنه لا يريد أن يواجه نفس مصير النقراشي أي الاغتيال في بهو وزارة الداخلية على يد أحد المتطرفين من الإخوان المسلمين.. بالإضافة لمهامي الأساسية في الوزارة وأهمها إحباط كل محاولات التجسس والتآمر لأن بعض التنظيمات السرية والجهات الأجنبية كانت تعتقد أن الثورة لن تستمر أكثر من ستة أشهر.. وسرعان ما ستقوم ثورة مضادة وقد نجحنا في إحباط العديد منها وأهمها محاولة «عاطف نصار» وآخرين للقضاء على مجلس قيادة الثورة بأكمله وهي المحاولة المعروفة بقلب نظام الحكم واستطعت أنا وكمال رفعت إحباطها في عهد وزارة زكريا محيي الدين.

الصداقة أو المودة التي نشأت بينك وبين عبد الناصر هل كان مبعثها وجود جوانب مشتركة فقط أم درجة عالية من الصدق في العلاقة إضافة لعدم توليك مناصب رسمية باستثناء منصب محافظ القاهرة وسفيرا بالخارجية فيما بعد؟

منصب محافظ القاهرة كان يعني الكثير بالنسبة لعبد الناصر وكان عنده أهم من وزير الإسكان والشئون الاجتماعية على حد تعبيره، فيما يتعلق بالصداقة فهي تتطلب شيئًا من الندية.. وحقيقة الأمر أن عبد الناصر كان إنسانًا ذكيًا متفتحًا مولعًا بالقراءة إلى أقصى درجة واذكر أن جمال سالم قال لي يومًا أنه يسبقهم بمراحل في مستوى تفكيره ووعيه. عبد الناصر كان يحتفظ بمسافات غير مرئية بينه وبين الناس لكن يمكننا القول أن حب القراءة وتبادل المعرفة هو ما جمع بيننا وخلق نوعًا من التوافق فكنت أتحدث معه بكل صراحة وكان بطبيعته يميل لسماع الآخرين والإنصات لآرائهم حتى لو كانت مخالفة لآرائه.. وكثيرًا ما كنا نتناقش في فترة الصيف بالإسكندرية في حضور عبد الحكيم عامر وحين تكررت تلك المناقشات

طلبت منه أن انشرها في الجرائد لكي يقرأها الناس و يعرفون كيف نفكر فوافق وقال والله فكرة حلوة و إذا حدث خطأ سنقوم بتصو يبه ونشرت هذه المقالات في الأهرام والجمهور ية وكنت أرد على بعض مقالات الأستاذ هيكل.

ما أهم المواقف التي تركت بصماتها في حياتك أثناء فترة عملك في الداخلية؟

مواقف عديدة تتدرج من مطالبتي عبد الناصر بالاستعانة بأحد الكلاب المدربة لحراسته لأن الحارس قد يغفل، لكن الكلب بحاسته القو ية لا يفعل، فهو يعطي درجة عالية من الأمن ولكن بشرط أن يقوم صاحبه بإطعامه بنفسه - فضحك قائلًا: « يا صلاح هو أنا بأكل العيال علشان أأكل الكلب! «واتفقنا على أن نحضر حارسًا برفقة الكلب ومن الطريف أن معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا يقلدون عبد الناصر في كل شيء فيما يتعلق بالأمور الحياتية ولا أنسى بالطبع التحقيقات التي أجريتها مع أحد أقطاب الإخوان المسلمين وأكثرهم أهمية الداعية سيد قطب حيث كان يجري على ألسنتنا تعبير في الداخلية يقول الإخوان نزلوا تحت الأرض» وكان يعني تدبيرهم لأمر ما.. خاصة تنظيماتهم السر ية و إطلاق هذا التعبير على شخص ما يعني أنه لا وجود له في منزله أو عند أصدقائه كأنه فص ملح وداب وتعرضنا لهذا الموقف مع سيد قطب لفترة من الزمن ولم نعثر عليه إلا مصادفة في حلوان، وكنت أقوم بالتحقيق معه في السجن الحربي وتصادف أننا كنا في رمضان فسألته ماذا ير يد أن يفطر فاندهش وقال أن معه بقسماط في الشنطة و ير يد فقط كوبًا من الشاي وغادرت السجن وتوجهت إلى منزلي وعقب الإفطار سألته لماذا اندهش حين سألته عن الطعام فقال: لأنني أعلم أن الداخل مفقود في السجن الحربي! فقلت له: ليس عندي، سوف تسمع تعذيبًا وصراخًا مدو يًا بالطبع لكنه صادر عن التحقيقات التابعة للقسم الحربي.. وكنت قد قرأت معظم منشوراته وأعلم أنه مفكر كبير - لكن كان له تأثير خطير على الشباب لأنه شأن أي صاحب حقيقة مطلقة لا يقبل النقاش وتلك هي البذور الأساسية لتخدير الوعي، فلا شك أن أخطر شيء عدم مناقشة الأفكار لكنه لم يكن إرهابيًا ولم اكتشف أي شيء ضده وأخبرت عبد الناصر بذلك وأفرجت عنه مع بقية الإخوان الذي هادنهم عبد الناصر آنذاك وقتيًا قبل أن يقع الخلاف الكبير بينهما، وأثناء فترة المد السوفيتي في مصر.. ذاقوا الأمر ين في السجون على يد شمس بدران فكان يسومهم العذاب ألونًا.

معظم من تحدثت معهم عن الرئيس عبد الناصر يشيدون بأخلاقياته على المستوى الشخصي وأنه كان مستمعاً جيداً.. فما الذي طبع صورة مغايرة لذلك بين عامة الناس هل علاقته بالمشير بكل ما تحمله من سلبيات هي السبب وراء ذلك، فالحكمة تقول: قل لي من هو صديقك أقول لك من أنت؟

عبد الحكيم عامر كان أكبر نقطة ضعف في حياة عبد الناصر وهو ضعف شاهدته بعيني ومبعثه اعتزازه بالصداقة القديمة بينهما.. عبد الناصر صعيدي حتى النخاع وكانت صداقته بالمشير لا تضاهيها أي صداقة أخرى في حياته ولكن المشير لم يحرص أو يقدر ذلك فرجاله كانوا يتطلعون للسلطة. اذكر أن سكرتيري أخبرني ذات يوم أن شمس بدران يريد مقابلتي فقلت له: شمس بدران شخصيًا أنه يحكم ويتحكم في الجيش، دعه يدخل على الفور واستقبلته بترحاب وفاتحني الحديث قائلًا: أبقى مر علينا. إحنا بنكون عند الراجل كل ليلة!! قلت له راجل مين؟ قال: المشير بنلعب طاولة ونسهر ونشرب، قلت له: أنا رجل رياضي حياتي منتظمة لا أشرب ولا أدخن ثم أنه لا يوجد مجال للكلام الخاص بيني وبين المشير!! قال: يا سيدي كلمة في أي شيء، ثم علمت أنه مهتم بتكوين شلة خاصة به مقابل شلة علي صبري!! وقد عاصرت بحكم عملي أيام الوحدة مع سوريا - وكنت سكرتيرًا عامًا للحكومة المركزية بين الدولتين - ما فعله المشير ورجاله في سوريا من تجاوزات.. وفي أحد الأيام طلب مني عبد الناصر الحضور إلى منزله على الفور فذهبت ووجدته غاضبًا وأمامه ثلاثة ملفات فقلت له: ما هذا يا سيادة الرئيس.. فأخبرني أنها تسجيلات قام بها سامي شرف لرجال المشير يقولون فيها أنه كفاية عليه لحد كده - أي عبد الناصر - وأن الراجل بتاعنا (المشير) لابد أن يمسك البلد!!

إذا كانت العلاقة قد وصلت إلى تلك الهوة السحيقة فلماذا لم يسحب سلطاته، ماذا كان ينتظر؟

كان من طبع عبد الناصر إذا حدثه شخص بوشاية أو قص عليه شيئًا أن يواجهه بهذا الشخص وعلى الفور تحدث مع عبد الحكيم في الموضوع واستدعاه إلى بيته وصالحه المشير وقال له رقبتي لك يا ريس بل إنه أصر على أن يصحبه ودعاه للعشاء في بيته وذهب عبد الناصر وكان رجال المشير حوله وقال لهم لن أضع لقمة واحدة في فمي إلا بعد توضيح هذا الأمر وبعد جدال صالحوه واعتذروا، مؤكدين أنهم من رجاله.. فهذه الواقعة تكشف لك عن مدى الضعف

الإنسـاني الذي كان يشعر به عبد الناصر تجاه المشير ولا يعزي ذلك لأي شيء آخر قد يستنتجه البعض من خيالاتهم.. ولكن ترتب على ذلك الكثير من المآسي والمبكيات التي تجلت في 1967.

لماذا لم تبدوا رأيكم ورفضكم لهذا الوضع.. خاصة أنه أعطاك الفرصة حين حكى لك الحكاية بنفسه؟

لقد صارحته بأبعد مما تتخيلين بعد أن انتهى في اليوم التالي من استكمال القصة وما حدث بينه وبين رجال المشير في منزله، صمت لحظة شحذت فيها صراحتي التي يعهدها وكان ينشدها دائمًا في حديثنا وفاجئته قائلًا: لو كنت مكان المشـير لفعلت أكثر من هذا.. فالمشـير يمكن أن يسـتعين بدبابتين يضعهما أمام بيتك وطائرة هليكوبتر تهبط عموديًا تصحبك بعد إلقاء القبض عليـك إلى بـرج العرب مثلًا ويخرج المشـير معلنًا في الصحف أنك مريـض وبعد مرور ثلاثة أشـهر يسـتولي على الحكم!! وفي الحال برقت عيناه وظهرت ملامح الاستغراب والتعجب على وجهه ورد بكلمة واحدة: تفتكر!! قلت لو لا.. ولو تمر سـوى أيام قلائل حتى اسـتعان بمائة دبابة تقف في المنطقة العسـكرية خلـف منزله وكلف الليثي ناصف بمسـئولية حمايته وحماية منزلـه، على أن يتلقى تعليماته منه مباشرة لا من المشـير وكانت تلك الواقعة من كبرى إمارات الضعف.. لأن الدبابات لا تحمي الرئيس!!

الفريق عزيز المصري كان هو الأب الروحي للثورة، فلماذا كان لا يأخذ مشورته خاصة في الشدائد؟

يبتسـم بدبلوماسية: عزيز المصري كانت له شعبية وكل شـعبية كانت تقتطع من شعبية الرئيس على حد تعبير علي صبري ولو أكن موافقا لهذا الرأي وكنت أعتقد أن الشـعبية تضاف لشـعبية الرئيس ولكـن تفكير علي صبري في هذه النقطة كان هو الأصوب فحين سـأل عزيز المـصري عبـد الناصر لمـاذا يتخوف من الاقـتراب من الاتحاد السـوفيتي، وكان ذلـك في بداية الثورة.. أقترح عليه عبد الناصر أن يرسـله سـفيرًا إلى موسـكو وقبل عزيز المصري واشترط أن يصحبني أنا وكمال رفعت فرفض عبد الناصر.. وتم إرضاؤه حين رشـحت د. مراد غالب طبيب الأنف والأذن آنذاك والذي كنت أعلم أنه متخصصًا في الدول الشـيوعية بالسـفر معه وأصبح هو سفيرنا التالي في موسـكو.

لماذا انغمسنا في علاقتنا بالاتحاد السوفيتي فيما بعد إلى درجة التماهي؟

عبد الناصر كان معجبًا بتيتو لأنه قاوم لينين وستالين وبينهما كيمياء خاصة فارسلني إلى يوغوسلافيا لدراسة النظام الاشتراكي الذي رفض تيتو تسميته بالشيوعي و إعطاني عبد الناصر ما يقرب من مائة سؤال لكي أستفسر عنهم خاصة من فيلسوف الحزب (كردال) وكتبت تقارير بمعاونة الزملاء فحدثني علي صبري يستفسر عن سبب ذكر كلمة المعارضة في التقارير فأخبرته أن النظام اليوجوسلافي يتضمن معارضة داخلية هدفها حماية التنظيم من الانهيار - وقلت له أعرض الأمر على الرئيس وبعد يومين جاءني الرد.. لا يوجد شيء اسمه معارضة.. وكنت قد أبديت اعتراضي لعبد الناصر على الفكرة التي يقوم عليها التنظيم الطليعي من تجسس وكتابة التقارير وأخبرته أنها قد تصلح للدول الشيوعية الصناعية لكنها لا تتماشى مع طبيعة الشعب المصري وعاداته الدينية والاجتماعية، فالتقارب مع روسيا ترتب عليه أشياء عديدة.. كنا نعتمد عليهم بصفة أساسية في استيراد القمح والسلاح، أذكر وأنا محافظ للقاهرة أن علي صبري - كان رئيسًا للوزراء - اعترض لأنني أصدرت قرارًا بتمليك المساكن الشعبية مقابل زيادة القيمة الإيجارية الشهرية بنسبة 5 % لكي يحافظ الناس عليها حين يشعرون أنها ملكهم.. وقال هذا القرار ضد الاشتراكية وسيفسد أشياء أخرى عديدة.

الآن فهمت لماذا تغنى العندليب بهذه الكلمات «يا عديم الاشتراكية.. يا خالي المسئولية» فالابتعاد عن الاشتراكية كان سبة كما يبدو؟

يبتسم قائلًا: زيارة خرشوف لمصر عام 1964 ترتب عليها أشياء جوهرية عديدة فقد طلب من الأستاذ هيكل قبل أن يأتي إلى مصر الإفراج عن جميع الشيوعيين من السجون وحين حدث خلاف بينه وبين الرئيس العراقي قال لا يوجد شيء اسمه القومية العربية.. وقال عبارة تهمك على المستوى المهني سأختم بها الحديث ولكن كمال الدين حسين كان من أكثر أعضاء مجلس الثورة اعتراضًا على ذلك الاتجاه وكان دائم القول لعبد الناصر هل قمنا بالثورة لكي نسلمها للشيوعيين؟ فيرد عليه عبد الناصر الشيوعية تكرس لديكتاتورية العمال لكننا ندعو للتقارب بين الطبقات والعدالة الاجتماعية وكانت القوانين في صف العمال ونسبة الـ 50 % مأساة لأنها تسببت في قوة العمال و إضعاف الإدارة وتراجع التصنيع لأننا نقلناها بلا ترو،

فالعمال في الخارج معظمهم متعلمون كما رأيت في تلك الآونة تمت بهدلة العائلات الكبرى عمدًا لخلخلة نفوذها كما حدث مع عائلة الفقي في كمشيش!!

كنت أصغر محافظ في مصر وأول محافظ للقاهرة عقب صدور قانون الحكم المحلي ما أبرز النقاط التي تحملها تلك التجربة؟

قام عبد الناصر باختياري لأنه اشترط أن يكون المحافظ شخصية معروفة وكنت كذلك بحكم منصبي كسكرتير عام للحكومة المركزية.. وأجيد اللغات الأجنبية ومنزلي مفتوح للجميع. فكان لا يتطلع لأن يكون المحافظ معنيًا فقط بنظافة المدينة وعدد المدارس وتوفير المياه ولكن سياسيًا مشرفًا لبلاده، وكان يتمنى أن تكون القاهرة أهم عاصمة في المنطقة.. حيث وصل تعداد السكان آنذاك 3.5 مليون نسمة وكانت الميزانية المخصصة لها عام 1962 مثلًا 27 مليون جنيه وكانت ثالث ميزانية بعد ميزانية الجيش والتعليم عدد الطلاب 580 ألف طالب كانت الشوارع تغسل يوميًا بالماء والصابون في المساء وكنت اعتزم تنفيذ مشروع مترو الأنفاق عام 1962 ونشر هذا الكلام في الجرائد عقب زيارتي لبعض العواصم الأوروبية والولايات المتحدة حيث التقيت بعمدة نيويورك ووزير الخارجية راسك وروبرت كينيدي وفيلي برانت عمدة برلين ودعوت في القاهرة المؤرخ البريطاني الشهير توينبي.. كانت هناك معاناة من مواسير المياه والمجاري المتهالكة وكانت تنفجر بالضغط لأنها صناعة روسية غير مرنة، لكني أعتز بأنني قمت بشق شارع صلاح سالم وكان أول اختراق للمدافن وهو اليوم شريان الحياة في القاهرة وأذكر أن صلاح سالم كان مريضًا وزاره عبد الناصر في مستشفى المعادي فأوصاه بعدم السير في جنازته لأن الروس يعتزمون التخلص منه وأنهم عرضوا عليه أثناء زيارته لموسكو أن يقوم بهذه المهمة ويتولى الحكم بدلًا منه فرفض.. ثم عرضوا الأمر على المشير فوافق والعجيب أن عبد الناصر أحضر المشير إلى المستشفى وواجه بكلام صلاح سالم - وحين توفى سألني المشير هل ستقوم المحافظة بعمل شيء أم سلاح المهندسين التابع لنا؟ وتوليت الأمر ورفضت أن يكون الشارع اتجاهًا واحدًا وأصررت على أن يتم وفقًا للقياسات الدولية اعتبارًا لما يستجد مستقبلًا!! وكانوا يطلقون على المحافظ الخواجة وتم اتهامي بالرجعية.

هل ندمت على صراحتك أحيانًا؟

ربما ندمت على سوء التقدير حين أُخذ رأي وأشرت على عبد الناصر بعدم إجراء انتخابات

مفتوحة حرة لمجلس الشعب أول مرة وأخذ رأي جريدة الأهرام والأخبار والطحاوي وطعيمة أيضًا وشرحت أنه إذا حدث ذلك في الشرقية مثلًا سيدعم تجار المخدرات بعض المرشحين فقرر إغلاق الدوائر ولم تكن هناك مخصصات مالية للأعضاء حتى أن كمال رفعت حين عين نائبًا وتقاضى سبعين جنيهًا اشتكى فقرر ناصر تعيينه عضوًا بمجلس إدارة إحدى الشركات ولكن فيما بعد زورت الانتخابات بالكامل.. وأراد محمود الجيار سكرتير عبد الناصر أن يكحلها فعماها تمامًا حين أفتى بقوله: سيادة الرئيس إذا تمت انتخابات حرة وحصلت على 60 ستكتب الصحف الأجنبية أن 40 % من الشعب المصري ضد عبد الناصر فكانت المقولة تأسيسًا للإحصائية الشهيرة للانتخابات 99.9 %.

نعود للحديث الذي تم بين عبد الناصر وخرشوف الذي أشرت إليه ويبدو أنه مسك الختام؟

أثناء الحوار بينهما فاجأ عبد الناصر خرشوف بأنه سيقوم بحل الحزب الشيوعي المصري.. فغضب خرشوف وقال لن يكون ذلك أبدًا.. فأنا سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفيتي ولن أسمح بذلك فوضح له عبد الناصر الأمر وأنه سيقوم بتعيين أبرز الأعضاء في المناصب القيادية في كافة وسائل الإعلام. هنا انفرجت أسارير خرشوف لأنه شعر أنه باق في مصر لسنوات طوال مهيمنًا على العقول والأفكار ولن ينتهي سلطانه إلا بظهور برويسترويكا - جورباتشوف.



صلاح دسوقي يتسلم جائزة نادي السلاح الملكي من الملك فاروق

5- أحمد حمروش

عبد الناصر أرادها اشتراكية بلا اشتراكيين!

رفض قرار تقسيم فلسطين أكبر غلطة ارتكبها العرب



كيف اشتبكت ثورة يوليو بالفكر الاشتراكي فى الستينيات من خلال القوانين الاشتراكية التى تغنى بها العندليب الأسمر (بستان الاشتراكية) الأستاذ أحمد حمروش (1921) من أقطاب الفكر الشيوعى فى مصر نناقش من خلال حوارنا معه.. فكر الستينيات الذى عفا عليه الزمن وفقًا للحتمية التاريخية والموروث البيروقراطى الذى كان من أهم العلامات التى ميزت المرحلة (المركزية) التى مازلنا نحاول التصدى لها.. والتى كانت لا تتيح لصاحبها حيازة أكثر من خمسة فدادين وتسمح له بعشرة مناصب.. زخم الستينيات الثقافى والأدبي بتناقضاته العميقة المتمثلة فى رحابة الأفق وتعدد الرؤى وسطوع قمم الريادة فى كافة المجالات يقابلها ضيق الصدر بحرية الرأى.. وكانت تعنى أيضًا دماثة الخلق والثقافة الرفيعة والقراءة المتعمقة.

هي السياسة تجربة فى غاية الجحود.. فغلطة واحدة تكفى لطمس كل الحسنات.. ولكن الرأى العام فى مصر فى الحقبة الناصرية كان يتسم بتماسكه وقوته الضاغطة التى وصلت إلى حد رجاء السلطة البقاء فى موقعها.. بوصفها بوصلة هادية، فذلك أفضل من التيه وعدم تحديد الاتجاه.. نتحدث عن عنفوان الناصرية والسيطرة على مقاليد الأمور بكاريزما غير معهودة تحمل الآن رائحة التراث، فالفلاح الذى تحسنت أحواله فى أوائل الخمسينيات وشهد إنجازات لم تتحقق له منذ عهد الفراعنة كان يعانى تناقضًا لم ينته بصدور قوانين مثل الإصلاح الزراعى،

فالدولة أبعدت التاجر الجشع لكنها حلت محله فى التعاونيات فالتطبيق الاشتراكى ظل بعيدًا عن القاعدة الجماهيرية شأنه شأن أبطال مسرحية «الرباط المقدس» لتوفيق الحكيم حيث تطلب البطلة من حبيبها أن يهبط إلى ملعبها ليرتفع بها كما يفعل الأنبياء والمصلحون دائمًا فهو يهبطون إلى النـاس ويأخذون بأيديهم وقد فعلتها ثورة يوليو بامتياز مع العمال والفلاحين والأغلبية من الموظفين البسطاء.. لكنها أوصدت الأبواب أمام مجال المناقشة وتبادل الآراء.

ربما كانت عبـارات ميكافيللى مازالت عالقة بالأذهان فهو يرى أن الأنظمة الديمقراطية لا تصلح إذا لم يكن الشـعب مسـتنيرًا أو كانت الدولة ناشئة أو (فاسدة)، وكانت كذلك طبقًا للبيان الأول للثورة .

كنــت يســارياً منذ منتصــف الأربعينيــات فكيف اتصلــت بالضبــاط الأحرار آنذاك؟

بداية أنا من أسرة متوسطة من قرية الخوالد بالبحيرة والدى كان رئيس المحكمة الشرعية - ولدت يتيما - وابن عمى كان شـيخا للأزهر.. كان وجود بعض الأقارب من الفلاحين فى ظل ظروف شـديدة الصعوبة يدفعـنى لتأمل الأوضاع يصاحبه عجزى عـن فعل أى شىء إيجابى.. كنـت عضـوًا أيضًا فى مصر الفتـاة وأنا فى المرحلـة الثانوية وانقطعت صلتى بهـا بعد دخولى الحربيـة ولكـن بعد انتهاء الحرب العالمية وإقالة حكومة الوفـد فوجئت بأن محمد بك خطاب عضو مجلس الشـيوخ تقدم باقتراح للبرلمان بمشروع لتحديد الملكية بخمسـين فدانا فسـعدت جدًا عقب قراءتى للخبر فى الصحف وأرسـلت له خطابًا اسـتفسر عن المزيد.. فطلب مقابلتى وأعطانى كتاب «مهمة فى موسكو» وتعرفت على قائد تنظيم (القلعة) الذى أصبحت عضوًا فيه وكانت بداية المسـار تتمثل فى قراءتى المكثفة عن اليسـار والماركسـية وكان فى مصر أكثر من تنظيم مثل اسكرا ولكن اجتمع كل اليسار فى مصر فى منظمة واحدة وهى الحركة الديمقراطية للتحـرر الوطنى والتـى تعرف اختصارًا باسـم (حدتـو) وكانت تقوم بطبع بعض منشـورات الضبـاط الأحـرار وقد عرفنـا بالتنظيم من خلال زميلنـا خالد محيى الدين وكان منتميًا لقسـم الجيش الذى تأسس فى حدتو فيما يتعلق بعبد الناصر فقد كان على صلة بالعديد من التنظيمات السياسـية قبل الثورة.. فكانت تربطه صلة بالإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة الذى أصبح فيما بعد الحزب الاشتراكى وبحركة (حدتو) اليسارية التى أنتمى إليها.

ما هى المهام التى كلفت بها ليلة الثورة.. وهل كانت محددة وفقًا لخطة موضوعة أم أن الأمور كانت عشوائية نتيجة لتسرب خبر الثورة للملك؟

أرسل جمال عبد الناصر شقيقه عز العرب وشوقى إلى منزلى بالإسكندرية يوم 21 يوليو لمقابلته فى القاهرة وشرح لى يوم 22 يوليو أسباب التعجيل بالحركة وطلب منى عدم تحريك أى قوات فى الإسكندرية والحذر الشديد إزاء كل خطوة حيث يوجد الملك والحكومة والحرس الملكى وخفر السواحل والبحرية وكانت موالية للملك.. فأخبرت زملائى بحدتو وقابلت صديقى أحمد فؤاد وذهبنا سويًا لخالد محيى الدين فلم نجده.. كان عند طبيب الأسنان وعدت إلى الإسكندرية.. وتنفست الصعداء حين أذيع البيان الأول الذى كان له مفعول السحر حيث توافد علينا الضباط فى حماسة واستقبلته الجماهير الشعبية بترحاب شديد.. وفيما بعد كلفت من قبل عبد الناصر ومحمد نجيب بمنع اللواء حسين سرى عامر القائد السابق لحرس الحدود من الهروب إلى ليبيا وقد كلف زكريا محيى الدين بوضع خطة الثورة والتنسيق بين الأسلحة المشتركة.. وكان جمال سالم هو الوحيد الذى طالب بإعدام الملك لكننا رفضنا أنا ومحمد نجيب ويوسف صديق وعبد المنعم أمين وصلاح سالم فما كان منه إلا أن سافر بالطائرة إلى القاهرة فى محاولة لإقناع بقية أعضاء مجلس الثورة ولكنهم رفضوا جميعًا!!

يوسف صديق (بطل الثورة) كان يسارياً.. وقد روت زوجته السيدة علية توفيق التى اعتقلت فيما بعد أيضاً لأنها شيوعية أن زوجها كان يعانى من نزيف بالرئة قبل الثورة بيوم وتقابل مع عبد الناصر وعبد الحكيم عامر صدفة بملابسهما المدنية فى الكورية بمصر الجديدة حيث قطع زوجها علبة السجائر وقام برسم خريطة اقتحام مبنى القيادة.. ألا تبدو هذه الصورة أشبه بالمشاهد السينمائية؟

الأمر شديد البساطة فالسبب فى ارتداء عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لملابسهما المدنية يرجع إلى أن عبد الناصر كان مدرسًا فى كلية أركان الحرب وعامر فى سلاح المشاة ولم يكن لهما سلاح ينضما إليه مثل بقية الوحدات التى عُهد إليها بمهام خاصة مع الأخذ فى الاعتبار أن يوسف صديق خرج ساعة مبكرًا عن ساعة الصفر المحددة.. ولا أجد غرابة فى رسم خطة الاقتحام على علبة السجائر.. فعبد الناصر وعامر كانا أدرى بمبنى هيئة الأركان وربما قاما بتوضيح بعض الأمور له.. فالثورة كان بها الكثير من لحظات التوفيق من الله وبعض الحظ وكنا دائمًا نقول (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

ما هو موقف عبد الناصر من التنظيمات اليسارية قبل الثورة وبعدها؟

هذا سؤال يطول شرحه وله تاريخ ولكن عبد الناصر كان قد قرر قرارين بصفة مبدئية فى مرحلة تشكيل الضباط الأحرار وبعد الثورة مباشرة، الأول: أن يشمل التنظيم جميع ضباط الجيش بكافة أطيافهم من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وهو فكر جبهوى يهدف التعبئة والحشد طالما توافرت النوايا الوطنية وكان القرار ناضجًا للغاية.. أما القرار الثانى الذى اتخذه بعد الثورة فكان يقتضي ممن كان ينتمي لتنظيم ما (إخوان - شيوعية) ترك تلك التنظيمات.

علاقة عبد الناصر بالإخوان مرت بأكثر من منعطف وبلغت حد العداء السافر من كلا الطرفين فكانت هناك محاولة لاغتياله فى المنشية أنكرها الإخوان وادعوا أنها تمثيلية.. فى المقابل كانت هناك حملة واسعة من الاعتقالات ضد الإخوان.. لماذا ساءت العلاقة بهذا الشكل؟

تاريخ الإخوان وثيق الصلة بالاغتيالات منذ اغتيال أحمد ماهر والنقراشى والخازندار وتفجير مبنى محكمة الاستئناف وضيق الأفق سبب لهم العديد من المشاكل.. وقد كنت حاضرًا أثناء إلقاء عبد الناصر لخطابه فى شهر أكتوبر بالمنشية عام 1954 وفجأة انطلقت طلقات الرصاص من مسدس الإخوانى (محمود عبد اللطيف) وكان بينها وبين عبد الناصر 30 سنتيمترًا فقط وأصابت محامى سودانى كان بصحبة عبد الناصر فى شرفة مبنى البورصة القديم.. فانفعل بشدة وتحول لكتلة مشتعلة تطلق نارًا وحممًا وكانت أبرز كلمات الملامة والعتاب أنه هو الذى علم المصريين الكرامة.. وحدث هرج ومرج وخرجت الجماهير فى الشوارع.. لذلك كان حذرًا منذ بدايات عهده من أى انقلاب مضاد.. لأن الانقلاب يبدأ بطلقة رصاصة.. وفى اليوم التالى قمت بزيارته فى استراحته بشاطئ ستانلى وكان حزينًا للغاية لأنه لم يتخيل أن يحاول مصرى اغتياله.. فلم تكن تمثيلية على الإطلاق ولكن الإخوان دأبوا على إنكار هذه المحاولة الفاشلة لأنها تربطهم بالدموية والإرهاب ولنا أن نتخيل ماذا كان سيحدث لو نجحت المحاولة.. وقد قام ناصر بعزل محمد نجيب عقب الحادث بشهر واحد.. لأنهم حاولوا الارتباط به واستقطابه.

انهارت الشيوعية بسرعة فائقة كالدومينو وكأنها كانت صرحًا من خيال فهوى فهل كانت تراودك نظرات تشاؤمية حيال مستقبلها أم تعتقد أن اليسار كان يجب أن يلتقى باليمين لإطالة أجلها؟

يبتسم فى سخرية قائلًا: الجواب الأمثل لسقوط الشيوعية على يد جورباتشوف لابد أن تصاحبه عبارة «فتش عن المرأة» حيث كانت زوجته (رايسا) هى القوة الدافعة له ولم يكن بدوره مخلصًا للمبادئ بالصورة الكافية إضافة إلى أن الظروف والعوامل التى تضافرت من سلبيات النظام الشيوعى مثل قهر الحريات لم ترجح كفة الإيجابيات التى حصدها المجتمع الروسى مثل العلاج والتعليم.. فيما يتعلق بالتقاء اليمين باليسار فهذا ما حدث مؤخرًا حيث لجأت أمريكا إلى الصين.. وهى تطبق الاشتراكية كنموذج عملاق للتقدم والمنافسة الاقتصادية بصورة غير معهودة حتى إن أمريكا استلهمت بعض الحلول والفروض من جعبتها ولجأت لنفس الوسائل الاشتراكية وتدخلت الدولة ودفعت الأموال للبنوك منعًا للانهيار.

هل عانيت من الوقع السيئ لكلمة (شيوعى) فى الحياة العامة.. فالاسم - عفوا - كان مرادفًا أحيانًا للعمالة والثورية.. فكان يكفى أن يقال فلان شيوعى ليكون ذلك فصل الخطاب؟

تاريخ عداء الشيوعية فى مصر ارتبط بالوجود الاستعمارى الإنجليزى والنظام الملكى وهما أعدى أعداء الشيوعية ولكن النظرية الماركسية على المستوى الفكرى تستحق التقدير وإن اختلف تطبيقها من بلد لآخر.

الإخوان المسلمين أساءوا للشيوعية لأنهم حاربوها من منطلق أنها مبدأ هدام وضد الدين فمن الذى يساعد أو يتعاون مع إنسان معادى للدين والحقيقة أن الإسلام فيه مبادئ اشتراكية تتمثل فى حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - (الناس شركاء فى الماء والنار والكلأ) فالشيوعية لا تتنافى مع الدين.

ولكن الحديث باسم الفقراء والمهمشين أصبح تجارة رائجة يتحدث باسمهم الأغنياء لنوايا مختلفة.. فاليسار فى مصر ليس له هوية محددة فالكل يتحدث باسمه ألا ينم ذلك عن وجود خلل فى النظرية والتطبيق؟

الاشتراكية كلمة كان لها وقع السحر فلا يجب أن ننسى أن حكم هتلر النازى كان يدعو للاشتراكية الوطنية.. ولكنها اشتراكية ذات توجه يمينى متطرف..

ولكن عبد الناصر كانت لديه قناعة بأن الاتحاد الاشتراكى هو الصيغة الملائمة لتجنب دموية الصراع الطبقى ولكن الصراع لم يختف وصرح فيما بعد بأن الأساس الذى بنى عليه الاتحاد القومى لم يكن سليمًا بل إنه ضد العقل والطبيعة أيضًا وقال حرفيًا: كنا طيبين جدًا وعاوزين نلم الإقطاعي اللى أخذنا منه (1000) فدان مع الفلاح اللى وزعنا عليه خمسة فدادين.

وبصفتك كنت عضوا مؤسسا فى جهاز طليعة الاشتراكية لماذا وجه عبد الناصر نقده لهذه التجربة التى لم تؤت ثمارها وهل كان ينقد بمثل هذه الصورة العلنية؟

سأبدأ من النهاية.. نعم عبد الناصر كان كثير الاستماع والإنصات لمختلف الآراء.. وقد صدر عنه أكثر من نقد ذاتى لبعض التجارب.. فهو رجل متواضع وبسيط.. ولكن الاتحاد القومى حين تأسس.. استمد فكره كتنظيم سياسى فى قلب الاتحاد الاشتراكى من البرتغال أثناء الحكم الفاشى للديكتاتور (سالازار) الذى حكم حكمًا مطلقًا مدة 34 عامًا وانتقلت التجربة إلى يوغوسلافيا أيضًا أما كلمة الاشتراكية فقد ظهرت فى القاموس السياسي للثورة عقب مؤتمر باندونج.

هل تعرض كمال الدين حسين للعتاب من عبد الناصر لأنه قال إن اشتراكيتنا هى اشتراكية التمليك وليست اشتراكية المصادرة؟

نعم عاتبه عبد الناصر وأستند إلى أننا لا نعرف الظروف كيف تقودنا فى المستقبل ربما اضطررنا للمصادرة وهو ما حدث بالفعل ولكن المشكلة أن الذين طالبوا بالاشتراكية قبل الثورة كانوا معتقلين فى سجون الوادى الجديد تلاحقهم الاتهامات حين أطلقت هذه الكلمة من عقالها فيما بعد.. وبدأت الثورة الاجتماعية الجديدة وحلم الإصلاح الذى كان يراود عبد الناصر بعيدًا عن أهل الاختصاص فكمال الدين حسين كان إخوانيًا لم يترك الإخوان وكان شديد التحفظ فى كل الأمور التى تتعلق بالدين لا يتجاوز حدود الاجتهاد والتفتح العقلى حتى إنه أصدر قرارًا عام 1954 عند توليه وزارة الشئون الاجتماعية بضرورة بدء المكاتبات بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وختامها بالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. فمن الصعب أن تطبق الاشتراكية بدون الاشتراكيين.

إذن لم تكن هناك أيديولوجيا واضحة.. فلماذا لم يرتبط عبد الناصر بفكر محدد يضمن سلامة تطبيقه ولماذا كانت الرؤية غائمة؟

حين عهد إلينا أنا وأحمد فؤاد بالاشتراك فى تأسيس جهاز طليعة الاشتراكية كنا نعلم سلفًا ما ننوى تنفيذه وقمنا بتجنيد عشرات الشخصيات التى تصلح للعمل السياسى واستقطبنا معظم العناصر الشيوعية والذين أفرجت عنهم المعتقلات قبل زيارة خروشوف لمصر عام 1964 حتى لا يكون هناك حرجًا من اعتقال الشيوعيين.. وكان شعراوى جمعة هو الأمين العام للجهاز.. ولم يكن عبد الناصر يريد أن يرتبط بأيديولوجيا معينة مثل كاسترو مثلًا، فقد كانت شخصية تيتو أقرب إليه وهو شيوعى لكنه ساهم فى تأسيس منظمة عدم الانحياز وكانت علاقاته متوازنة مع الاتحاد السوفيتى وأمريكا وقد صرح عبد الناصر لأمين هويدى ذات مرة «بأنه يستطيع بناء حزبًا حقيقيا إذا أراد» ولكن يبدو أنه لم يكن يريد حزبًا قويًا.. لأن ذلك يخلق نوعا من المشاركة فى السلطة من خلال المناقشات الحزبية المعروفة بصراحتها فعبد الناصر كان يهدف لإزالة نفوذ الطبقة البرجوازية.. وفى نفس الوقت لم يتم تغليب طبقة العمال.. ولكنه فى كل الأحوال كان من أصلح من عمل لفئات الشعب من العمال والفلاحين والبسطاء.

وهل حدثت بعض الأخطاء الجوهرية عند صدور قوانين التأميم والقوانين الاشتراكية عام 1961؟

ذكر عبد اللطيف بغدادى وهو (صديق) وزكريا محيى الدين أن تأميمات 1961 لم تعرض على أعضاء مجلس القيادة السابقين فى جلسات عمل رسمية.. وعرض الموضوع فى جلسة واحدة وقام عبد الناصر بالإعداد لمشروعات التأميم بالتنسيق مع عبد المنعم القيسونى وحسن عباس زكى وكلاهما بعيدا عن الاشتراكية.. وإذا لم يقتنع الإنسان بمبدأ أو فكر فكيف يطبقه وتمت استشارة الزميل أحمد فؤاد (الشيوعى) عند تأميم بنك مصر.. أما عزيز صدقى - وزير الصناعة - فقد كان بمنأى عن مناقشات عبد الناصر مع الوفد النيجيرى واكتفى بالتأشير له على الدليل الصناعى لتأميم بعض الشركات حتى تكون للدولة رقابة عليها وصدرت القوانين فى الصحف دون أى حشد جماهيرى للأفكار ولكن الأغلبية من البسطاء سعدت بها كثيرًا.

ما هو الشعور الوطنى الجارف الذى دفعه للعمل على تحسين أحوال الفقراء والعمل وحده دائمًا لتحقيق هذه الأهداف النبيلة ألم يكن هناك تناغمًا فكريًا بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة؟

عبد الناصر كان العقل المنظم والمدبر للثورة منذ بدايتها وحين قامت الثورة كانت كل ما تملكه هو الأهداف الستة والتى تعتبر شعارات.. وتحتاج لبرامج عمل.. فالطبيعة العسكرية فى شخصية عبد الناصر كانت تدفعه فى مواقف عديدة للعمل للصالح العام ولكنه لم يكن فيلسوفًا ولكن ثوريًا جامحًا كما ذكر زكريا محيى الدين إضافة إلى لمعان شخصيته عالميًا وداخليًا فهو سريع التعليم والإفادة من المناهج الفكرية الجديدة والتصدى للمشاكل بكل جدية.. فتطور كثيرًا عن زملائه وتزامن مع صدور هذه القوانين ظهور هذا الكم الهائل من رؤساء مجالس الإدارات والتكنوقراط والبرجوازية الصغيرة ولكن فى عام 1962 قرر عبد الناصر إصدار الميثاق وضمنه كل المشاريع والأفكار السياسية والاجتماعية وعهد إلى حسنين هيكل بصياغتها وتبويبها وكان أول دليل عمل مكتوب تستند إليه الثورة وكان ينوى تعديله عام 1970 ولكن مشيئة الله كانت أسبق.

يقال إن كل كاتب متورط فى نصه الأدبى والأمر كذلك بالنسبة للسياسى.. فما هى التفسيرات التى يمكن كشفها فى شخصية جمال عبد الناصر والتى من شأنها إضاءة النص التاريخى لتلك الحقبة؟

جمال عبد الناصر كان رصينًا.. قليل الكلام.. بارعًا فى اجتذاب زملائه وهم بدورهم لم تكن تجمعهم مدرسة فكرية واحدة.. فقط مجموعة من الأفكار الوطنية.. لكنهم فى النهاية كانوا دعاة إصلاح.. تميزت شخصية عبد الناصر بالحذر الشديد نتيجة لعمله فى التنظيم السرى للضباط الأحرار وظلت هذه السمة تغلف معظم تصرفاته فقد روى لى صلاح نصر على سبيل المثال وكان مديرًا لمكتب عبد الحكيم عامر بعد تعيينه «قائدًا عامًا للقوات المسلحة» أن عبد الناصر لم يبلغ المشير عامر بقرار تأميم قناة السويس إلا وهما متجهين إلى الإسكندرية يوم 25 يوليو 1956 قبل التأميم بيوم واحد فقط، وعاتبه عامر بأنه كان يجب أن يعلم مسبقًا وتتم استشارته بصفته مسئولًا عن القوات المسلحة لتوفير الحماية اللازمة لقرار كهذا ولم يستشر صلاح نصر أيضًا حين أصبح رئيسًا للمخابرات العامة حين قرر عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية عام 1966 نتيجة

للدعاية المضادة ضد مصر من السعودية والعرب ولم يصدر القرار نتيجة لتقدير موقف خطير كهذا وما ترتب عليه من عدوان إسرائيل فى 1967 خاصة فى أوائل عهد الثورة كان عبد الناصر يخشى دائمًا من حدوث انقلاب مضاد.. وكانت الانقلابات المضادة فى سوريا والعراق لا تبعث على الطمأنينة.. إضافة لقضية ضباط المدفعية فى مصر.. وقد اعتقلت بسببها!!

لماذا؟

لم أكن ضالعًا فى هذا الشأن على الإطلاق ولكن بناء على تقارير غير صحيحة تم اعتقالى لمدة 45 يومًا فى سجن الأجانب وقال لى عبد الناصر اسأل زكريا محى الدين من الذى كتب ضدك؟ وقال زكريا: أفرجنا عنك لأن سيرتك لم تأت على ألسنة الشهود. أما عبد الحكيم عامر فدهش قائلًا: هل مكثت 45 يومًا فى السجن دون أن تشاهد النساء؟ فقد كان رحمه الله شخصية إنسانية شديدة اللطف والمرح ينتمى لأصول طبقية نسبيًا عن زملائه فهو ابن عمدة لكنه ليس شخصية عسكرية.. أصر عبد الناصر على تعيينه قائدًا عامًا نتيجة لصداقتهما حيث كانا يسكنان فى شقة واحدة قبل زواجهما وكان هذا القرار نقطة تحول هامة فى العسكرية والأقدمية.. حيث فتح الباب على مصراعيه أمام الصلات الشخصية فى المؤسسة العسكرية، فى البدء رفض نجيب القرار وكاد يستقيل.. لكنه أذعن فى النهاية خاصة أن القرار تم ربطه بإعلان الجمهورية وتعيين نجيب أول رئيس لها، واذكر أن جمال عبد الناصر تخلف عن حضور أحد اجتماعات الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى وأناب عنه المشير فبدأ الاجتماع بقوله (نتكلم فى أى حاجة على ما قسم)!!

ولكن بالرغم من هذا فالمشهد عهد إليه بالعديد من المناصب الأخرى فكان رئيسًا للجنة السد العالى واللجنة الاقتصادية ورئيسًا للجنة تصفية الإقطاع والأغرب من كل ذلك رئيسًا لاتحاد كرة القدم.. فما علاقة الترقيص فى منطقة (18) بالمناورات العسكرية.. بالجدوى الاقتصادية، إضافة إلى حياته العامة ولم تكن عادية بدورها.. أما كمال الدين حسين فكان وزيرًا للإدارة المحلية إلى جانب ثمانية مناصب أخرى.. هل كانت هناك ندرة فى الكفاءات إلى هذه الدرجة؟

يبتسم الأستاذ أحمد حمروش فى هدوء ويقول: كانت الفرصة متاحة أمام أى شخص يتطلع للقيام بدور ما فى الحياة العامة من رجال الثورة وقد أصدرت بدورى مجلة (التحرير) عام 1952.. وكانت معظم مناصب كمال الدين حسب تدور فى إطار التعليم.. لكنها كثيرة بالطبع..

فيما يتعلق برئاسة المشير للجنة تصفية الإقطاع فقد اكتسبت اللجنة طابعًا عسكريًا وكانت وسائل التطبيق التى استخدمت أكثر حزمًا من تلك التى طبقت على الإصلاح الزراعى وعدم تطبيقه بما يفيد الفلاح والاقتصاد القومى. إضافة إلى أن الأغلبية لم تنتبه لفكر عبد الناصر آنذاك ولم يكن يهدف بدوره تأميم الأرض على حد تعبيره لأننا نملك ستة ملايين من الأفدنة. ولكن توزيع خمسة أو عشرة أفدنة من شأنه أن يساعد على تحقيق الاشتراكية!! كانت توجد تناقضات بين الفلاحين فيما بينهم وبين الإقطاعيين أيضًا ولم تكن قوانين الإصلاح الزراعى هى الحل دائمًا بالرغم من نواياها الحسنة!!

تم إلغاء الأحزاب عام 1953 ومصادرة أموالها لصالح الشعب بدلاً من إنفاقها فى بذر بذور الفتنة والشقاق كما جاء فى البيان الذى صدر آنذاك وأعلن عن فترة انتقال ووعد بحكم ديمقراطى سليم.. فلماذا غفلت الديمقراطية ثمانية عشر عاماً فى سبات عميق.. بالرغم من الشعبية الجارفة التى كان يتمتع بها عبد الناصر؟

عقب الثورة مباشرة انهارت أسماء سياسية بارزة وظهرت البراجماتية السافرة للعديد من رجال ما قبل الثورة حتى أن عبد الناصر ذكر فى «فلسفة الثورة» ذلك وعبر عنه بقوله: «أن كل رجل قابلناه لم يكن يهدف إلا لقتل رجل آخر» ولكننا يجب أن نعى أن الثورة منذ بدايتها لم تتحرك حركة واحدة بإستراتيجية معلومة أو متكاملة.. فظهرت هيئة التحرير فى البداية لملء الفراغ السياسي وأعلن عبد الناصر أنها تنظيم لقوى الشعب لكنها ليست حزبًا يجر المغانم على الأعضاء ويتطلع للحكم.. وظلت العبارات الإنشائية هى المسيطرة على الإطار العام للعمل السياسي.. ولم تلتحم بها القاعدة الشعبية.

ذكر فتحى رضوان أن جمال عبد الناصر كان راضياً تماماً عن شعبية محمد نجيب فى بداية عهد الثورة.. لأنه استطاع أن ينسى الناس زعامة تاريخية مثل زعامة النحاس التى عاشت أكثر من ثلاثين عاماً.. فلماذا لم يتمكن محمد نجيب من فرض شخصيته استناداً لهذه الجماهيرية؟

كانت الثورة مثل الضوء الساطع وبالفعل نسى الناس ما قبلها فى نشوة فرحتهم بها.. ولكن محمد نجيب كان يستند لهذه الكاريزما الربانية لكنه لم يكن مؤثرًا بأفكاره فى الساحة السياسية.. فكان بسيطًا.. لكنه لم يسع لتكوين مجموعة موالية له فى الجيش وكانت صلته

بالقوى السياسية ضعيفة للغاية ومحدودة.. فعبد الناصر على سبيل المثال كان يرصد ويحلل الهتافات الجماهيرية أثناء زياراته للمدن والمواقع فى محاولة لمعرفة انتماءاتها السياسية.

ولكن كانت هناك بعض التصرفات التى تتسم بالغرابة والتهور؟

هناك أمور تحدث بالمصادفة وأشياء تم إعدادها من قبل البعض، فقد روى لى صلاح نصر أنه تصرف من تلقاء ذاته فى قضية المدفعية أثناء عمله مديرًا لمكتب المشير، واتصل بعلى صبرى وطلب منه إخراج طلعة جوية تجوب السماء فوق معسكر سلاح الفرسان لا نزال الرهبة فى نفوس الضباط حيث كان يجتمع فى مكتب عامر بعد الناصر وبعض أعضاء مجلس القيادة، وحين سمع عامر أزيز الطائرات نزع رتبته وألقاها على الأرض وقال لصلاح نصر تفضل وتعال اشتغل قائدًا عامًا بدلًا منى. وصوب مسدسه إليه ومنعه جمال سالم.

متى نبتت فكرة السلام لدى الرئيس جمال عبد الناصر.. يقال إن ماركس لو عاش أثناء حكم ستالين لخالجه الشك فى نظرياته.. ترى ماذا كان يقول عبد الناصر لأنصاره الذين يرفضون السلام؟

بدأت هذه الفكرة بعد النكسة مباشرة علمًا بأن عبد الناصر لم يكن ساعيًا للحرب فى 1956 أو 1967 ولكن حدث اتصال غير مباشر مع الرئيس جونسون عن طريق السفير الأمريكى فى روما.. وتلقى الملك حسين رسالة من ليفى اشكول رئيس وزراء إسرائيل عن طريق يارنج وسيط الأمم المتحدة وتدخل الإمبراطور هيلاسلاسى أيضًا أثناء زيارة أبا أيبان وزير خارجية إسرائيل لأديس أبابا وكان علاقات عبد الناصر تميل لإحداث توازن بين روسيا وأمريكا خاصة عقب انتخاب الرئيس كيندى وكان إيمانه بأننا نستطيع الحصول على حقوقنا و إدارة الصراع العربى من خلال حرب الاستنزاف والضغط على الحكومة الإسرائيلية باستخدام القوى الشعبية الداعمة للسلام والرافضة للعدوان الإسرائيلى على الأراضى المحتلة.

وهل كانت توجد فى إسرائيل قوى معارضة للسياسة الإسرائيلية آنذاك تسمح بالضغط على الحكومة؟

نعم كانت جبهة أنصار السلام تطالب بالانسحاب من الأراضى العربية والحزب الشيوعى الإسرائيلى (راكاح) كان مؤيدًا للحق العربى وحين أخبرت عبد الناصر بأننى أستطيع الاتصال

بهـذه العناصر لتغيير الصورة الذهنية للعرب وكونهم يريدون تدمير إسرائيل وهدم كيانها فوافق علـى الاتصـال بالعناصر اليهوديـة من أصل مصرى فى باريـس مثل «هنرى كورييـل» أمين عام منظمـة حدتو والذى غادر مصر عقب حـرب 1948 وكان وطنيًا تبرع بمنزله فى الزمالك لسـفارة الجزائر وساعدنى الأصدقاء هناك على الاتصال بشخصيات عديدة مثل الأديب الإسرائيلى عاموس كينان وشـالوم كوهين عضو الكنيسـت ونشرت صحيفة هاآرتس العبرية حديثًا معى عام 1971 وكان أول حديث ينشر لشخصية عربية شرحت فيه الموقف المصرى والعربى من اليهود والتقيت أيضًـا بناحوم جولدمـان (رئيس المجمع اليهودى العالمى) والذى نصحنى بالاتصال بكيسـنجر لان والـدة كيسـنجر - وكانت مديـرة منزلهم - تربطه بـه صلة خاصة وفى خطاب عبـد الناصر عام 1970 بمناسـبة عيد العمال أفصح عن دور العناصر التى تسـاند السـلام فى إسرائيل وقام بالتأشـير على خطاب مرسل منى له بما يلى: حمروش لمواصلة الاتصال بجولدمان ومحاولة أن يكون صديقًا.. فعبد الناصر داعية سـلام هكذا صورته الصحافة العالمية عقب قبوله لمبادرة روجرز نتيجة لحالة الإنهاك التى سـببتها حرب الاسـتنزاف ولكى يعطى فرصة لتحريـك حائط الصواريخ إلى الضفة الغربية ولكنه كان يدرك يقينًا أن نسبة نجاحها لا تتجاوز 0.5% ولأول مرة خرجت المظاهرات فى شوارع الأردن ولبنان تهتف ضد عبد الناصر عقب قبول المبادرة التى لم تصمد طويلًا!!

لمـاذا انفرد الشـيوعيون فى مصر بصفة خاصة بقبول قرار التقسـيم الذى صدر عام 1947؟

رفـض قررا التقسـيم أكبر غلطـة وقع فيهـا العـرب.. لأن بريطانيا كانت تهـدف لدفع العرب واليهود إلى حرب مسبقة، وقد قمت بزيارة فلسطين عام 1945 حيث كنت أدرس فرقة عسكرية هناك ولمسـت مدى انسجام الشعب الفلسطينى من يهود ومسلمين ومسيحيين.. كنا فى غنى عن هذه الحروب.. ولكن الإخوان المسـلمين بصفة خاصة هم الذين أشعلوا الوجدان الوطنى فى مصر إزاء هذه الحرب لكنهم لم يشـتركوا فى الكفاح المسـلح ضد الإنجليز فى القناة عام 1951 مثلًا!!

الاعتقـالات والسـجون كان معظمهـا يتـم بالوشـايات فعلى من يقـع عاتق هذه المسـئولية فالرئيس إذا كان لا يعلم فتلك مصيبة وإن كان يعلم فالمصيبة أعظم كما يقال؟

مجموعة عبد الحكيم كانت مسئولة عن ذلك فى المقام الأول لكننى لا أستطيع أنا أو غيرى إعفاء جمال عبد الناصر من مسئوليته السياسة، كان يعلم قبل النكسة الخطوط العريضة لكنه لم يكن يعلم التفاصيل.. فقد فشلت مقابلات فؤاد سراج الدين معه فى بداية عهد الثورة وكان داعيًا للضريبة التصاعدية لأن الوشاة كتبوا فى الصحف أنه تقابل مع أعضاء مجلس قيادة الثورة ووضعهم فى جيبه و إبراهيم فرج الوزير الوفدى وجهت إليه تهمة الاتصال بجهات أجنبية لأنه كان بصحبة مصطفى النحاس حين جاء نهرو إلى مصر وطلب مقابلة النحاس.. لكن فى الوقت نفسه أقال عبد الناصر المسئول بالسجن حين علم بوفاة الزميل شهدى عطية الشافعى وهو من رواد الشيوعية فى مصر نتيجة للتعذيب. شخصية عبد الناصر اختلفت تمامًا بعد النكسة وأصبح رجل دولة بمعنى الكلمة وأصبحت المخالفة فى الرأى بعد 1967 لا تعنى الإطاحة بالشخص ولكن تغيير موقعه فقط.

خصوم عبد الناصر يقولون إنه أخرج الإنجليز من مصر لكنه عاد وأدخل ما يقرب من نصف مليون روسى بدلًا منهم.. ما تعليقك؟

كان دافعه وطنيًا لحماية مصر خاصة بعد الاعتداءات الإسرائيلية على مدرسة بحر البقر ومصنع أبو زعبل.. كان هناك ما يقرب من 16 ألف مستشار وقد ذكر موشى ديان أنهم حين سمعوا صوت الطيارين الروس يتحدثون مع بعضهم فوق الأجواء المصرية شعروا أنهم أمام قوى عظمى وتراجعوا.. لكن عبد الناصر كان حريصًا جدًا على أن تكون إرادة مصر بعيدة عن السيطرة الأجنبية. فلم يتدخل الروس مثلًا لفرض رئيسًا للوزراء كما كان يحدث أيام الإنجليز!!

من المتناقضات التى تم رصدها فى شخصية الزعيم حرصه على إتاحة أكبر قدر من الحرية للأعمال الفنية الأجنبية.. فقد لجأ إليه سيسل دى ميل مخرج فيلم الوصايا العشر لكى يتدخل لأن فيلمه منع من العرض فى مصر وتدخل بالفعل ولكنه لم يفرض رأيه.. ومرة أخرى تساءل عن السبب فى منع عرض فيلم الممثلة الأمريكية «سوزان هيوارد» أريد أن أعيش وقيل له إنها يهودية تجمع الأموال للصهيونية العالمية فقال: ولكنه فيلم بديع!

فلماذا حظيت هذه الأعمال الأجنبية بالحرية.. بينما الأعمال الأدبية المصرية كانت تتوسل بالإسقاط والرمز طوال الفترة الناصرية؟

لقد توليت رئاسة المسرح القومى وأنتجت عشرات الأعمال لتوفيق الحكيم و يوسف إدريس وسعد الدين وهبة ونعمان عاشور وكانت الستينيات فترة ذهبية لأعمال هؤلاء المبدعين وغيرهم واذكر أنه لم يوجه لى أى نقد أو عتاب و بعض الأعمال كانت تنتقد مثل سكة السلامة والفرافير ليوسف إدريس، ومن الطريف أننى قدمت مسرحية (المومس الفاضلة) لسارتر فلم يعترض إلا الأستاذ صلاح جلال وهاجمنا فذهبنا للأستاذ هيكل بالأهرام وتدخل شخصيًا لإيقاف الهجوم.

ولكنه هو نفسه عبد الناصر الذى صرخ بأن من يتعامل مع أمريكا سيصبح عميلًا وأصبح التعبير متوارثًا على إطلاقه إلى يومنا هذا؟

السبب يعود إلى رفضهم إمدادنا بالسلاح والذخائر التى كنا نحتاجها آنذاك.. و إذا كان البعض يردد أن أمريكا تعنى قمة العسكرية والتكنولوجيا والعلم والفن.. لكنها تعنى أيضًا المخابرات المركزية بتاريخها الشائن فى دول العالم الثالث وما يحدث فى العراق وأفغانستان.

تقابلت مع الزعيم الثورى جيفارا أكثر من مرة فى القاهرة فما الذى رصدته فى تلك المقابلات من انطباعات عن تلك الشخصية الكاريزمية؟

الرجل كان متواضعًا رأيته فى منزل الأستاذ هيكل مثقفًا، وفى منزل إحسان عبد القدوس فنانًا ومع عبد الناصر رجل دولة وعند ابن شقيقى عبد الحميد حمروش على راحته تمامًا ثورى مناضل يجلس على الأرض يدخن 12 سيجارًا فى اليوم.. يتبادل الضحكات مع فتحى غانم ولم يكن يعلم أن ابتسامته الساحرة ستصبح صورة وماركة تجوب الآفاق وتجارة لن تبور تستغلها الرأسمالية - التى كانت ألد أعدائه - على الملابس والسيارات!!

□□□

الأهرام — ١٠ صفحات — ١٥ مليما

انتحر عبد الحكيم عامر

تناول المشير عبد الحكيم عامر كمية كبيرة من مادة مخدرة سامة بعد ظهر يوم الأربعاء قاصداً الانتحار

كان الفريق أول محمد فوزي والفريق عبد المنعم رياض قد ذهبا إلى بيته يدعوانه لسماع أقواله في التحقيقات العسكرية التي جرت فأخبرا دخل إلى حجرة نومه وابتلع المادة السامة

القائد العام ورئيس أركان الحرب اكتشفا أعراض التسمم ظاهرة على المشير فصحباه فوراً إلى مستشفى القوات المسلحة في المعادي حيث جرى إسعافه

انهيار مفاجئ مساء أول أمس تحدث بعده الوفاة والفحوص الأولية تشير إلى احتمال تناوله مادة سامة أخرى

وزير العدل والنائب العام ووكيل وزارة العدل للطب الشرعي يشرفون على التحقيقات في الحادث المؤلم

كلمة للأهرام

البيان الرسمي عن الحادث المؤلم

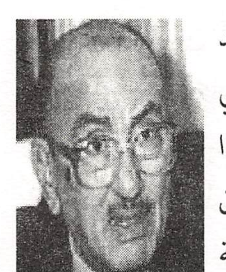


المشير عبد الحكيم عامر وابنته نجيبة

6- وزير الحربية ورئيس المخابرات العامة الأسبق أمين هويدى

السادات لم يقض على مراكز قوى لأنها كانت مراكز ضعف!

اليهود المصريون قدموا لنا خدمات لا تنسى دون مقابل



المخابرات تتعامل مع النيات الخفية والنيات علمها عند الله.. هذه هي خلاصة تجربة الأستاذ أمين هويدي وزير الحربية، ورئيس المخابرات العامة الأسبق وإذا كانت المناصب هي البوتقة التي تنصهر فيها معادن الناس فقد ظهر معدنه النفيس من خلال ارتقائه لذورة المناصب العامة في عهد الرئيس عبد الناصر إضافة لتواضعه، وغزارة علمه.. فهو أول وزير حربية، ورئيس مخابرات يجمع بين المنصبين عقب هزيمة 1967 في فترة من أحرج الفترات في تاريخنا حيث عهد إليه الرئيس عبد الناصر بتصفية دولة المخابرات التي أسسها صلاح نصر، ومن الطريف أنني بمجرد أن ذكرت اسم صلاح نصر أمامه حتى بادرني قائلًا: «يادي صلاح نصر» حوكم هويدي في عهد السادات مع على صبري وشعراوي جمعة، وسامي شرف، ومحمد فوزي عقب ثورة 15 مايو 1971 فهو شخصية سياسية ثرية من مواليد 1921 شارك في حرب فلسطين وحصل على ماجستير العلوم العسكرية من كلية القيادة في ليفي ورث بالولايات المتحدة عام 1955 وهي أعلى شهادة عسكرية في العالم.. شغل مناصب عديدة، وكان سفيرًا في عدة دول عربية.. عشرات الأحداث ومئات القصص لا تزال تحتويها ذاكرته المتوهجة وأبدأ حديثي معه :

اختفى رجل المخابرات والعميل السري بنظارته السوداء والبالطو الشهير كما صورته الأفلام السينمائية وتقدمت الوسائل العلمية بصورة رهيبة وأصبح الإنترنت من أهم وسائل الجاسوسية فهل ممارسة العمل المخابراتي الآن تكتنفها بعض الصعوبات نتيجة لهذا التقدم التكنولوجي الذي أصبح (داء ودواء) في آن واحد؟

الإجابة عن هذا السؤال حتى تكون وافية لابد أن نتطرق لمفهوم المخابرات فرجل المخابرات هو أشرف رجل لكنه يخوض معركة لا يتبادل فيها النيران مع العدو، والآلات الحديثة ليست هي الحاسمة في نتائجها. فالمخابرات معركة مستمرة وقت الحرب والسلم بين العقول وإذا كانت هناك قوانين وأعراف دولية تنظم عملية تبادل الأسرى بين الأعداء إلا أن الوضع يختلف بالنسبة لرجل المخابرات فهو إنسان يوقع شهادة وفاته وهو حي بملء إرادته.. فإذا سقط في أيدي الأعداء فلا قانون يحميه، وهو هالك لا محالة.. وفيما يتعلق بالوسائل المستخدمة فقد تطورت بصورة متقدمة جدًا.. لكنها مازالت تتعامل مع الإنسان كبشر وهو لم يتغير في غرائزه ومشاعره كثيرًا.. فحين تقرئين كتاب «سان تزو» الذى يعود لقبل الميلاد نجده يتحدث عن المخابرات واستنتاجاته البدائية التي تتفق مع وسائل عصره لا تختلف عن هدف أي جهاز مخابرات في العصر الحالي أي الرغبة في معرفة ما يدور في رأس وجوف، وقلب شخص آخر وتعريته مجازًا لكي نخرج بما وراء الضحكة والكلمة أو الحزن المصطنع.. والذي لا يعلمه أغلبية الناس أن جمع المعلومات بالوسائل السرية لا يمثل أكثر من 10 % من المعلومات المطلوبة والنسبة الأكبر متاحة ومكشوفة في الشوارع ووسائل الإعلام والصحف والإذاعات المختلفة فالمعلومات المهمة منتشرة بين الناس والعبرة بكيفية استخدامها وغربلتها وتصنيفها وتجميعها مرة أخرى كالموزييك. فأي جهاز مخابرات لديه أكداس من المعلومات والمعلومة هي خبر مؤكد وجهاز المخابرات الناجح هو الذي يضع أمام صاحب القرار معلومات مؤكدة لا أخبار متواترة. وأنا أفخر أنني عندما توليت مسئولية المخابرات بعد النكسة في ظروف صعبة لم أنصح الرئيس عبد الناصر مرة واحدة أن يعلن حالة الطوارئ.. لكن في النهاية المخابرات تتعامل مع النيات.. فعلى سبيل المثال تنشر الصحف أن فلانًا سيزور بلدًا معينًا وسيقابل فلانًا وفلانًا هذه معلومة مؤكدة.. لكن الشيء غير المؤكد هو الهدف الحقيقي من الزيارة وهذا هو صميم عمل المخابرات.. فالوسائل الحديثة تيسر الأداء المخابراتي لكن يظل الإنسان ونواياه لغزًا عصيًا على أعتى الأجهزة المخابراتية في العالم.

فالمخابرات الأمريكية هي مضرب الأمثال في الكفاءة والإتقان، فمن الكلاسيكيات التي تعلمناها أن CIA تستطيع أن تعلم دبة النملة وأدق الأسرار لكنها تقف عاجزة عن الإمساك ببن لادن وأحيانًا تنجح في الوصول لمعلومات مؤكدة لكن القيادة السياسية لا تستفيد بها بما

يحقق الفائدة المرجوة.. فحين كنت مسئولًا عن المخابرات قمنا بتصوير خط بارليف بعدسات خاصة على بعد 12 ميلًا وعلى ضوء القمر وأوصينا بضربه قبل اكتمال بنائه ولكن أكبر سلبية حدثت في القوات المسلحة أننا تركنا إسرائيل تمضي في بنائه والمؤسف أن القيادة العسكرية كانت تصدر بيانات للقيادة السياسية تفيد بضرب الخط فكنا نقوم بإعادة تصويره وإرسال الصور لعبد الناصر مؤكدين أنه مازال سليمًا ولكن بصفة عامة فالمخابرات تتشكل من كوادر بشرية ولا يوجد أكلشيه لرجل المخابرات فحين قمت بتنفيذ عملية ضرب الحفار الإسرائيلي استعنت بجهات عديدة وأفراد من مختلف الدول حتى أننا حصلنا على معلومات من المخابرات الأمريكية.. بل أن بعض اليهود المصريين الذين تركوا مصر بعد عام 1948 قدموا لنا خدمات جليلة لا تنسى وبعضهم كان يرفض أن يتقاضى أي مقابل مادي نظير شراء أفلام أو كاميرات وهذه شهادة حق للتاريخ. ولكن تظل الدقة هي الصفة السائدة في العمل المخابراتي بصفة عامة.. وتظل مخالطة الناس هي القاعدة الذهبية التي لا تخفق لمعرفة الأمور على طبيعتها دون زركشة وأنا وزير حربية ورئيس المخابرات كنت أحرص على ركوب الأتوبيس من آن لآخر وأشاهد السائق وهو يوقف اتوبيسًا بأكمله.. مليئًا بالركاب لكي يشتري طبق كشري وفي الأتوبيس كنت استمع إلى قصص حقيقية فالناس تتحدث عن الحكومة والوضع العام بدون رتوش وتكون حصيلتي مجموعة من الدروس والحكم والقصص الفولكلورية وفي مجلس الوزراء كان الرئيس عبد الناصر دائمًا يداعبني ويسألني: احك لنا يا أمين ماذا شاهدت في الأتوبيس أمس وبطبعه كان يحب سماع هذه القصص.

هل كان الرئيس عبد الناصر «ودانياً» يستمع إلى الوشايات بآذان مصغية وأن دماغه ساخنة.. وقراراته انفعالية؟

يا نهارك أبيض لابد أن يكون الرئيس ودني يستمع كثيرًا جدًا وتكون أذنه كبيرة مصغية.. عبد الناصر كان مستمعًا جيدًا جدًا لكل ما يقال أمامه والذي لم يفصح أمامه عن آرائه بصراحة يتحمل تبعية ذلك ولا يعنيني من يطلقون تلك الشائعات ولكني أتحدث عما شاهدته أمامي.. كان يستمع بتأن ثم يفكر مليًا فيما يقال وكنا نطلق على رأسه (التقيلة) وكان لا يكابر في تغيير قراره إذا اكتشف عدم صوابه وهذا من عظمة القيادة الرشيدة وقد حدث هذا الموقف معي شخصيًا.

ولكن السياسي الكبير فتحي رضوان - رحمه الله - ذكر في أحد أحاديثه أن الرئيس عبد الناصر كانت لديه قدرة غريبة على تنفيذ قراراته بسرعة عجيبة كما لو كان (حاوياً) فحين يقرر أمراً لا يثنيه أحد؟

هذا ظلم لعبد الناصر فهو بشر وليس ملاكًا ولا شيطانًا ولكنه رجل ثوري طليعي ولا أعني بكلمة ثوري أنه كان يتخذ قرارات هائجة ولكنه كان يعتبر نفسه من نبت الطبقة المتوسطة التي يريد أن يحصل لها على كل المزايا. اذكر أثناء انعقاد أول مجلس وزراء بعد النكسة حين بدأ بعض الوزراء ينتقدونه قال يا جماعة إذا كان البعض يعتقد أن المركب بتغرق و يريد الفرار فهو حر.. الباب يفوت جمل.. أنا انتقدت عبد الناصر من الناحية الموضوعية فقط فيما يتعلق بإبقائه على المشير عامر ووصفت النكسة بالمسمى الصحيح بأنها هزيمة ولم أدافع عنها أبدًا.. فإنتقاد السياسي وأنا رجل استراتيجي لا يجب أن يتطرق إلا للنواحي الموضوعية أما الطبائع الشخصية فكلنا لا يوجد بيننا كامل الأوصاف. والأمر كذلك بالنسبة للرئيس السادات ففي البداية حاول استرضائي للعمل معه ولكني كنت أعلم أن الرئيس لا يعمل برجال غيره ولم أكن من صنيعته، وعلى الرغم من أنني وضعت تحت الحراسة وسجنت في عهده عقب 15 مايو 1971 إلا أنني أتفق معه تمامًا في قبول معاهدة كامب ديفيد.. فقد استنفدنا الوسائل العسكرية آنذاك، والموضوع كان لا يمكن أن يحل بالقوة.

السياسي المتمرس لابد أن يبدل آراءه بعد مضي فترة من الزمن تتبلور فيها الأمور بصورة أوضح ولكن البعض يعتبر ذلك ارتداداً عن المبادئ فكيف نفك هذا الاشتباك؟! وهل ثورة عبد الناصر كانت بلا نظرية، وتعليقك على تعبير الناصرية؟

السياسي الذي لا يغير رأيه لا يعتبر سياسيًا فأي قرار وليد مناخ وظروف خاصة إذا اختلف القرار.. ولكن حين نعود لتقييم سياسات سابقة فأنا انتقد أخطاء المثقفين في الغرف المغلقة المكيفة، وتدخينهم للسيجار وانتقادهم عام 2006 لقرارات وليدة ظروف خاصة في الخمسينيات وفيما يتعلق بتعبير «الناصرية» لا أفضله وأنا ضده و إن كنت أعتز بمبادئ عبد الناصر المتمثلة في الديمقراطية الاجتماعية والسياسية و إيمانه بالوحدة العربية وانحيازه للفقير والفلاح.. عبد الناصر كانت سياسته آنذاك سليمة تمامًا لذلك تمت مقاومته، ولم يمهله الأجل الوقت لإتمامها عمومًا المبادئ تشكل النظرية وهي مصوغه في ميثاق مكتوب.

هل غيرت آراءك في بعض السياسيين وهل تأذن لنا بمعرفة أسمائهم؟

بداية أقصى حرب يخوضها الإنسان هي حربه مع نفسه لترويضها و إخضاعها فالنفس البشرية من أعقد مخلوقات الله وسؤالك يحتاج إلى قاموس لذكر الأسماء التي غيرت رأيي فيها.. لذلك فالأسهل أن أحدثك عن الشخص الوحدي الذي لم أغير رأيي فيه أبدًا وهو «نيقولا ميكافيللي» وكتابه البديع (الأمير) صاحب أشهر عبارة أسيء فهمها (الغاية تبرر الوسيلة) ذلك الكتاب الذي كان موضوع رسالة الدكتوراه لموسوليني.

معقول.. هذا الكتاب يطلقون عليه انجيل الطغاة والمستبدين وميكافيللي هو نبي القسوة والدهاء؟

المشكلة الكبرى أن الناس لا تعلم أن ميكافيللي رجل أخلاق في المقام الأول.. وحين شرع في الكتابة عن السياسة ووسائلها ومبادئها لم يكن هدفه التحريض اللا أخلاقي ولكنه وصف البشر حكامًا ومحكومين بطبيعتهم دون أي تحريف.. وعبارته الغاية تبرر الوسيلة كان يعني بها الدولة والمصلحة العامة ومازال كلامه صحيحًا.

فلتأذن لي بالاستفسار عن تساؤلات عديدة يطرحها مفهومك الخاص لمكافيللي.. لماذا أفرطت المخابرات في عهد صلاح نصر في استخدام النساء وأين الجانب الأخلاقي وهل كنت أحد مراكز القوى ومن هذا المنطلق هل كان السادات محقًا في اعتقالك عام 1971 بتهمة قلب نظام الحكم وهل تم اغتيال عبد الحكيم عامر؟

هذه مجموعة من الصواريخ وليست أسئلة وقطع حديثه عبارة مقحمة من بؤرة الذكريات قائلًا «يادي.. صلاح نصر!!» استخدام النساء أمر معروف وشائع في جميع أجهزة المخابرات.. ولسنا بدعة فهذه القاعدة العامة تفترض أن كل إنسان له ثمن، وحين نضطر للتعامل مع نوعيات خاصة من البشر لابد أن ندرسها جيدًا لكي نعلم نقاط ضعفها لكي نتعامل معها بطريقة مثلى فاستخدام النساء بغرض رشيد كآلة، أو وسيلة أمر يختلف تمامًا عن استخدامها للصالح الخاص وتلك هي غلطة صلاح نصر فهو لم يرشد هذه المسألة فأنا أيضًا كنت أصدر أوامري أيضًا بإجراء بعض التسجيلات الخاصة بهدف تتبع مسألة سياسية تتعلق بالأمن القومي ولكن حين اكتشف أنها علاقة خاصة بين رجل وامرأة.. أتركها وأهمل

الموضوع نهائيًا وأتوقف عن تتبعه. وتحضرني هنا عبارة طريفة أطلقها تشرشل حين ذهب للمشاركة في مراسم دفن وتأبين شخصية سياسية في عهده فوجد هذه العبارة قد نقشت على القبر: هنا يرقد فلان العظيم ذو الأخلاق الرفيعة فقال بسخرية: لم أكن أعلم أن الأخلاق والسياسة يدفنان في تابوت واحد ومثل آخر أضربه في حالة الحرب فمن يحصد أرواحًا أكثر يحصل على أعلى الأوسمة والنياشين والقتل ليس شيئًا جميلًا!! وفيما يتعلق بأنني كنت واحدًا من مراكز القوى فأنا لا أنكر هذا ولكني أعني بها معنى آخر فتعدد مراكز القوى من أهم سمات أي نظام ديمقراطي، في الولايات المتحدة يوجد البنتاجون والكونجرس والخارجية وفي رأيي أن الديمقراطية السياسية دون ديمقراطية اجتماعية من خلال شعب مثقف وواع فهي بلا فائدة فكيف تفسرين وجود 21 حزبًا على الساحة السياسية.. خاضت الانتخابات ولم تحصل إلا على أصوات بعدد الأصابع وبصفة عامة فالديمقراطية التي نعنيها أسطورة وهي لا توجد في أي دولة في العالم حتى الولايات المتحدة.. فالرئيس لابد أن يكون خلفه جهة تمول حملته وتتولى دعمه وبالتالي قراره سيصاغ بعد فوزه للفئة التي تحقق له مصالح ولمن سوف يعطونه أصواتهم وما حدث في «نيواورليانز» وفي إعصار كاترينا هي أكبر فضيحة للديمقراطية لأنها ولاية تقطنها أغلبية سوداء وحين كنت أدرس بها عام 1955 كنت أشاهد اللافتات المنتشرة على بحيرات المدينة تقول: هنا المكان الوحيد الذي يجتمع فيه الأسود والأبيض إشارة للبط السابح في البحيرات فالسياسة لا تعرف الألوان الصريحة الأحمر والأسود والأبيض ولكنها تعرف اللون الرمادي الوسطى أو لغة المصالح الدائمة فالخصام أو المقاطعة من العادات البالية التي لا يصح أن توجد في السياسة.. وأريد أن أوضح شيئًا مهما أن تعبير مراكز القوى أطلق خطأ في وقت كانت فيه هذه المراكز تعاني الضعف.

كيف؟

لأنها لو كانت مراكز قوى حقيقية لما أمكن القضاء عليها وأكبر دليل أنهم (اتقشوا) ولكن السادات كان صائبًا فيما فعل لأنهم كانوا سيأكلونه إذا لم يأكلهم.. لكن بالنسبة لي لم يكن على حق لأنني لم أكن من هذه الجماعة وكنت خارج السلطة ولم أقم بأي عمل يوجب الاعتقال. أما اغتيال عامر فهذه واقعة خالية تمامًا من الصحة فلم نكن نريد قتله ولكن عائلته أرادت تغطية تسببه في الهزيمة والمصائب التي حلت بنا من خلال ادعائهم لقصة اغتياله.

عام 1969 أجرى التليفزيون حواراً معك ذكرت فيه أن الحقيقة تقع في مكان ما في الوسط.. فردت عليك إسرائيل بأن هذا القول هو أضل طريق للوصول للحقيقة فالعالم العربي اعتاد هذه القصة يتخاصم شخصان إزاء مجموع 2 زائد 2، فيقول الأول أربعة ويدعي الثاني أنه سبعة فيحتكمان لشخص ثالث فيقول الحقيقة وسط بين الأمرين فهي بالتأكيد خمسة ونصف.

يضحك قائلًا: على الرغم من أنهم هاجموني لكنها الحقيقة وهذا هو لب العمل السياسي!!

صرح جيمس وولسي مدير المخابرات الأمريكية سابقاً بأن بلاده ظلت لسنوات تعامل شعوب الشرق الأوسط كما لو كانوا عمالاً في محطة بنزين يعملون بأدب دون شكوى من غياب الحريات المدنية في بلدانهم وأنهم اكتشفوا خطأهم أخيراً ويتحالفون الآن مع الشعوب المتعطشة لمزيد من الحريات.. ما تعليقك؟

السياسة الأمريكية اختلفت بالفعل فقد كانوا حتى عهد قريب يعتمدون على الحكام الذين لا يملكون شعبية لكي يضمنوا استقرارهم.. لكن الوضع اختلف الآن فبدلًا من إسقاط الحكام والنظم غير الموالية لهم يلجأون لاستحداث طرق جديدة في الأدب السياسي تكفل تغيير النظم وتعديل أسلوبها دون إسقاط حكامها.

الكاتب الساخر برنارد شو كان يقول: إن الشيخوخة ليست سبباً من أسباب التعاسة ولكنه الفراغ القاتل الذي يتيح للإنسان أن يفكر هل هو سعيد أم لا.. فماذا عن أوقاتك؟

الحمد لله.. فأنا متوازن جدًا مع نفسي.. حياتي مرتبة للغاية استطيع أن أحصل على أي شيء في غرفة مظلمة دون عناء.. القراءة والكتابة في المجال الإستراتيجي هي كل زادي.. أما متطلباتي فهي بسيطة وزهيدة.. لدي يقين أن مؤلفاتي لن تعرف قيمتها الحقيقية إلا بعد وفاتي.

□□□



صورة نادرة للمشير عامر مع زوجته



حوارات وهمسات بين عامر والسادات ويظهر هيكل في الخلفية

7- د. مصطفى طلبة

عامر يتجاهل تعليمات عبد الناصر وأندير أغاندي!

أسباب عدم عودة المبعوثين من أمريكا



د. مصطفى طلبة من أشهر خبراء البيئة في العالم، ومن الأسماء المضيئة التي تزدان بها سماء مصر في المحافل الدولية، ومن أصحاب الرسائل الكبرى الحريصين على أن تكون (القوامة) في الأرض للإنسان لا الطبيعة التي أساءنا إليها بصلف شديد، فانطبقت علينا الحكمة القائلة: «من جار على شبابه.. جارت عليه شيخوخته» د. طلبه من الشخصيات التي تتسم بزخم في سيرتها الذاتية على مستوى الأحداث والعلاقات التي بلغت ذروتها حين آل إليه منصب مساعد سكرتير عام الأمم المتحدة، وهو حكاء بارع أحاديثه تشد العين والأذن لغزارة علمه وبساطة سجيته ورؤيته المستنيرة وعقليته المضيئة واتزانه النفسي الذي تحكمه هندسة داخلية متينة.

انخرط د. طلبة في الشأن السياسي في عهدي الرئيسين عبد الناصر والسادات واشتبك في كثير من الأحداث كشاهد للنفي والإثبات، لكنه ظل كالصارخ في البرية ينعي عدم وجود بحث علمي واحد عن آثار المناخ وارتفاع حرارة الأرض في عالمنا العربي، بالرغم من تحذيراته من احتمالات غرق بعض أراضي الدلتا وشح مياه النيل بنسبة (70 %) وأهمية البحث عن حلول مستقبلية وفقًا لأبحاث وتحذيرات العلماء.

حين ضربت الأقدار معه ضربتها الأخيرة وضع على جبينها قبلة خاشعة لأنها منحته ابنيه التوءم «إبراهيم وكامل»، وهو على أعتاب الثالثة والثمانين ليتعايش مع البراءة في أروع تجلياتها.

تزامن مولدك مع أحداث ملحمية شهدتها مصر.. فما هو حجم الثابت والمتغير بلغة العلم أو مدى القدرية والاختيار في خريطة حياتك؟

أجاب د. طلبة بحسم وعلى الفور: قد تندهشين إذا قلت لك أنني بالرغم من صفتي العلمية لم أخطط لأي شيء في حياتي ولكني كنت أخطط دائمًا لأشياء لا يكتب لها النجاح أو تتخذ مسارات أخرى مغايرة تمامًا.. لكنها كانت دائمًا هي الأفضل ويقيني أن الإنسان عليه أن يستخدم عقله ويحكمه في التخطيط لمستقبله.. لكن يجب ألا يغفل أن ما كتب في الكتاب وما تحمله الأقدار سيكون له دائمًا الصدارة.. فالقدرية تحكمت في معظم أزمنة حياتي منذ كنت طفلًا صغيرًا أنا الوحيد الذي بقى على قيد الحياة لوالديه بعد وفاة أربعة أشقاء.. لذلك كان خوف والدتي مضاعفًا ولكني مع ذلك لم أكن مدللًا.. حينما حصلت على البكالوريا بتفوق «السابع عشر على القطر» أردت الالتحاق بالكلية الحربية فقد كانت حلمًا يخلب لب أي شاب آنذاك حيث الطلعة البهية للضباط بزيهم الوقور الذي تزينه شرائط حمراء كان المطربون يتغنون بها ولم يكن هناك سبيل للالتحاق بالحربية دون اللجوء لكارت توصية من أحد كبار القوم وكان خالي صديقًا مقربًا من على ماهر باشا رئيس الديوان الملكي آنذاك فطلبت منه مساعدتي فأخبرني أن والدتي استحلفته بالله ألا يساعدني في هذا الشأن لأنها تخشى على ابنها الوحيد ولكن عاهدته ألا أبوح بأمر مساعدته وقد كان وقدمت أوراقي وكارت التوصية من على ماهر وفوجئت يوم النتيجة بعدم وجود اسمي في كشوفات الناجحين وحين استفسرت عن السبب علمت أن سني كان أصغر من السن التي يمكن لوزير الحربية الاستثناء في حدودها ونصحوني بالتقديم مرة أخرى في شهر يوليو وخرجت حزينًا وركبت الترام من مصر الجديدة متوجهًا إلى منزلنا في السيدة زينب وقابلت بالمصادفة زميلي في المقعد الدراسي يجلس بجواري في الترام وحكيت له ما حدث وأخبرني أنه قدم أوراقه في كلية الطب ودعاني للالتحاق معه فسألته عن مكانها فقال في نهاية سراي الزعفران ممر طويل به كليتان إحداهما كلية العلوم والأخرى كلية الطب لكننا سندرس إعدادي طب في كلية العلوم وعلى هذا الأساس اعتقدت أنني استقر بي المطاف في كلية الطب وأخبرت والدتي بذلك لكني فوجئت يوم النتيجة أيضًا بأنني لم أقبل بالكلية مرة أخرى وعلمت أن هناك استمارتين إحداهما للطب والأخرى للعلوم وأنني قد ملأت استمارة كلية العلوم وأخبرني الإداري المسئول بأنني قبلت في كلية العلوم فقلت

بانزعاج ولكني لا أريد أن أصبح معلمًا للغة العربية مثل والدي وورد في ذهني آنذاك كلية دار العلوم فقال لي: يا ابني عربي ايه؟ الدراسة علمية والتحقت هكذا على مضض بكلية العلوم وفوجئت بوجود ستة من أوائل القطر بالكلية وكانت معركة تنافسية شديدة جدًا فيما بيننا.

هل حدث احتكاك علمي مع د. مصطفى مشرفة آنذاك؟ ولماذا كان يطلق على كلية العلوم «مهد الشيوعية»؟

د. مشرفة كان عميدًا للكلية وشخصية علمية فذة وكنا ندرس أربعة علوم نبات وحيوان وكيمياء وطبيعة وكان هناك نظام خاص في تقسيم المواد بالنسبة لنا طلبة العلوم، وعانينا بشدة من أساتذة النبات فذهب وفد منا لمقابلة مشرفة باشا وكنت معهم وعرضنا شكوانا من أساتذة النبات نظر إلينا شذرًا وطردنا خارج مكتبه ووصفنا أننا أولاد «مايعين» وأن أساتذة النبات على حق لأنهم لا يدللوننا وأخذتني الحمية الشبابية وقلت لزملائي أنني سأختار علم الكيمياء والنبات لكي أثبت لمشرفة باشا أنه أخطأ الرأي، و إرضاء لغروري وقررت أن أترك النبات وكان اختياريًا بعد ذلك، ولكنني نجحت بامتياز في العلمين وخطوت خطوة أخرى نحو النبات حين علمت من زملائي في هذا القسم أنه توجد به وظائف خالية للمعيدين وكنت أحلم بأن أكون معيدًا وظللت أتأرجح بين الإقدام على قسم النبات و إغرائه الوظيفي والإحجام عن قسم الكيمياء التي أحبها وصدمني د. تركي رئيس قسم الكيمياء حين استنكر اختياري وسخر مني قائلًا: ماذا تفعل لو ألغت وزارة المالية وظائف المعيدين في قسم النبات هل ستعمل آنذاك «بائع فجل»؟ فرجعت قسم الكيمياء فجاء معيدون قسم النبات مرة أخرى وقالوا يمكنك العمل مع د. حسين سعيد في قسم النبات وهو يعمل في الكيمياء الحيوية وأعطوني بحثًا صغيرًا وكان موضوعه في أمراض النبات وكفر سيئاتي ومن كراهيتي في البحث مزقت أوراقه إربًا بعد التخرج بالرغم من حصولي على امتياز مع مرتبة الشرف فيما يتعلق بشيوعية كلية العلوم فقد بدأت حياتي منتميًا للإخوان المسلمين في عهد حسن البنا وأقمت مصلى للطلاب في السنة الأولى ولكن في السنة الثالثة بدأنا نقرأ كتاب كارل ماركس وكل منا يشرح فصلًا أثناء سهرنا ونحن نجري الأبحاث في المعمل ونتأمل ما يصلح من أفكاره لمصر في العهد الملكي ومعظم طلبة العلوم كانوا بالفعل اشتراكيي الهوى وفي عام 1946 فوجئت باسمي منشورًا في الجرائد في بعثة دراسية إلى ليفربول للحصول على الدكتوراه في أمراض النبات وضاعت سنة في البعثة

في خلاف مع أستاذي الإنجليزي الذي راعه أن أصل لنتائج مخالفة لنتائجه بالرغم من حداثة سني إضافة إلى تعرضي لحادث مروع حيث لم أنتبه لخط سير السيارات المخالفة في لندن عنه في كل دول العالم فداست عربات الأتوبيس ساقي وكسرت ونزل جميع الركاب رجالًا ونساء، ورفعوا الأتوبيس ومكثت في المستشفى فترة طويلة وفي النهاية حصلت على الدكتوراه في عامين فقط حيث كنت أعمل ليلًا ونهارًا تحديًا لذاتي ولهذا الأستاذ الإنجليزي المتعصب لرأيه ومن الذكريات التي لا تنسى أنني وصديقي سعيد النجار زميلي في البعثة كنا نمثل المصريين في اتحاد الطلاب ونلتقي كل أسبوعين في مكان نتحدث عن مشاكل مصر ففوجئنا بالمستشار الثقافي في إنجلترا يستدعينا و يوجه إلينا إنذار على لسان السفير بالكف والابتعاد عن التنظيمات الشيوعية و إلا ستلغى بعثتنا بناء على تعليمات القصر ونفينا له ذلك وأصبحنا نجتمع أسبوعيًا في مكان مختلف وفي أعقاب عودتي مباشرة عينت معيدًا براتب شهري قدره 35 جنيهًا عام 1949 وكان مبلغًا كبيرًا يوفر حياة كريمة.

يبدو أنك كنت منهمكاً في علمك وأبحاثك فكيف انخرطت في العمل السياسي وأصبحت مستشاراً ثقافياً في واشنطن؟

عام 1961 عينت أمينًا عامًا للمجلس الأعلى للعلوم وكنت مسئولًا عن التنظيم الطليعي في الصعيد فأنا من مواليد زفتى لكنني من المنيا قرية دمشير ووالدي كان مدرسًا ينتقل بين المدن فأنا كنت مسيسًا شأن معظم جيلي وكنت عضوًا في لجنة المائة التي شكلها عبد الناصر لمراجعة الميثاق وكان أبرز هذه المراجعات التي أخذت بعين الاعتبار تتمثل في عدم المساس بالدين وحرية العقيدة والتأكيد على أن المواطن ليس ترسًا أو خادمًا للدولة ولكن الدولة في خدمة المواطن وألحق عبد الناصر تقرير لجنة المائة بالميثاق واعتبر جزءًا لا يتجزأ من الميثاق وفي عام 1963 أخبرني د. عبد العزيز السيد وزير التعليم العالي برغبة الرئيس عبد الناصر في أن أتولى منصب المستشار الثقافي ومدير البعثة التعليمية في واشنطن حيث كان لدينا حوالي ألف وخمسمائة طالب ماجستير ودكتوراه ولم يعد إلا ثلثهم والأغلبية اندمجت في الحياة الأمريكية وطلب الرئيس مقابلتي قبل السفر وأخبرني أن هؤلاء المبعوثون يتعرضون لعمليات غسيل مخ وأنه سيعطي أوامره بتحويل (40) ألف دولار لكي أتمكن من إنشاء إتحاد أو جمعية ينضمون تحت لوائها لإعادة شملهم بمصر وطلب مني الإنصات لمشاكلهم أو تصحيح معلوماتهم الخاطئة

على أن يكون زكريا محيي الدين هو همزة الوصل بيننا لكنه طلب مني أيضًا عدم الدفاع عن أي شيء غير صحيح. كان عبد الناصر منتبهًا إلى أننا نرسل أفضل ما لدينا من طلاب واكتشفت حين ذهبت أنهم ينتقون أفضل الأفضل Cream of the Cream فالمبعوثون لا يخرجون وفقًا عن هذه الفئات الثلاث: شاب يهوى الفتيات وفي العام الأخير يضعون في طريقه فتاة يهودية جميلة تنسج شباكها حوله ويتزوجها خاصة أن التعليمات السابقة كانت تحتم سحب جواز السفر المصري وكانوا بذلك يصلون لمرادهم بسهولة ويسر ويضمنون بقائه في أمريكا وتوجد فئة أخرى من الطلاب العلم هو شغلها الشاغل ويتم التعامل مع هؤلاء بمنحهم مبالغ مالية ضخمة مقابل حل أحد مشاكلهم البحثية والتصنيف الأخير يتعامل مع المبعوث الذي يتطلع لزيادة دخله لمجابهة النفقات والادخار فيعرضون عليه عقب حصوله على الدكتوراه إحدى الوظائف بمرتب كبير وكلها إغراءات تتوافق مع ميول كل فئة وتطلعاتها لذلك كانت المهمة عسيرة خاصة أنني وجدت أن «منظمة الطلبة العرب» كانت هي المسيطرة على المبعوثين ويسيطر عليها القوميون العرب من العراق وسوريا وفلسطين ومصدر تمويلها الرئيسي جماعة أصدقاء الشرق الأوسط التابعة للمخابرات الأمريكية وكانت هذه المنظمة بوقا لسب مصر وعبد الناصر والسبع وظائف الرئيسية بها ليس فيها مصري واحد فقمت بتأسيس جمعية تطبيقًا لتعليمات عبد الناصر وأشعلت الحماس في نفوس الطلاب وذكرتهم أنهم غير ممثلين في منظمة الطلبة العرب وكانت النتيجة أن إجمالي الطلاب الذين حضروا انتخابات المنظمة بلغ 600 طالب عربي منهم 400 طالب مصري وحصلنا على منصب الرئيس ونائبه ومنصبين آخرين وتركنا البقية للطلبة العرب ووقع اختياري على أسامة الباز كأول رئيس مصري لمنظمة الطلبة العرب في واشنطن ثم تلاه سعد الدين إبراهيم ولم نكن نريد أحدًا من التنظيم الطليعي حتى لا تتحول المنظمة عن أغراضها وتنحني باتجاه المنظمات السرية وانفرجت أسارير عبد الناصر وعاد (30%) إلى مصر لكنني طلبت من زكريا محيي الدين أيضًا التسهيل على الطلاب الذين امتنعوا عن العودة من قبل وإعطاءهم فرصة أخرى لزيارة أهلهم والتواصل مع ذويهم فجاء رد زكريا مستنكرًا وكان رئيسًا للوزراء: يا مصطفى من تركنا من الباب لا يدخل إلينا من الشباك! ولكني أقنعته فيما بعد وأعطاني ضمانًا بعدم التعرض لهم وصدق وعده وهو من أكفأ الشخصيات وأكثرها ذكاء ونزاهة ويشترك معه في تلك السجايا عبد اللطيف بغدادي وكمال الدين حسين الذي كان يعمل ما يقرب من 20 ساعة يوميًا.

عفـواً.. ناقل الكفر ليـس بكافر والمفكر الكبير عبـاس العقاد كان يقول عن نفسـه: أنه لن يدخل النار لأنه عاش في عهد كان فيه كمال الدين حسين وزيراً للتربية والتعليم. ما مرجعية هذه السخرية اللاذعة؟

يبتسـم د. طلبة ويقول: ربما كان سبب هذا الاستنكار المبالغ فيه أن كمال الدين حسين لم يكن حاصلًا إلا على بكالوريوس الحربية فقط وكانت سـنتين بعد الثانوية العامة وأحيانًا سـنة فبعـض الوزراء جاءوا من الهـواء وتولوا هذه المناصب ولكن من الإنصـاف أن نقر ونؤكد أنهم جميعًا اسـتعانوا بالخبراء والمتخصصين ولم يدعوا علما فكمال الدين حسـين على سبيل المثال هو الذي أنشـأ المجلس الأعلى للعلوم وهيئة الطاقة الذرية وكان لديه اسـتعداد هائل للتعلم والعقاد ربما لا يعلم كل ذلك فلم يكن هناك تفضيل لأهل الثقة على طول الخط كما يعتقد البعض ومعيار الكفاءة كان يحكم معظم الاختيارات فحينما كنت مستشارًا ثقافيًا طلب د. تركي وزير التعليم العالي عودتي إلى مصر لكي أصبح نائبًا له ثم تكرر الطلب من د. حسين سعيد أستاذي حين أصبح هـو الوزير فوافق زكريا محي الديـن وأصدر قرارًا وقال: فليأت مصطفى طلبه من واشـنطون ليهدأ الجميع وعدت بعد أسبوع ولم يكن هناك كالمعتاد أي تخطيط من جانبي وهكذا أصبحت وكيـلًا لـوزارة التعليم العـالي. وحين أصبحت أمينـا عامًا للمجلس الأعلى للعلـوم تعلمت من د. إبراهيم حلمي عبد الرحمن كيفية كتابة المذكرات وأتبع نفس الأسلوب إلى يومنا هذا.

علمت أنك كنت مديراً لمكتب السـادات وهو نائب لرئيس الجمهورية فكيف بدأت العلاقة بين السياسة والعلم؟

كنت وكيلًا للوزارة كما ذكرت آنفًا، عضوًا نشـطًا في التنظيم السياسي والاتحاد الاشتراكي وكان السـادات رئيسًا للجنة السياسية بالاتحاد الاشـتراكي وهو نائب وكنت مدير مكتبه لهذه اللجنة لشـئون الجامعات فعقـب هزيمة 1967 طلب الرئيس عبد الناصر من السـادات إجراء حوار مفتوح مع أسـاتذة الجامعات ليتحدث عن أخطاء الهزيمة والصواب الذي اتبعناه وعهد السـادات إلى بهذه المهمة واقترحت أن أدعوا زملائي في الجامعة على ألا يتجاوز نسـبة الأعضاء منهـم في التنظيـم الطليعي 10% والنسـبة الباقية تكون من العناصر المضـادة للثورة وتهاجمها في صورة النكسـة فوافق السـادات وبدأت بالأصعب ودعوت أسـاتذة كلية الحقوق لمقابلته، معظمهـم جهابـذة كل منهم ملتحف بلسـانه كما يقال وبـدأ الحوار وكانوا على مسـتوى من

القسوة فباغتوا السادات بقولهم مثلًا: أنكم متهمون بالكذب على الشعب المصري فلم يكن هناك تدريبات كل تصريحاتكم كانت كاذبة ويحتقن وجهي واشعر أن السادات يتأجج غضبًا من أسئلتهم المتفجرة ولكني كنت أفاجأ في كل مرة بأن هدوء السادات يزداد ثباتًا فعقب انتهاء السؤال يبدأ في حشو البايب وإشعاله بتؤدة ويأخذ نفسًا عميقًا ثم يبدأ الكلام بحكاية من حكايات جدته التي كانت تقصها عليه في طفولته وهو جالس على الفرن واكتشفت أنه يحفظ هذه الحكايات عن ظهر قلب ويستخدمها في البداية كمدخل للرد على هذه الأسئلة الثقيلة بمثابة خلفية ثابتة لا تكلفه أي مجهود عقلي ريثما ينتهي من التفكير في الإجابة المناسبة وقد ثبت بالفعل أن الأسلوب الروائي من أقوى الأساليب الإقناعية.

ما هي أبرز ذكرياتك عن التنظيم الطليعي؟

كنا مجموعة من الصعايدة جمعتنا الصداقة والعمل السياسي فكنت مسئولًا عن التنظيم الطليعي في الصعيد بأكمله وتربطني صلات بأمين الاتحاد الاشتراكي في المنيا وأسيوط وسوهاج فكنت على علم بكل دخائل هذه المدن وخاصة في الانتخابات حيث أستطيع المتابعة الدقيقة أثناء تواجدي بالمنيا ومن القصص التي لا تنسى أن ابن نجيب الهلالي باشا وهو يساري متطرف كان مرشحًا في أسيوط فاتصل شعراوي جمعة بمحمد عثمان محافظ أسيوط وأخبره أهمية بذل أكبر جهد ضمانًا لسقوطه في الانتخابات ثم اتصل بي أيضًا شعراوي جمعة وحذرني قائلًا: «الرئيس عبد الناصر بيقولك لو نجح ابن نجيب الهلالي خلي العربية اللي انت راجع فيها من المنيا لمصر تقع بك في ترعة الإبراهيمية».

هذه عبارة مجازية وعلى سبيل الدعابة؟

يبتسم د. طلبة ويقول لكنها تحمل تحذيرًا ضمنيًا أيًا كان نوعه والحمد لله فقد سقط الرجل بالفعل لأن المحافظ دعم منافسيه بشدة فعبد الناصر كان يساريًا يسعى لتطبيق الاشتراكية العلمية لكنه لا يريد فكرًا يساريًا متطرفًا وقبل وفاته بفترة وجيزة أرسل لأربعين عضوًا من الأعضاء المائة الذين راجعوا الميثاق وكنت منهم وكان لديه قناعة بأن التطبيق كان يشوبه بعض الأخطاء وصرح بأنه يهدف من مراجعة الميثاق للمرة الثانية التوصل لأسلوب يضمن تطبيق المبادئ الاشتراكية بالأسلوب الذي يطبق به النظام الرأسمالي.

كان يبحث عن الطريق الثالث في هذا التوقيت المبكر؟

نعم عبد الناصر كان يتسم ببعد النظر ويتطلع للأخذ بمبدأ الثواب والعقاب أو ما يسمى Hire and fire فكان عدم فصل العمال أو الموظفين عند حدوث الكوارث أو عظائم الأمور من الأشياء التي تستحق المراجعة وقد أثبتت الأيام صحة نظرته حين تخلت روسيا عن الشيوعية وأصبحت أمريكا تتحدث بروية ورشد عن رأسمالية آدم سميث البحتة.

عينت وزيراً للشباب عام 1971 ومكثت أقل من عام فى عهد الرئيس السادات فلماذا وقع اختياره على وزارة الشباب تحديداً.. ألم يكن من الأجدى الاستفادة بخبرتك العلمية فى مجال آخر؟

كما ذكرت سلفًا فقد كنت قريبًا طوال حياتي من الشباب بحكم مهنتي كأستاذ جامعي.. وكنت مسئولًا عن المبعوثين عقب عودتى من واشنطن ليس فى أمريكا وحدها ولكن فى كل دول العالم.. حيث كنت وكيلًا لوزارة التعليم العالي للشئون الثقافية.. ومعنيا على المستوى الشخصي بالالتحام بالشباب من خلال الحوار.. لرفع الوعى المتبادل بيننا وتجديد الفكر والوقوف على متطلباتهم لتقليص الفجوة بين الأجيال.. وقد اختارنى السادات فى موقف عصيب عقب تقديم الاستقالات الجماعية من الوزراء فى خضم أحداث مايو 1971 وعينت وزيرًا فى حكومة محمود فوزى.. وكانت توجيهات الرئيس السادات محددة منذ البداية وهى مراجعة جميع التشكيلات الموجودة بالنوادى الرياضية ومراعاة ألا تكون كلها من أتباع على صبرى وشعراوى جمعة وكلفت بهذه المهمة بالتنسيق مع ممدوح سالم وزير الداخلية آنذاك حتى تمت تصفية هذه المجموعات وتنقيتها خلال 4 أشهر.. يضحك د. طلبة ويتذكر واقعة ربطته بالرئيس السادات ولم ينسها السادات حين أصبح طلبة وزيرًا للشباب يقول د. طلبة وقد أستعاد نبرات صوت السادات المميزة أثناء الحكى: فى يوم كنت بصحبة السادات حينما كان نائبًا وكنت مديرًا لمكتبه.. وعلمنا أن هناك قضية فساد عن شخص ما غير معروف لكن مع الأخذ فى الاعتبار ما تعنيه هذه الكلمة فى عهد عبد الناصر.. حيث أشارت أصابع الاتهام إلى على صبرى حين اشترى سجادتين وبعض قطع الأثاث من روسيا.. فكلمة فساد كانت تختلف فى دلالتها النسبية وفقًا للعصر وأن بقى الفساد فسادًا من حيث المبدأ.. فانفعلت وطالبت بإعدام أحد الفاسدين فى ميدان عام لكى يرتدع الآخرون.. واختزن السادات هذه الواقعة

فى ذاكرته وحين عينت وزيرًا داعبنى فى إحدى المرات قائلًا: هل ما زالت أفكارك دموية يا مصطفى؟ فقلت له: ليست دموية يا ريس ولكننا يجب أن نعاقب الفاسدين - رحمه الله - كان يكره العنف يجنح دائمًا للسلم وتهدئة الأمور ويفضل الحلول السلمية.

كيف تم اختيارك خلفاً للمدير التنفيذى لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة؟

كنت فى ليبيا بصفتى رئيسًا لأكاديمية البحث العلمى بصحبة وزير الطاقة وماهر أباظة ولم يكن وزيرًا بعد.. حيث كنا نتناقش مع الجانب الليبى حول آلية تشكيل مجلس مشترك يعمل فى مجال الإلكترونيات ونجتمع يوميًا فى مركز القيادة الليبية وحولنا حراسة مشددة كما لو كنا نصنع قنبلة ذرية وحين كنت أعود إلى الفندق أجد رسالة يوميًا من وزارة الخارجية فى مصر تطلب عودتى على وجه السرعة.. وعدت ووجدت حسن بلبل وكيل وزارة الخارجية ينتظرنى على باب الطائرة وأخبرنى أن كورت فالدهايم سكرتير عام الأمم المتحدة أرسل (تلكس) لمراد غالب وزير الخارجية يعرض فيه على مصر منصب سكرتير عام مساعد الأمم المتحدة للبيئة ممثلًا فى شخص مصطفى طلبة ونظرًا لسفر مراد غالب إلى الخارج عرض حسن بلبل التلكس على عبد القادر حاتم وكان قائمًا بعمله لحين عودته.. ثم ذهب بالتلكس إلى عزيز صدقى رئيس الوزراء فاندهش قائلًا: سكرتير عام مساعد مرة واحدة!! لماذا؟ هل الحداية بترمى كتاكيت وأخبر عبد القادر حاتم بموافقة مصر و إرسال ذلك رسميًا.. وأضاف لن ننتظر قدوم طلبة من ليبيا فهو لن يرفض هذا المنصب من منطلق وطنى.. ولكننى حين علمت كل ذلك أفهمته أنه لابد من موافقة الرئيس السادات لأن قرار تعيينى رئيسًا للأكاديمية كان قرارًا جمهوريًا.. فاتصلت على الفور بحافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى ورويت له ما حدث وطلب منى الحضور إلى منزله وأخبرنى أن السادات طلب من عزيز صدقى تقديم استقالته وقد فعل وقبلها السادات وهو الآن فى الإسكندرية يقوم بتشكيل الوزارة الجديدة وليس من حق عزيز صدقى التحدث باسم الحكومة الرسمية.. فطلبت منه الاتصال بالسادات.. فرد بأن ذلك ممنوع منعًا باتًا لأنه منع الاتصال به بالكامل لكنه سيأتى للجنة المركزية للإتحاد الاشتراكى بعد غد وسيعلن تشكيل الحكومة الجديدة وقد تحدث معه فى نفس اليوم وأخبره السادات أن موضوع الأمم المتحدة « كلام فارغ» وأنه سيركز على قضية البحث العلمى وكانت بالفعل محط اهتمامه وطلب إعداد ورقة عمل بهذا الشأن للمرحلة المقبلة وأخبر حافظ إسماعيل

أننى سأكون وزيرًا للتعليم والبحث العلمى فى الحكومة الجديدة.. وأصبحنا فى مأزق وموقف حرج للغاية بعد إرسال موافقتنا لسكرتير عام الأمم المتحدة وقلت لحافظ إسماعيل: فلنبحث عن مخرج من تلك الأزمة.. وذهبنا سويًا لمقابلة محمود فوزى رئيس الوزراء الأسبق الذى آستطاع بدوره إقناع السادات بقبولنا للمنصب.. وطوال الفترة التى شغلتها رئيسًا لأكاديمية البحث العلمى كنت أتلقى قائمة باحتياجات القوات المسلحة فى مجال الإلكترونيات وتصميم وتنفيذ ما يصلح منها استعدادًا للمعركة.. وبعد مرور فترة قصيرة طلب السادات عودتى ولكن د. عبد العزيز حجازى أقنعه بجدوى بقائى فى الأمم المتحدة.

هل يعد عدم الاكتراث فى مصر بالمتغيرات المناخية ووضع قانون البيئة قيد التنفيذ فى معظم الأحوال أمراً عادياً؟

المتغيرات المناخية ليست ترفا ولا قضايا مؤجلة نستطيع أن نضعها فى غرفة مظلمة ونغلق عليها الأبواب ولكنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى فحين نتحدث عن الثلاثين عاما المقبلة لا يعد بالشيء الكثير فى عمر الزمن ولكنها طرفة عين ستواجهها الأجيال اللاحقة.. وأنا أعذر الناس تماما لأن مصر متخمة بالمشاكل والانشغالات اليومية تستغرق الجهاز الإداري للدولة بأكمله سواء أزمة المرور أو رغيف الخبز أو اللحوم أو ارتفاع الأسعار.. فلا أحد يفكر فى المستقبل أو العشر سنوات القادمة بل أن كل وزير يمسح ما فعله سلفه بإخلاص شديد وكأنه هو المخترع الأول وهذا ما لم أشاهده فى كل دول العالم التى تحرص على أن يكون لها سياسة ثابتة فالبحث العلمى فى الهند على سبيل المثال وضعت سياسته فى وثيقة لم تتجاوز نصف صفحة منذ عهد انديرا غاندى حيث تم تحديد الأولويات التى تسير على نهجها الهند إلى يومنا هذا وتسخر كل جهود الدولة لهذا الغرض.. أما نحن فالمسائل الشخصية لها الصدارة فى التنمية والتخطيط والعلم بكل أسف وتحضرنى واقعة مؤسفة تذكرتها وأنا أعكف الآن على كتابة مواقف ومشاهد ورؤى من مذكراتى.

هل تتفضل بسردها فيبدو أنها حديث ذو شجون؟

نعم. إنها قصة متشابكة ولكنى سأحاول إيجازها.. فبالرغم من المكانة التى كانت تحظى بها مصر فى المحافل الدولية والتى لمستها بنفسى حين كنت عضوا فى المجلس التنفيذى لليونسكو

منـذ عـام 1966 حتى 1972 حيث كان يأتى وزير الثقافة لحضـور المؤتمر لمدة ثلاث أيام لكنى كنت أرأس الوفد معظم فترات السـنة ولم تكن هناك دولة عربية تبادر برفع يدها عند إجراء التصويـت عـلى القرارات قبل أن يشـاهد مندوبو تلـك الدول موقف مصر ممثلا فى شـخصى ويحذوا جميعا حذونا.. وحين توفى عبد الناصر رفع رئيس المجلس الجلسة ووقفت مكانى وجاء أعضـاء المجلس جميعا يقدمون لى التعازى.. فعبـد الناصر كان هرما فى مكانته وحبه وعطائه لمصر ولو لم يفعل شـيئا آخر فى حياته لكفاه تأميم قناة السويس وبناء السد العالى.. لكن على المستوى المحلى كانت توجد أشياء فى الدولة غريبة ومتناقضة فى بعض الأحيان من قبل المشير عبد الحكيم عامر ورجاله - على شـفيق مدير مكتبه كان يسـكن فى الشقة المجاورة لى - كنت قد أخبرتك بأننى عينت وكيلا لوزارة التعليم العالى وعملت أيضا مع عزت سلامة وزير التعليم العالى فى أواخر 1967 ومع وزراء آخرين فى مرحلة سـابقة وتصادف فى عهد عزت سـلامة أن منصب رئيسـا جامعة القاهرة وأسـيوط سيصبحان شاغران عن قريب وطلب عبد الناصر من عزت سلامة ترشيح رئيس لكل جامعة - فرشحنى الوزير لجامعة القاهرة وزميل آخر لأسيوط فقال له عبد الناصر ضاحكا: ألا تزال متحيزا للمهندسـين؟ فقال عزت سـلامة: مصطفى طلبة ليس مهندسا يا فندم ولكنه خريج علوم وطلب منه عبد الناصر التنسيق لإعداد مشروع قرار جمهـورى وأرسـلناه فى اليوم التالى ومضت ثلاثة أسـابيع ولم يصدر القـرار حتى جاء الرئيس الاندونيسى سـوكارنو بصحبة عبد النـاصر إلى جامعة القاهرة حيث تم منحه دكتوراه فخرية وكنت أقف بجوار الوزير عزت سلامة وسلمت على عبد الناصر وصافحنى بود قائلا: أزيك يا مصطفى ثم وجه كلامه لعزت سلامة قائلا: اتصل بالمشير لان له رأيا خاصا فى تعيين مصطفى واندهش كلانا.. واكتشـفنا السـبب فيما بعد فقد كان شـقيق المشـير عبد المنعم عامر ملحقا فى مكتبنـا الثقـافى فى بون بألمانيا وكان يرافقه ويزامله عبد الشـافى غنيم المسـئول عن التنظيم الطليعى مع المصريين فى ألمانيا ويلتقى بزكريا محيى الدين كل 6 شهور باعتبار زكريا مسئولا عن التنظيم الطليعى فى الخارج فاتصل زكريا محيى الدين بعزت سلامة وطلب منه التحقق من بعض الشـكاوى فى مكتبنا ببون وكنت أعمل آنذاك باليونسـكو وأقيم فى باريس واكتشـفت أن عبـد المنعـم عامر قام بإعداد تنظيـم آخر مواز للتنظيم الطليعى وسـألته ولم ينكر الواقعة وقال: هو كده!! فسـألت مدير المكتب سـيد عبد الرحمن لماذا تركت الأمور هكذا فقال ماذا أفعل عبد الشـافى غنيم يتلقى تعليماته من زكريا محيى الدين وعبد المنعم عامر يتلقى تعليماته

من المشـير فكتبت تقريرًا ورفعته لعزت سلامة واقترحت إلغاء ندب الثلاثة أشخاص و إعادة إرسـال أشـخاص آخرين متوافقين فطلب عزت سلامة إرسال الخطاب أولا بصفة ودية للمشير للإطلاع عليه لان الموضوع يمس استبعاد شـقيقه فطلبنى شـمس بدران مديـر مكتبه وقال يا مصطفى المشير بيقولك «اعملوا اللى انتم عاوزينه»!! فقلت له: لست مسئولا رسميا عن الأمر فلماذا ابلغتنى؟ قال: إنها أوامر المشير أن أتحدث إليك أولا ففهمت أن المشير غضب لأننا صعايده وهناك عشـم من وجهة نظره لأنه كان يتعامل وسـط قواته كالعمدة حتى هذه اللحظة يمكن قبول سـبب الامتعاض المؤقت ولكن حدث ما هالـنى إلى يومنا هذا ففى أحد الأيام اتصل عبد النـاصر بزكريا محيـى الدين واخبره أنه اتفق مع انديرا غاندى على اسـتقبال مصر لوفدين من علماء الهند أحدهما سيتوجه لمصنع الطائرات وسيتزود من الخبراء الألمان لدينا بالخبرة الكافية لضبط أجنحة الطائرات وكانت مشكلة ملحة فى الهند آنذاك وفى المقابل سيتوجه الوفد الآخر إلى هيئـة الطاقة الذرية وسـيقومون بتعليم شـباب علمائنـا كيفية صنع المعمـل الحار الخاص بالمفاعـلات النووية وكانت الهند قد قطعت شـوطا ناجحًا فى هـذا الأمر.. وكلفت أنا وعزت سـلامة بالتنسيق لهذا الأمر وأرسـلنا عشرات المكاتبات للمشير لكى يتسنى تنفيذ تعليمات عبد الناصر وانديرا غاندى ولكننا لم نتلق أى رد لأن الخطابات موقعة بأسـمائنا ورجع الوفدان ولم يشـاهدا مصنع الطائرات ولا الطاقة الذرية.. وتأكد بالدليل القاطع مغزى عبارة عبد الناصر فى جامعة القاهرة وسـبب اعتراض المشير وكانت مأسـاة بحق ليس لتطلعى إلى المنصب ولكن لحزنى الشـديد و إدراكي أن العلاقة بين عبد الناصر والمشـير بها من الغموض والتداخل الشائك ما يستعصى على الفهم ويضر بالمصلحة العامة فى بعض الأمور من قبل المشير.

اشـتهرت بتحذيراتـك التى أعدها البعض مفرطة فى التشـاؤم وقلـت أن الموت البطيء أسـوء من الأمـراض القاتلة فما هو مختصر هذا السـيناريو المتشـائم للتغير المناخى وهل يمكن الفكاك من بعض تبعاته؟

لسـت متشـائما فانا بطبيعتى متفائل بالرغم من نداءاتى المتكررة لأهمية التخطيط قبل أن تداهمنا شرور الطبيعة حين تتجاوز معدلاتها فمن المؤكد أن حرارة الكرة الأرضية سـترتفع فى القرن الحادى والعشرين ثلاث درجات وبعض الدراسـات تتوقع أن يصل ارتفاعها إلى درجتين بحلـول عام 2035 نتيجة لزيادة الانبعاثات الحرارية.. الأمر الذى يعنى ذوبان الجليد وارتفاع

مستوى البحر المتوسط والتهديد بغرق نسبة كبيرة من الدلتا والبحيرة وبورسعيد وبياض الشعب المرجانية فى البحر الأحمر نتيجة لارتفاع الحرارة لابد أن تؤخذ هذه الأمور بجدية وبعين الاعتبار إضافة إلى التوقعات بنقص مياه النيل. لابد من الاهتمام بمعالجة الصرف وتحلية مياه البحر والبحث عن مصادر بديله للطاقة وعلى رأسها الطاقة الشمسية وبالمناسبة حزام الطاقة الشمسية يتوافر فى نفس مناطق حزام البترول. كلها أمور تسير بالتوالى مثل الدومينو إذا حدث خلل يتبعه اهتزازات متوالية فى كل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

يجب أن نقلع عن عبارة عمر الخيام القاتلة والقائلة: «وغد بظهر الغيب واليوم لى» والشاطرة تغزل برجل حمار لأن رجل الحمار اتكسرت لأنه لا يأكل ولا توجد أى أبحاث علمية للأسف الشديد، فالويل لمن لا يحسب حساب غده فى هذا العالم الساخن بالأحداث والمناخ.

□□□



أطلقنا صاروخا مداه ٦٠٠ كيلومتر

الصاروخ

صاروخ عربي يستطيع اصابة تل ابيب .. اذا أطلق من القاهرة

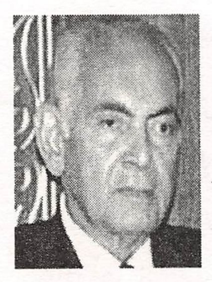
الأخبار

١٢

8- منصور حسن

عدم حساب العواقب التي تقعد الكبار.. «من أسباب شجاعة الشباب»!

ثورة 25 يناير حررتنا من 60 عاماً



اسم له رنين خاص.. يحظى بشعبية جارفة.. عهدته الجماهير سياسياً مترفعاً زاهداً فى السلطة لا يخشى فى الحق لومة لائم.. كرامته وتر مشدود، فهى التى تسعد الإنسان حين يخسر أو يكسب، لأنه يفقد ما يفقده عن طيب خاطر من أجل شيء آخر أسمى وأغلى مما خسر «على حد تعبير العقاد».

وبهذا المنطق الخاص تستحيل بعض الخسائر إلى أرباح.. شرفت بلقاء السيد / منصور حسن فى المنتزه بالإسكندرية حيث تتلاقى ضربات الأمواج بالصخور العتيقة التى ينتج عنها رذاذ منعش أسهم فى تلطيف لفحة النار والهجير التى خلفها شهر يوليو وسخونة الأحداث.. خرج منصور حسن من منصبه وفضل أن يلوذ بصمته يقينًا منه أن الأقوال إذا كانت تتشابه فمن المؤكد أن أنواع الصمت تختلف.. فهو شخصية عديدة الثنايا عميقة الأغوار من الصعب استجلاء كل أسرارها.. حُسن المنبت وأثر الجغرافيا البشرية فى المحبة والاحتواء فى «أبو كبير» كان لهما أبلغ الأثر فى صفاء الذهن وحدة وعيه ونضجه وانتمائه للوطن لا المناصب. براعة الاستهلال السياسى المبكر فى حياته يعد أمرًا لافتًا ينم عن الروح الثورية التى كانت ومازالت تسكنه، منصور حسن من أصحاب البصيرة الخاصة التى تستشعر الأحداث وتستشرف ما هو آت.. عام 2007 أطلق سهام نقده للسلطة وتنبأ بأنه إذا استمر الوضع القائم فالنظام مرهون بثلاثة بدائل: انقلاب غير مضمون العواقب، أو ثورة شعبية، أو الإصلاح من الداخل بتحفيز من الرأى العام.. اختلف مع السادات ورفض أن تكون

المعارضة شكلية عرجاء.. لكنه أبقى على محبته تقديرا لكل إيجابياته.. الشرقاوى الكريم.. عفيف اللسان رفض أن يهيل التراب على مبارك فى لحظات الضعف والانكسار وهو بنزعته الإصلاحية التى تعلى من مبدأ «التوافقية» يمتلك آراء غنية بالتفاصيل تنبض بالحنكة السياسية التى افتقدها أولو الأمر، فحين سُئل مثال إغريقى كيف استطاع أن يتفوق على أستاذه أجاب: « كان معلمى أستاذًا بارعًا لكنه لم يكن يعرف جيدًا متى يرفع يده عن التمثال».. إنها لحظة البداية والنهاية الفاصلة فى حياة الأفراد والشعوب.. الحوار مع منصور حسن ألهمنى العبارة المأثورة: «ليت العالم بدلًا من أن يستمع إلى عقلائه قد أتاح لهم أن يحكموه».

نشأتك الاجتماعية جمعت بين نقيضين في أبو كبير بالشرقية وفيكتوريا بالإسكندرية.. فما الأثر الذي ترسب في أعماقك من تلك التنشئة الخاصة؟

بالرغم من أنني لا أهوى الكلام عن نفسي إلا نادرًا.. ولكنني أعتز بجذوري وانتمائي لأبو كبير فأنا الإبن الأكبر لرجل ميسور الحال بالمقاييس الريفية.. أنجبني وهو في السابعة عشر.. سميت منصور تيمنًا باسم جدي لوالدتي العارف بالله الشيخ منصور أبو هيكل وجريًا على عادة أهل الريف آنذاك تم تسجيل مولدي في مكتب الصحة بعد مرور أيام خوفًا من الحسد الذي يصاحب إنجاب الولد.. توفيت والدتي وأنا في العاشرة من عمري وكان الوالد رحمه الله عظيم الطموح والآفاق بصورة تكاد تكون خارقة فعلى الرغم من أن تعليمه لم يتجاوز المرحلة الابتدائية.. إلا أنه بعد التحاقى بفترة وجيزة بالكتاب ثم الروضة.. بلغ مسامعه وجود مدرسة إنجليزية بالإسكندرية يلتحق بها أبناء الباشوات والملوك والرؤساء والعائلات الأرستقراطية فقرر إلحاقي بفكتوريا عام 1944 وكانت الإقامة الداخلية بالنسبة لي كشخص ريفي أشبه بالملجأ.. أما أثر والدتي في نشأتي فكان عميقًا غائرًا مقارنة بالسنوات السبع التي عشتها معها.

قام والدي بهذه الخطوة (التقدمية) مع الأخذ في الاعتبار أن المدارس الثانوية في الأربعينيات مثل مدرسة الزقازيق الثانوية كانت على أعلى مستوى من الإمكانيات التعليمية ومن ثم ذهبت إلى فكتوريا بجذور ريفية ازدادت رسوخًا في تلك المدرسة التي كانت تعد جزءًا من إنجلترا ماثلا في مصر يهدف بصورة سافرة المساهمة في بناء شخصية قيادية لطلابها وتعليم أبناء الحكام والدول المستعمرة كالهند الثقافة الإنجليزية والانتماء لها.. وكانوا ينجحون في هذا الغرض على نحو ما مع قلة قليلة والأغلبية تجمع بين الثقافتين.. وكنت من القلة التي تعاني من الصدام

الثقافي والمقاومة بالتشبث بالجذور والنزعة الدينية وحيث أن اللغة العربية لم تكن لغة أساسية.. فكنت أحرص على شراء الجرائد وتهريبها خارج سور المدرسة.. وفي يوم قررت أن نصلي الجمعة ورتبت الأمر مع الطلاب وخرجنا جميعًا للصلاة وبعد عودتنا قامت الدنيا ولكنها قعدت مرة أخرى برضوخهم أمام الأمر الواقع أسبوعيًا.. أما الطامة الكبرى فكانت تتمثل في المنشور السري الذي قمت مع بعض الزملاء بطباعته وتعليقه فجرًا على غرف المدرسين والمدير وكانت كلماته تقول «أيها الإنجليز الأوغاد اخرجوا من بلادنا» ثم تطور الأمر إلى حد الفصل من المدرسة ولا أنسى ما حييت رد فعل والدي وأنا أدخل عليه في الثانية صباحًا بوجهي شاحبًا متجهمًا لأخبره في وجل أنني فصلت من المدرسة في شهر فبراير قبل حصولي على الثانوية العامة بثلاثة أشهر فقط أي أن مستقبلي ضاع بعد كل هذا العناء الذي تكبده ماديًا ومعنويًا باغترابي عنه فصمت برهة وسألني هل تناولت غذاءك إدراكًا منه لمدى المأساة التي أشعر بوطأتها إلى هذا الحد كان رجلًا عظيمًا.. خلفية هذه النشأة تغذيها مشاهد الحركة الوطنية التي لا تمحى من الذاكرة فالشعب المصري قبل ثورة يوليو كان في قمة شبابه وعنفوانه يقاوم الإنجليز ويسقط الوزارات ويحظى بالتعددية ويمارس الديمقراطية ويستوعب الليبرالية بالرغم من كل المساوئ الملكية من إقطاع وفقر ومشروع حفاة إلا أن النظام لم يكن فاسدًا على إطلاقه كما تم تغليفه تاريخيًا!!

كيف تغلبت على تلك المحنة القاصمة؟

استعان والدي بالمحامي أحمد رشدي وكان ضليعًا في القانون وهو والد صحفية الأهرام انجي رشدي لأن محامي المدرسة مصطفى مرعي من فطاحل المحامين وجهابذة القانون وفي الختام كسبت القضية وعدت للمدرسة ورفض الناظر وحدثت تسوية بين المدرسة والسفير الإنجليزي أسفرت عن تمكيني من أداء الامتحان وبذلك حصلت على الثانوية العامة.. ثم درست العلوم السياسية بكلية التجارة جامعة القاهرة عام 1956 قبل إنشاء كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.. ثم نجح والدي في استقطابي للعمل معه في صناعة الدواء التي بدأها ومنحني اختصاصات موازية تقريبًا لاختصاصاته.. وفوجئ عام 1958 بأنني منهمك في كتابة دراسة سياسة عن أهمية صناعة الدواء وما يترتب عليها من آثار اجتماعية فمن يلجأ للدواء يكون مضطرًا صحيًا.. وماديًا أيضًا.. الأمر الذي يستوجب ترشيد وتأميم هذه الصناعة فنظر إلى مليًا ولم يعلق ولم يفصح كالعادة عن انطباعه!! كان دائمًا يتركني أتحمل النتائج ومسئولية أفعالي منذ نعومة أظافري!!

هـــذه الواقعـــة تعني أنك كنت يســـاري الهوى علـــى الأقل.. فهـــل كنت عضواً بالتنظيم الطليعي؟

كنت أتمنى ذلك ولكن وفقًا لتصنيفات المباحث العامة فأنا أنتمي لعائلة تم تأميمها.. حيث تـم تأميم مصنع والدي الذي تحول بعد ضم مصانع له إلى شركة القاهرة للأدوية.. فاليســارية عمومًا بها نوع من الإحساس بالناس والكثيرين من أبناء الأثرياء كانوا من الاشتراكيين وأكثر إخلاصًا للفكر الاشــتراكي والمبادئ من الجماعة السياســية التي ينتمون إليها فإنجلز كان ثريًا ينفق على كارل ماركس.. ولكن في مجتمعنا تم إقصاء كلمة (الاشتراكية) لتخفيف وطأة الكلمة على رجال الأعمال وأمريكا واســتبدالها بالعدالة الاجتماعية وعمومًا تحديد المصطلحات ليس في ثقافتنا لأن اللغة السياسية عائمة ومطاطة في كثير من الأحيان.

يقال إنك تعرفت على الرئيس السادات عن طريق وزير الثقافة الأسبق محمد عبد الحميد رضوان وفي مقولة أخرى عن طريق هنري كسنجر.. فأيهما أصوب؟

التعارف جاء من خلال عبد الحميد رضوان بالطبع ولم أشــاهد كســنجر إلا عقب تعييني وزيــرًا للإعــلام والثقافة.. فالرواية كانت من ضمن الشــائعات التى اســتخدمها الشــيوعيين ضدي حيث كنت عائدًا من الدراســة بالولايات المتحدة وأمتلك شركة مستحضرات تجميل.. ولم أكــن متخصصًا في مجالها بالطبع ولكنها كانت الميراث المتبقي من تجارة والدي وكان لزامًا على تشــغيلها لكي أعيش فقيل أنه رجل العطور وتلميذ كيسنجر.. ربما كان السبب أني دخلت الــوزارة وأنــا على مشــارف الأربعين فأنا أول وزيــر من رجال الأعمال وليــس مجموعة وزراء نظيف.. لكــني في فترة وجيزة أصبحت معبودًا للجماهير أحظى بعشــبية جارفة بين المعارضين أكثر من سياسيين الحزب الوطني.

كنـــت وزيراً ناجحاً في مجالك.. أقصيـــت عملك الخاص وتفرغت بنزاهة للعمل العـــام ولكـــن بعض رجال الأعمال فـــي وزارة نظيف قاموا بالخلط بيـــن العام والخاص وفشلوا في النتـائج؟

الفئة الوزارية التي يستعين بها رئيس الوزراء في كل العهود ليست هي المحك الأساسي.. إذ كان يعـول في اختياراته على قاعدة الرجل المناســب في المكان المناسب فلا غضاضة في أن

يكونوا من التكنوقراط أو رجال أعمال.. فالاختيار كان مرجعه تعاظم المشكلة الاقتصادية آنذاك والتي كان لابد من إيجاد مخرج لها.. وهم بالفعل وضعوا خطة تنمية جيدة ارتفعت بالعائد.. ولكن الخطأ القاتل كان مبعثه أنهم كرجال أعمال قاموا بإدارة البلاد بمنطق الشركات الذي يحتكم فقط لأرباح والخسائر وتناسوا أن الوزارة خدمة عامة لأنهم لم يكونوا سياسيين وبحكم تربيتهم وأسلوب تفكيرهم فلم يراعوا بُعد العدالة الاجتماعية الذي كان من المفترض أن يسير متوازيًا مع خطة التنمية وقد اعترف نظيف بأن الخطة لم تصل للشعب.. وتعاظمت المشكلة لأن الوزراء ليسوا سياسيين ولا رئيسهم ولا رئيس رئيسهم حسنى مبارك وكان ذلك من أهم أسباب قيام ثورة يناير العظيمة!!

هذا يفتح المجال لسؤالك عن الأخطاء القاتلة التي ارتكبها حسني مبارك وأدت إلى سقوط النظام؟

بانفعال يشوبه استنكار أجاب منصور حسن: انتقدت الحزب الوطني والسلطة وحسني مبارك في عنفوانه ولكن الرجل الآن في محنة ولن أنهال عليه بالانتقادات الجارحة أو الانطباعات الشخصية الخاصة.. ولكن من خلال معرفتي به وبصورة موضوعية تمامًا فالرجل ليس سياسيًا وتاريخه يشهد بذلك فهو على درجة عالية للغاية من الكفاءة العسكرية يقوم بأداء عمله باقتدار لذلك اختاره السادات نائبًا.. لكنه لم يكن مسكونًا بالسياسة والعمل العام مثل عبد الناصر والسادات اللذين مارسا العمل السياسي في المرحلة الابتدائية فالسياسي تظهر عليه بعض المؤشرات منذ الصغر قد تكون بسيطة لكنها تحمل دلالات خاصة مثل قراءة الجرائد مبكرًا قبل أقرانه ورصد أحوال الشارع وانطباعات البشر واهتمامه بالاشتراك في بعض الجمعيات والتنظيمات وقد تكون سرية مثلما فعل الرئيسان وكان أمرًا غريبًا حقًا أن مبارك بعد مرور ثلاثين عامًا على توليه السلطة لم يتطور في ردود أفعاله التي تتسم بالبطء وكانت سببًا في تصعيد الأمور واستثارة الجماهير.. فالقدر وضعه في هذه المكانة وحاول الرجل أن يقوم بما في استطاعته وفقًا لقدراته التي جعلته ينتظر 4 أيام لإقالة الوزراء وقيام الثورة وتفويض نائب رئيس جمهورية وتكليفه بأوامر أي أنه أعطى وأخذ في أن وأسباب أخرى عديدة متراكمة أهمها سوء الحالة الاقتصادية وتزوير الانتخابات الأخيرة!!

يقال أن النظام كان متهاويًا بأكمله لذلك سقط في أيام؟

النظـام في رأي كان قويًا ولكن جاءه من هو أقوى فالنظم الأمني المحكم كان يتصور أنه يسـتطيع السيطرة على أكثر الأحداث جللًا في غضون 8 سـاعات وبحد أقصى 12 ساعة وكان الشلل السياسي والركود أو عزوف الجماهير عن المشاركة السياسية سببًا في ترسيخ هذا المفهوم على أرض الواقع.. فثورة يوليو برغم إنجازاتها العظيمة إلا أنها كسرت العمود الفقري للإنسان المصري بالقمع السياسي وكان ناصر بزعامته المتفردة في العالم العربي يملك فرصة ذهبية لإرساء الديمقراطية في مصر عقب حرب 1956 لذلك أنا أعتبر ثورة 25 يناير تحررًا من 60 عامًا وليس من عهد مبارك فقط.

إذن هل تعتبر يناير ثورة على ثورة؟

هـي عودة للـروح بكل تجلياتهـا فالمواطن المصري كان سـلبيًا للغاية لا تعنيه إلا شـئونه الخاصة لذلك تتعاظم موهبة هؤلاء الشـباب في أحياء هذه الروح.. فأحيانًا تكون قلة المعرفة وعدم حسـاب العواقب بدقة من أسباب الشجاعة والإصرار والاقتحام كما حدث مع شباب الثورة فالكبار أقعدتهم الخبرات المتوارثة وحسابات الأعداد والأرقام.

أنت من مؤسسـي الحزب الوطنـي الديمقراطي ولمحت منذ سـنوات إلى إمكانية (حله) إذا فشل في الإصلاح الداخلي.. فكيف استشرفت هذه (الرؤية)؟

منـذ ارتباطي بالعمـل مع الرئيس السـادات اعتدت على أسـلوب المكاشـفة ومصارحته القـول يقينًـا مني أن هذا ما يميزني عن غيري بكل تواضـع.. وكان بدوره يمنحني هذه الأجواء ويستحسـن هذه النغمة من الانتقادات في حديثي لأنه كان يفتقدها على ما يبدو فهو في قمة السـلطة منذ عام 1952 ومنذ عام 1971 حتى 1977 كان يسـير بصدق في طريق الديمقراطية ولكن بعد الانتفاضة الشـعبية شـعر أن الأمـور تحتاج إلى إحكام القبضـة وكان حزب مصر يرأسـه ممدوح سـالم رئيس الوزراء فقرر السـادات عام 1978 تأسـيس الحزب الوطني وتولى رئاسته وكان عاقدًا العزم على ألا يكون شكليًا ولكن عقب دخولي الوزارة.. فاتحني الرئيس في وضع الحزب وقال أنه سيء فقلت له: أسوأ مما تتصور يا فندم وأضفت: إنه ولد ومات في نصف سـاعة فلم تكد الهيئة التأسيسـية التي اجتمعت في سـان استفانو بالإسـكندرية تبدأ أعمالها

في 11.15 وتنهيها في 11.45 حيث أتت الجماهير أفواجًا للاشتراك في حزب السلطة والقرآن الكريم يقول «وكسونًا العظام لحمًا» إلا أن الحزب تضخم وترهل بالملايين دون وجود الهيكل العظمى الي يلتف حوله الناس فولد (هلاميًا) واختفى بنفس الآلية!! وفي إطار مسار الإصلاح المبكر اقترح السادات إجراء انتخابات من القاعدة للقمة ولم يكن الزملاء يتصورون أن الرئيس يريد دماء جديدة وممارسة جديدة و إلا فالقدماء أفضل لأنهم أكثر خبرة.. وأوضحت للرئيس أننا يجب أن ننجح في مهمتنا حتى لا يشعر المواطن بالإحباط لأنها ستكون التجربة الثانية للحزب والثامنة للنظام بعد هيئة التحرير والاتحاد القومي والاتحاد الاشتراكي.. إلخ.. و إكتشفنا أن العناصر الجيدة بمنأى عن الحزب خوفًا من اتهامها بالانتهازية.. لذلك فالحزب محروم من الكفاءات ومعظم العناصر الجيدة لها تاريخ سياسي (شيوعيون أو ناصريون أو إخوان مسلمين) وأصبح لدى السادات قناعة كما ذكرت له أن الناس لن يأتوا هذه المرة بالصفارة ولكن لابد من السعي لاجتذابهم واختصارًا لم يكتب للتجربة النجاح.. وفيما بعد حسم السادات موضوع الديمقراطية بينه وبين نفسه وصدرت مجموعة من القوانين المكبلة لها مثل قانون العيب وكانت أحداث سبتمبر 1981 نقطة فاصلة.. فخرجت من الوزارة.. فالحاكم قد يتسع صدره للآراء المعارضة وقد يضيق بها ذرعًا ولا يريد سماع (هذا الكلام الفارغ) وهو في النهاية فعل ذلك وبقيت المودة والمحبة العميقة والاحترام المتبادل ومكانته كزعيم فى قلبي وعقلي.

رصدت بذور الفتنة الطائفية في عهد السادات.. فهل كان تدعيمه للتيارات الإسلامية لمجابهة الشوعيين سبباً في اشتعالها؟

في ثورة 1919 وحتى عام 1952.. لم تعرف مصر الفتنة الطائفية ولكن بداية من عهد ثورة يوليو التي لم يكن بين مجلس قيادتها قبطي واحد بدأت المشكلة تتنامى و إن كان البعض يرى أن عدم تعيين قبطي في مجلس القيادة آنذاك دليلًا على التسامح وطبيعة الأمور وعدم الارتكان إلى الشكل العام فقط لإبراز الأمور بصورة متوازنة كما يحدث الآن عمومًا.. بعد نكسة 1967 اشتد التيار الإسلامي وفي عهد السادات حدثت وقائع مؤسفة مثل اغتيال أصحاب محلات الذهب من الأقباط وأحداث الزاوية الحمراء.. والسادات كانت له سلبيات بالطبع.. لكن إيجابياته أعظم وأعمق أثرًا من سلبياته ومشكلة الفتنة لم يتم معالجتها من الجذور.

كنت وزيراً للإعلام والثقافة.. فما رأيك في منصب وزير الإعلام بين الإبقاء والإلغاء ومن هو أفضل وزير ثقافة في مصر؟

منذ ثلاثين عامًا حين عهد إلى بهذا المنصب وأنا أسعى إلى إلغائه وقد يبدو الأمر غريبًا.. ولكنها كانت ومازالت قناعة شخصية ووجهة نظري كانت تتمثل في تعيين أمين لمجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون بدرجة وزير والأمر كذلك بالنسبة لهيئة الاستعلامات فدور الوزير يعوق من وجهة نظري انطلاق الإعلام بحرية وأرى أن نموذج الـB.B.C هو الأنسب لنا والرقابة تكون شعبية من لجنة الإعلام والثقافة في مجلس الشعب وتتحمل الجماهير نتيجة اختياراتها كما تكونوا يولي عليكم فإذا تم اختيار متعصبين متشددين فتلك هي مسئولية الشعب وبالتجربة والخطأ سيتعلم الأصوب.. أما نمط الملكية في الصحافة القومية فالأنسب وجود مجلس تحرير يقر السياسة التحريرية وتقسيم الأسهم ما بين الدولة والعاملين وللأفراد وبكل صراحة فأنا أعتقد أن فاروق حسني أفضل مني كوزير ثقافة قياسيًا على إنجازاته ويأتي في المرتبة التالية لثروت عكاشة.. فأنا لم أكن متفرغًا وعملي كوزير لشئون رئاسة الجمهورية كان يبتلع معظم وقتي.

ثورة 25 يناير بشعبيتها الجارفة تواجه الآن ارتباكاً ومأزقاً يرجعه البعض إلى عدم وجود قيادة موحدة لهم وذلك من أهم سلبياتها؟

الإجابة على هذا السؤال تحتاج تأسيسًا تاريخيًا موجزًا.. فقد اعتدنا منذ عهد عبد الناصر أن نكون وراء أي رئيس بخطوة هو يقترح ونحن ننفذ ولا نبادر بإبداء الرأي خوفًا من ألا يوافق رغباته.. بدأت الثورة بحماس وإصرار من الشباب غير مسبوقين وسرعان ما انضمت لها الجماهير لتتكون قماشة الثورة التي بدأت بمظاهرة سليمة وتطورت تدريجيًا نتيجة لرد فعل القيادة السياسية والقمع الأمني إلى ثورة شعبية اسقطت النظام فالشباب لم يكونوا على صلة شخصية ببعضهم البعض وتلك ميزة كبرى فلو ان لها قائد كنا سننتظر ما يشيره علينا وبالطريق الصحيح الذي يجب اتباعه لأنه يعرف إلى أين نذهب ولكن التجربة تؤكد أن (القائد) في المطلق لا يعلم أيضًا في بعض الأحوال إلى أين نسير.. اختفى هذا الشخص.. فشعرت الأغلبية بالإرتباك.. أحيانًا يستوقفني بعض الناس في الشارع ويسألونني إلى أين نحن ذاهبون.. أجيبهم: إلى المكان الذي تقررونه لكن هذه الميزة يقابلها سلبية تشرذم الشباب سريعًا إلى (190) تجمعًا

وائتلافًا فأصبح التعامل معهم صعبًا ولأن أدواتهم غير مكتملة لم يستطيعوا الوصول للحكم فلدينا جهة تطالب وجهة تلبي متضامنة مع أهدافهم معترفة بشرعيتهم تتمثل في الجيش.. وكان الأفضل أن يتجمع الشباب في حزبين أو ثلاثة على الأكثر.. مع الأخذ في الاعتبار فروق الأجيال والمواقع والخبرة بين المجلس العسكري والشباب وبعضهم لديه وعي سياسي هائل ويبشر بمستقبل أفضل لأننا أصبحنا بكل المقاييس من الدول المتقدمة سياسيًا التي لا يغفل فيها الرأي العام عن الدستور والقانون وبالرغم من تعاظم مسئولية الجيش حتى يتم إعادة تشكيل الكيان الأمني بمفهوم جديد.. فأنا أطمئن الناس إلى أن حالة القلق والارتباك أمر طبيعي مرت به دول عديدة قبلنا أثناء عبورها من مرحلة الديكتاتورية للديمقراطية فأسبانيا مكثت فيها خمس سنوات بعد فرانكو والبرتغال بعد سالازار ثماني سنوات وأندونسيا عشر سنوات.

□□□

9- منير شاش

وأسرار جديدة عن حادث المنصة

على شفيق قال لي: لا نريد دكاترة في الجيش ولكن ولاد جدعان!



يحتار المرء من أين يبدأ فأرض الفيروز وجبال القمر ممتلئة بالكنوز والآثار والحكايات.. سيناء التي تتمتع بشهرة عالمية لأنها كانت مهبط الوصايا العشر على سيدنا موسي.. وبوابة مصر الشرقية.. ومسار العائلة المقدسة في طريقهم إلى مصر.. وهي أرض مر بها سيدنا إبراهيم عليه السلام وشهدت الفتح الإسلامي لمصر.. سيناء 61 ألف كيلو متر مربع من الطبيعة الخلابة وأنظف بيئة في العالم بشهادة الخبراء وثروة معدنية ومقومات سياحية وشواطئ على أجمل البحار والمحميات أرض النخيل والزيتون.. والتي تبلغ ثلاثة أضعاف مساحة إسرائيل فسيناء لا يمكن التعبير عنها بالكلمات والدراسات الوصفية ولكن بسواعد أبنائها وتعميرها بالبشر والشجر على حد تعبير اللواء منير شاش محافظ شمال سيناء الأسبق والذي يلقب «بعاشق سيناء» وشيخ عربها بين القبائل نظرا لمكانته ومنزلته في نفوسهم.. فهو أكثر من اختلط بهم وأعجب بدستورهم غير المكتوب الذي يشبه «الماجنا كارتا» الدستور الإنجليزي لما يتمتع به مثله من سطوة ملزمة لا ترد، فالعرف القبلي كان محط إعجابه وتقديره.. منير شاش بطل من أبطال المدفعية وابن بار من أبناء المؤسسة العسكرية التي نختلف في كل شيء ولكننا نتفق على كونها موضع عزتنا وافتخارنا وحامي حمانا.. اللواء منير عاصر أكثر اللحظات حرجا بدءا من اشتراكه ليلة ثورة 23 يوليو 1952 وانتهاء بحرب أكتوبر فشهد سنوات الانكسار والانتصار.. وخاض أكثر المعارك المحببة إلى قلبه معركة البناء والتشييد حيث بدء تعمير شمال سيناء من نقطة الصفر وقبل التحدي ولم تخفت جذوة حماسه.

عاصرت لحظات تاريخية فاصلة في تاريخ مصر منذ تخرجك في الحربية عام1950 وانخراطك في تنظيم الضباط الأحرار. فلتحدثنا عن المهام التي أوكلت إليك ليلة الثورة؟

بدأت خدمتي بالعريش.. وفاتحني فتح الله رفعت وكان نقيبا وقائد بطارية في سلاحنا (المدفعية) وعلم أنني شأني شأن أي ضباط غيور على وطنه ساخط على الأوضاع التي آلت إليها البلاد والجيش بصفة خاصة وتوطدت العلاقة والثقة وكنت أتولى توزيع المنشورات التي تندد بتلك المساوئ والسلبيات على قيادات اللواءات أثناء غيابهم واتركها.. وكنا نتحرق شوقا يوما بعد يوم للثورة وكثيرا ما كان الزملاء يلومون فتح الله لعدم أخبارهم بموعدها وتأجيلها ويعدهم بأنه إذا تم تعيين حسين سري عامر وزيرا للدفاع سنقوم بالثورة وكان سلاح المدفعية الذي انتمي اليه يضم كلا من صلاح سالم وكمال الدين حسين وعبد المنعم أمين ومجموعة أخرى من رجالات الثورة. كنت ما أزال ملازما أول حين تحركنا من العريش إلى الهايكستب في الساعة الرابعة بعد الظهر وكنا أول وحدة تتحرك بطارية(2)، مدفعية ميدان وفي تمام الساعة الحادية عشرة مساء ليلة23 يوليو1952 اخبرنا فتح الله رفعت أن الثورة قامت بالفعل فتهللنا فرحا وتوجهنا إلى مستشفي كوبري القبة أمام القيادة العسكرية وفتحنا البطارية وكنت مسئولا عن تجهيزها ولم أضع إريال اللاسلكي لعدم لفت الانتباه بعد قيام الثورة يوم25 يوليو تحركنا في اتجاه طريق مصر إسكندرية وتوقفنا في الرست هاوس وسألنا فتح الله ما الأمر؟ فقال يا جماعة نحن ذاهبون إلى الإسكندرية لكي نخرج الملك. وعمت الفرحة بيننا مرة أخرى وذهبنا إلى إستاد الإسكندرية حيث قضينا ليلتنا وفي صبيحة يوم26 يوليو توجنا إلى قصر المنتزه لكن الملك كان قد توجه إلى قصر رأس التين. فذهبنا إلى هناك واستقرت مدفعيتنا على الخليج المجاور لرأس التين حيث يوجد خفر السواحل.

هل حدث تبادل لإطلاق النار بينكم وبين الملك أو أي قوات أخرى كما ذكر في مذكراته؟

حدث تراشق ناري بين حرسه الخاص وبعض الأفراد من سلاح المشاة بالبنادق لمدة عشر دقائق لكننا كسلاح مدفعية كنا جاهزين تماما وفتحنا البطارية تحسبا لأي ظروف تطرأ.. وكلفت بالتركيز على قبة قصر رأس التين.. فكانت هدفي الأساسي ويبتسم اللواء منير ويتذكر

قائلا: حين شرفت بمنصب محافظ شـمال سيناء وشاءت الأقدار عام1982 أن أدخل قصر رأس التـين لكي أحلف اليمين.. شـاهدت تلك القبـة التي تتدلى منها' نجفة' عملاقـة لم أر مثيلا لها في حيـاتي في ضخامتها وجمالها وروعتها وقلت لنفسي هل كنت سـأحطم هذه التحفة الفنية.. وغادر الملك الميناء السـاعة السادسة على ظهر المحروسة لكن الأوامر صدرت لنا بالبقاء حتى الثامنة مسـاء فربما حـاول الملك العودة مرة أخـرى فتكون هناك مقاومة ولا تكون السـاحة أمامه خالية!! وفي طريق عودتنا استقبلتنا الجماهير بالإسـكندرية بترحاب شـديد وسـعادة بالغة حتى انهم قاموا برفع السيارة النصف نقل التي كنت استقلها مع الزملاء.

ما الذي يميز سـلاح المدفعية.. فالدبابات مثلا يقال عنها انها بمثابة قشـرة عين الجمل التي تحمي المشاة؟

عقب تخرجي في الكلية الحربية عملت مدرسـا ثلاث سـنوات لمادة الطبوغرافيا من1953 حتـى1956 ثم طلبني سـلاح المدفعية بعد حـرب1956 وظللت به وتدرجـت في مناصبه حتى عينت محافظا فالمدفعية تحمي المشاة والصاعقة وقد أحدثنا خسائر فادحة في إسرائيل في حرب أكتوبـر حيث كنت قائـدا لمدفعية الجيش الثالث وأطلقنا قذائفنا عـلى مدي53 دقيقة ومهدنا الطريق لعملية العبور وتشـييد الكباري ودفع المقاتلين إلى شرق القناة فالمدفعية منعت دبابات العـدو في العمق مـن الوصول لخط بارليف وأزالت الألغام ولعبت دورا رئيسـيا بقيادة الفريق الماحـي بعد الضربة الجوية في تحقيق النصر ولكن على المسـتوي الاجتماعي فسـلاح المدفعية مترابط للغاية فحين تكون هناك مناسبة ما نتجمع سويا بصورة لافتة حتى أنهم كانوا يطلقون علينا (الماسونية) كناية عن حالة التآزر فيما بيننا وذلك مرجعه لطبيعة السلاح فبطارية المدفعية تتكون من12 مدفعا تتجمع في منطقة مداها (200 متر) لذلك دائما بيننا رابطة ومحبة.

كنت عضوا في أول بعثة عسـكرية إلى روسـيا عام1958 فما الذي تختزله من مواقف وأحداث وأشخاص؟

حين وصلت بعثتنا إلى الاتحاد السـوفيتي ومدينة (بنزا) تحديدا شـعرنا بتأثير وطأة الحرب العالمية الثانية بالرغم من مرور أكثر من عقد على انتهائها فالاقتصاد كان منهكا والبلد تحاول أن تتعـافي وتنهض من أنقاض الخراب كان بصحبتي آنذاك المشـير محمـد عبد الحليم أبو غزالة

ويوسف صبري أبو طالب اللذان سيصبحان وزيري الدفاع فيما بعد وأحمد المتيني محافظ أسوان لاحقا وكنا نقطن في مبني دراسي واحد ونحرص على تواجدنا الجماعي، في تلك الآونة كان بدل الصرف المرسل إلينا يقدر بمائة وخمسين جنيها شهريا كنا نقوم بتغييرها إلى جنيهات ذهبية في سويسرا والجنيه الذهب يقدر بـ500 روبل تقريبا وكنا نبدو مثل أثرياء الخليج في بلادنا لأن أهل البلاد كانوا يعانون شظف العيش يسكنون كل ثلاث أسر في شقة مشتركة الرجل يمتلك قميصا وبنطلونا وفي الشتاء يضع فوقهما البالطو العتيق يبتسم اللواء منير ويتذكر قائلا: في إحدى المرات أثناء مغادرتنا المطعم في ليلة من ليالي الشتاء الروسية القارسة فوجئت برجل يشدني من ملابسي ويطالبني بنزع البالطو ويتساءل لماذا ارتدي مثل هذا البالطو وهو لا؟ فقلت له: ارتد أنت أيضا ما تشاء وظهر من حديثه أنه يعتقد أننا قادمون من الدول الشيوعية على حساب روسيا الأمر الذي ضايقه كثيرا فاخرج من جيبه «لكمة حديدية» وهم بتصويبها ناحية وجهي فأسرع أبو غزالة ويوسف صبري أبو طالب وجريا نحوي واستدعيا البوليس وفر الرجل هاربا وبعد مرور فترة قصيرة على تلك الواقعة حيث زادت حدة الهجوم علينا في بنزا انتقلنا إلى موسكو والمشير أبو غزالة كان من ألطف الشخصيات التي قابلتها في حياتي يشعر الإنسان بعد مرور ربع ساعة أنه دخل قلبه كان يتمتع بخفة ظل غير معهودة ولم يغيره المنصب شأن كل الأصلاء ولم تغادره روح الفلاح أبدا.. أما يوسف أبو طالب فكان طيب القلب لكنه لا يرفع الكلفة بينه وبين الآخرين واعتز بأنه لم يفتح قلبه لأحد باستثنائي وحين عينت محافظا لشمال سيناء كان سعيدا لأنه كان يشغل هذا المنصب من قبل وذكر لي أن مبعث رضائه هو ثقته بأنني لن أتحدث عنه إلا بالخير.

عدتم من البعثة في بداية الستينيات فكيف تمت الاستفادة بخبراتكم.. وكيف شعرت بوطأة الهزيمة.. فالحزن والانكسار يوجد ألف حالة كما يقال فكيف كانت حالك؟

كنا أول بعثة تدرس العقيدة العسكرية الشرقية.. كل البعثات التي سبقتنا كانت تدرس العقيدة الغربية سواء كانت إنجليزية أم أمريكية وعلي مستوي كتيبة أي سلاح واحد.. لكننا كنا أول بعثة تدرس الأسلحة المشتركة وكانت هي الأسلوب المعاصر للمعارك حيث تتناغم جميع الأسلحة في تحقيق هدف واحد كان الحماس يملؤنا وطلبنا من الماحي أن نقوم بتدريس

ما حصلناه من علوم عسكرية وفي تلك الفترة كانت شلة المشير عبد الحكيم عامر وعلي شفيق على وجه الخصوص وآخرين يسيطرون على سلاح المدفعية بالرغم من أن رتبهم لا تزيد عن مقدم أو عقيد على الأقصى وحين طالبنا على شفيق (أنا وأبو غزالة ويوسف أبو طالب) برغبتنا هذه أجابنا على شفيق بحدة قائلا: ' بقول لكم ايه.. نحن لا نريد دكاترة في الجيش ولكن ولاد جدعان!» وانتظرنا أكثر من سنة حتى سمح لنا بعمل هذه الدورة ولم تستغرق أكثر من ثمانية شهور وتزاملنا نحن الثلاثة مرة أخرى في أكاديمية ناصر عام1971 عقب ذلك تولى أبو غزالة قيادة مدفعية الجيش الثاني وتوليت رئاسة أركان حرب الجيش الثالث بعد مرور الغيمة الكثيفة التي خلفتها هزيمة1967 في نفوسنا أصبحنا فاقدين الثقة في قيادتنا العسكرية تماما فالمعنويات سيئة وكنا لا نكترث بتنفيذ الأوامر ونقول فيما بيننا أنهم لا يفقهون شيئا باستثناء أوامر الفريق محمد فوزي فكانت كالقدر لابد أن تنفذ وعهد إلينا بتدمير الصواريخ التي كانت تطلقها إسرائيل في حرب الاستنزاف واستمر معدل أدائنا ومعنوياتنا في الارتفاع حتى سبتمبر1968 حيث طلب منا عدم التوتر وتجهيز الجبهة وتهدئة الأجواء والامتناع عن القتال أو رد الضربات خاصة إذا لم تكن هناك خسائر.. فالقوات المسلحة لم تكن سببا في هزيمة1967 ولكنها كانت ضحية لها!!

حادث المنصة ومشهد اغتيال الرئيس السادات لا يمكن أن يمحي من ذاكرة من شاهده كما تهيأ لك فكيف كان شعورك وأنت تري أحد أفراد وحدتك يتوجه برشاش صوب المنصة؟

أنه يوم كئيب للغاية بالرغم من أن بدايته كانت عادية تماما فقد كنت أجلس في الصف الثالث.. وظهرت طائرات القوات الجوية بدخانها الأحمر والأزرق متزامنة مع مرور طابور المدفعية الخاص بوحدتي حيث كانت تمر مدافع130 مللي روسية الصنع وفجأة تعطل مدفع ووقف أمام الرئيس وكانت مركزا انتباهي صوب المدفعية لا الطائرات فقلت: يا له من حظ سيئ ولم تمر ثوان حتى تحرك المدفع فقلت الحمد لله ثم توقف مرة أخرى ونزل خالد الإسلامبولي وفي يده رشاش مصوبا تجاه المنصة وبدأ الأفراد المصاحبون له في قذفنا بالقنابل.. فشعرت بحزن شديد وحدثت نفسي قائلا: للأسف الشديد انها أتت من بيننا من سلاحي.. وحدث هرج ومرج وكان ما كان.. وفيما بعد روي لي المشير أبو غزالة أنه شعر في البداية

بالحزن الشديد لأنه اعتقد أن الإسلامبولي يقصده تحديدا.. ورأيت السادات والدماء الداكنة تسيل من فمه فأدركت أنها دماء الموت وكان أبو غزالة ذاهلا لا يرد كلمته مرارا حتى اطمأن عليه وعلي الفور اتبعت المدفع بعربتي وتوجهت لمكان التجمع لأن الإسلامبولي ضرب عليه النار هو وشخصان آخران وهرب الثالث ثم تم إلقاء القبض عليه لكن الجرار كان به بعض العساكر الذين لا يعرفون شيئا عن العملية بأكملها فأحضرتهم إلى مكتبي وسألتهم ماذا حدث وأخبروني أن الإسلامبولي أحضر ثلاثة عساكر من الجيش قبل العرض بليلة واحدة وادعي أنهم من اللواء333 وطلب منهم الوقوف خدمة على مخزن السلاح ومن العجيب أن الإسلامبولي كان يشكو قبل العرض بأسبوع بأنه اشترك لمدة ثلاث سنوات متصلة في العرض لأننا استعنا به حين اعتذر زميله لمرضه.. أي أن فكرة الاغتيال اختمرت في ذهنه قبل تنفيذها بأسبوع بإيعاز من عبود الزمر وشاءت الأقدار أن الرئيس السادات لم يستعن بحراسته مستندا لأنه يجلس وسط أبنائه.

كنت محافظا لشمال سيناء لمدة أربعة عشر عاما هل كان من الممكن تحرير بقية سيناء دون اتفاقية كامب ديفيد؟

بالطبع لا. فالسادات بذل أقصي ما يستطيعه في الحرب طبقا للإمكانات والظروف المحيطة.. فما زالت الجولان محتلة وما زال صوت السادات في أذني وهو يخطب قائلا: يا حافظ بقولك انضم لنا والذي سيتم في سيناء سيتم في الجولان.

بعض المعترضين يقولون إن سيناء كان يمكن تحريرها دون كل التنازلات التي قدمتها مصر في الاتفاقية وجعلت منها منطقة منزوعة السلاح يسهل الاستيلاء عليها ما رأيك؟

هذا كلام غير صحيح على الإطلاق فسيناء تساوي وزنها ذهبا فمساحتها تبلغ 61 ألف كيلو متر مربع أي ما يقرب من ثلاثة أضعاف مساحة إسرائيل إضافة لثرواتها المعدنية وطبيعة تربتها ومناخها المعتدل معظم شهور السنة كما أنها من أنظف البيئات عالميا بشهادة الخبراء إضافة إلى سواحلها الممتدة على البحرين المتوسط والأحمر وسيناء ليست منزوعة السلاح وعقب تخرجي في الحربية مباشرة خدمت بالعريش ولم يكن بها يوما قوات أكثر من التي تتواجد فيها حاليا وهي في المنطقة (أ) فرقة مشاة ميكانيكا ومدفعية من ثماني بطاريات

والمنطقة (ب) حتى الشيخ زويد ويتواجد بها حرس الحدود مدعم بالهليكوبترات والعربات المدرعة والشرطة المدنية في المنطقة (ج) فمن الناحية العسكرية لا يوجد أي مبرر للخوف في ظل وجود نفق أحمد حمدي وكوبري مبارك فإذا حدث اعتداء فمن السهل تعبئة الجيش لأن الحرب لا تقوم فجأة ولكن لها نذر.

كتب أحمد رجب في نص كلمة يقول: نحن كالبقال الذي علق يافطة: غدا البيع شكك ونحن نقول غدا نعمر سيناء ولم نفكر في إقامة منطقة صناعية حتى أصبحت مثل الشقة الخالية تسيل لعاب اللئيم ويا خوفي يغيروا الكالون ويرموا كراكبنا في الشارع فليس لنا فيها أي عفش ويتم الاستيلاء عليها وعلي المتضرر اللجوء للأمم المتحدة' هذه المخاوف تراود الكثيرين فما السبيل لإبعادها؟

سيناء هي بوابة مصر الشرقية وقد تعرضت لكل الغزوات بدءا من الهكسوس حتى الغزو الإسرائيلي في عام 1967 فسيناء كانت منطقة عازلة تجري على أرضها الحروب فمحافظ سيناء حتى عام 1946 كان إنجليزيا - وكان الأهالي محرومون من الخدمات وأمن مصر يتوقف على أمن سيناء.. وذلك لن يتحقق إلا بزرعها بالبشر المنتمين المتملكين لأرضهم كما كنت أفعل فقمت بتمليك الأرض لمن يزرعها مقابل خمسين جنيها للفدان فزادت الرقعة الزراعية من 28 ألف فدان إلى 307 آلاف فدان عام 1994 وفوضني يوسف والي بتوقيع عقود الملكية لأهالي سيناء واستندت إلى أنني لن أقوم بهذه الخطوة إلا بعد ظهور الخضرة في الأرض.. ولا ننسي أن زراعة الصوب بدأت من سيناء.. ومن الجدير بالذكر أن ترعة السلام التي تم بدء تنفيذها عام 1994 لم تستصلح إلا 25 ألف فدان في حين أن المخطط كان يفترض أن تصل إلى 400 ألف فدان.. كان مجموع المدارس في شمال سيناء وجنوبها 29 مدرسة حين توليت المسئولية، وصلت قبل بدء المشروع القومي إلى 440 مدرسة بالإضافة للمستشفيات وشق الطرق.. فسيناء تحتوي على كنوز عديدة.. فالرمال البيضاء بها تصل نسبة السيلكون فيها إلى أكثر من99 % وهي تصلح لصنع الخلايا الضوئية.. إضافة إلى أن أهلها من أكثر أبناء مصر انتماء وارتباطا بأرضهم وهم يكرهون اليهود لسوء معاملتهم لهم قبل1973 فكانوا يأتون بشيخ القبيلة ويخلعون عقاله ويأمرونه بجمع القمامة من الطرقات لكي يشعر بالمهانة.

ولكـن يقال عنهم في الآونة الأخيرة انهم يضمون بين قبائلهم بعض الارهابيين وتجار المخدرات فما السبب في ارتفاع هذه النغمة السائدة؟

عـدم الفهم بصفة عامـة لطبيعة المجتمع في سـيناء وعدم معرفة نظام القبائـل فأنا أفتخر أنني تعلمت من أبناء سـيناء وتأثرت بأفكارهم وهم الذين أرشـدوني لمعالمهـا وطرقها.. وكانوا يقترحـون بعـض المشرعـات المفيدة فكنت أناقشـها مع الجهـاز التنفيذي للمحافظـة ثم نقوم بتنفيذهـا في حال جدواها.. لكنني بدوري كنت حريصا على الاختلاط بهم.. أجالسـهم على الأرض فوق المراتب الاسفنج أشاركهم ولائمهم حريصا على حضور جلساتهم وخاصة جلسات القضـاء العرفي وتسـمي (الجاهة).. وهو أعدل قضاء شـاهدته في حياتي حيث يتم الاسـتعانة بثـلاث قضاة كل طرف يعين قاض والثالث يكون محايدا.. وكلمة الشرف وكبار رجال القبائل سـيف مسـلط على الجميع فلا يخرج أحد عن طاعة القبيلة ولو حـدث ذلك يطلق عليه كلمة «مشمس» إشارة لابتعاده وتواجده بعيدا عن قبيلته في الهواء والشمس ومعظم هؤلاء المشمسين وهـم قلة يقطنون الجبال وقـد يتحولون إلى إرهابيين.. فهم يخرجون في البداية عن نظام القبيلة ثـم المجتمع بأكمله.. وكنت حريصا على عقد مؤتمر للمشـايخ شـهريا وكثيرا ما كان يرافقني مديـر الأمن لزيارة بعـض القبائل.. إضافـة إلى أن أبناء سـيناء قاموا بعمليـات فدائية عديدة وتحملوا المشاق والمصاعب بعد1967 لكنهم رفضوا أن يتركوا أرضهم أو يتم تدويلها كما كان يريد موشي ديان في مؤتمر الحسـنة الشهير وأحرجه سالم الهرش أمام الصحفيين العالميين وقال له نحن مصريون ولاؤنا لجمال عبد الناصر.

لماذا قامت إسـرائيل بهدم «ياميت» وسـوتها أرضا هل حاولت معرفة الأسـباب من الأهالي أو المسئولين؟

أقامت إسرائيل في سيناء (13 مستعمرة) مساحتها من خمسين إلى مائة وخمسين فدانا وكان بالعريش مستعمرة واحدة.. ومن الملاحظ أنهم كانوا يستشعرون أنهم سيتركون سيناء عاجلا أو آجـلا بعد حـرب 1973 أما مسـتعمرة ياميت والتي تبعـد عن رفح (10) كيلـو مترات فقد حرص شـارون بالفعل عـلى هدمها بالرغم من أنهـا لم تكن مسـتعمرة زراعية ولكن مخصصة لكبار الضباط الإسرائيليين وفيما بعد سـألت السـفير الإسرائيلي عن السـبب فقال: فعلنا هذا خوفا من عودة سكان هذه المزرعة مرة أخرى الأمر الذي قد يهدد السلام بيننا.

ما الذي تتمناه لسيناء؟

أتمنى أن يتم تأسيس جهاز قومي يتولى مسئولية تنمية وتعمير سيناء على أن يتبع رئيس الجمهورية مباشرة أو رئيس مجلس الوزراء وأن يتوافر كل الخبراء والإمكانيات والمعلومات من مركز معلومات مجلس الوزراء فهي من الممكن أن تستوعب ما يقرب من ثلاثة ملايين نسمة ولا يقطنها حاليا سوى أقل من نصف مليون ولكن من مصلحتنا المحافظة أيضا على نقاء القبائل لأن الاختلاط حين يأتي طبيعيا من الدلتا وبقية مدن مصر ستحدث التنمية دون تراجع وأتمنى إلغاء الفراغ فهو يغري بالاعتداء وفقا للمبادئ العسكرية التي تعلمناها.

□□□



منير شاش يصافح السادات ومبارك



قبل لحظات من عملية اغتيال السادات



المشير أبو غزالة في أقصى اليمن بالبرنيطة ومنير شاش الخامس ويوسف صبري أبو طالب - في اليونان

الفصل الثاني

نجوم الشعر والأدب والفن

- فاروق شوشة
- خيري شلبي
- محفوظ عبد الرحمن

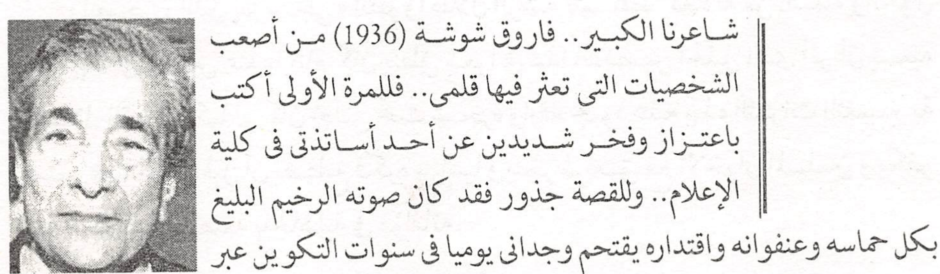


صورة نادرة جدا لأم كلثوم وهي في ريعان الشباب

10- الشاعر فاروق شوشة

إسرائيل لديها مجمعا للغة العربية!

حولنا إبداع المرأة إلى نميمة



شاعرنا الكبير.. فاروق شوشة (1936) من أصعب الشخصيات التى تعثر فيها قلمى.. فللمرة الأولى أكتب باعتزاز وفخر شديدين عن أحد أساتذتى فى كلية الإعلام.. وللقصة جذور فقد كان صوته الرخيم البليغ بكل حماسه وعنفوانه واقتداره يقتحم وجدانى يوميا فى سنوات التكوين عبر برنامجه البديع «لغتنا الجميلة» وتحول الأمر من كونه زادا ثقافيا ليصبح منارا هاديا فى مرحلة الاختيار والبحث عن المسار، وقررت الالتحاق بكلية الإعلام التماسا للاستزادة من علمه وتعلقا بالعربية التى علمنا عشقها، واعتقد أن شأنى كان شأن الآلاف مثلى الذين استقطبهم بأدائه الفريد وهو يطوف بنا فى دروب التراث يتذوق الكلمة ويطعمها لنا وينثر عطر اللغة ومفاتنها ويستقطر حكمة الحياة فى بيت شعرى يصل بسامعيه إلى حالة النشوة الشعرية التى يصعب تلمسها فى هذا الزمان.. وهو فى كل ما يكتب من أشعار ودراسات ومقالات حريصا على الاحتفاظ بهويته.. فاروق شوشة «قيثارة الإذاعة وكروانها» مفكرا عميقا من أبرز حماة اللغة والساهرين على خزائنها وحراسها ممن يريدون تقطيع أوصالها من خلال دوره كأمين عام للمجمع اللغوى.. يتمتع بثقافة إنسانية عميقة، وصفه الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين بأنه وزارة ثقافة قائمة بذاتها،

علمت أنك من تلاميذ سيد قطب فكيف كانت صلته الأكاديمية بالجامعة ودار العلوم آنذاك؟

حين أعلنت دار العلوم عن قبول هذه الدفعة لم يكن عددنا يتجاوز (40 طالبًا) بين 300

طالب أزهرى لذلك قرر عميد الكلية آنذاك الدكتور إبراهيم اللبان أستاذ الفلسفة الإسلامية أن يقوم بعملية تناغم بين طلبة التوجيهية الوافدين وبين طلبة الأزهر فاستعان بسيد قطب ليسد الفراغ لدى الأغلبية فى علاقتهم بالقرآن وتفسيره وكنا أول من حصد ثمار محاضراته فى تفسير القرآن والتى أصدرها فيما بعد فى ثلاثين جزءًا وسماها «فى ظلال القرآن» وتعلو وجه الأستاذ فاروق ابتسامة الامتنان لأحد أساتذته ويضيف: لم يكن الرجل عالمًا فقط ولكنه كان شاعرًا متصوفا عيناه فى السماء يتكلم لغة لا علاقة لها، بعلم التفسير القرآنى بالشكل المنهجى وبدأ معنا بسورة البقرة وكان إذا شرح سورة الضحى يقول مثلا:

«والضحى والليل إذا سجى» انظروا ظلال الرحمة تتساقط كغلالة من السماء والكون عندما يهدأ والأنفاس عندما تنام كان ينطق شعرا فى هذا التخصص الجليل الذى أثر أن يسميه فى ظلال القرآن كما لو كان يجلس تحت شجرة وارفة تجود عليه بهذه الثمرات التفسيرية واستمر معنا عامين قبل أن يصطبغ فكره سياسيا وينخرط بعمق مع الإخوان المسلمين ويكفر المجتمع بأكمه، ويصفه بالجاهلية فى مؤلفاته.

استقطبك أثير الإذاعة فى أوج تألقها قبل أن يزاحمها التليفزيون فكيف تقيم الآن تجربتك الإذاعية التى امتدت عقودا ارتقيت خلالها منصب رئيس الإذاعة؟

قد تندهشين إذا علمت أننى لم أحدد هذا المسار الإذاعى مسبقا ولم يكن فى الحسبان فبعد حصولى على الشهادة الجامعية من كلية دار العلوم ـ التحقت بكلية التربية لمدة عام لأننى كنت أهوى التدريس ونجحت فى اختبار البعثة وكان من المقرر أن أسافر إلى أوروبا وقابلنى أحد الزملاء وكان ترتيبه فى البعثة فى المرتبة الثانية بعدى مباشرة وأخبرنى أنه سيتقدم للإذاعة لاجتياز اختبارات المذيعين الجدد وحثنى على أن أحذو حذوه وضحكت الأقدار كما يحدث عادة فنجحت فى الامتحان، وهو رسب وسافر إلى الخارج فى بعثته أى تبادلنا الأدوار وأستمريت بالإذاعة من 1958 إلى 1963 مذيعا بالبرنامج العام ثم سافرت إلى الكويت لمدة عام لتدريب المذيعين واعتز كثيرا بأننى عملت بالبرنامج الثانى عام 1958 لمدة أربع سنوات بدون قرار إدارى ودون التفكير فى طلب أى مكافأة بل أننى كنت أقوم بذلك العمل طواعية فى عهد الإعلامى الكبير سعد لبيب رئيس البرنامج الثانى آنذاك كنت مبهورا ومأخوذا بمحتواه الفكرى والثقافى يملؤنى الحماس والاعتزاز بالعمل مع كوكبة من ألمع نجوم الأدب والفن والفكر فعملت مع الفنان القدير محمود مرسى

الذى كان يعمل مخرجًا وكانت أقصى أحلامى أن أكون مساعدًا، أرتب، الاسطوانات والشرائط لأننى كنت اعتبر هذا البرنامج هو جامعتى الحقيقية التى تعلمت فيها من الزملاء وأنا مدين، لهذه السنوات الأربع بتأسيسى إذاعيا و إعلاميا ودعم اهتماماتى الأدبية والشعرية وفى البرنامج العام قدمت عشرات البرامج وفى عام 1959 كان نجيب محفوظ هو ضيف أول حلقة من برنامجى «مع الأدباء» وذهبت إليه فى مجلسه بكازينو الأوبرا وسألنى لماذا وقع الاختيار عليه ولم أذهب للعقاد أو طه حسين مثلًا.. فقلت،: أننى قادم للمستقبل وأسعدته أسئلتى بالرغم من حداثة عمرى - 23 عامًا - وقال لابد من كتابة الإجابة لا أستطيع ذلك أمام الميكروفون واتفق معى على قراءتها دون أن تبدو أنها معدة سلفًا لتبدو طازجة مرتجلة.. كنت أعمل وأقيم بالإذاعة ما يقرب من 24 ساعة يوميًا أعيش مع شقيقتى.. متفرغًا لعملى وانهمكت تمامًا حتى قابلنى بالصدفة د. على الراعى وكان ضيفى فى ندوة من الندوات مع د. لطيفة الزيات فجلس بجوارى فى استراحة الإذاعة و باغتنى قائلًا: يبدو أنك انغمست فى مهنة التفاهات اللذيذة تلك الحياة التى تعج بالندوات والتليفونات والمعجبات والرسائل أنك تذكرنى بشبابي يا ابنى كنت مثلك كبيرًا للمذيعين بالإذاعة ولكن حين أعلنت الجامعة عن البعثات الدراسية انتشلت نفسى وذهبت إلى إنجلترا وحصلت على الدكتوراه عن برناردشو.. فالتفاهات اللذيذة لن تترك لك مجالًا أنت خلقت عن جدارة للكتابة والإبداع.. لا الاكتفاء بالبرامج والندوات وقراءة الشعر.. وكانت النصيحة غالية صادقة.. وصحوت من غفوتى واكتشفت أن كتابتى الشعرية تأخرت لذلك صدر أول دواوينى «إلى مسافرة» عام 1966.. فلم أكن محتاجًا لحالة شعرية لكى أنتج أشعارى.. لأننى كنت ممتلئًا بقراءة أشعار الآخرين.

وماذا عن برنامجك البديع لغتنا الجميلة.. كيف ولدت الفكرة وهذا القالب الإذاعى الجذاب الذى مازال مستمرا لأكثر من أربعين عاماً؟

منذ التحاقى بالإذاعة عام 1958 وأنا أطلب من المسئولين تقديم برنامج مختص عن التراث العربى.. كنت أريد أن أقرأ مع المستمع كنوزنا الشعرية وأعرض الحيثيات الجمالية والشعرية فى بعض القصائد للارتقاء بالذائقة الأدبية للمستمعين.. فالشعر ضرورة لإعادة توازننا من براثن هذه الحياة المادية الصرفة.. وكان الرد يجئ أنها فكرة جافة.. ووقعت هزيمة 1967 وأنهار الحلم وساد رأى يقول اننا هزمنا لأننا أبتعدنا عن الأصول والقيم ونحن بحاجة للرجوع إلى الوراء بحثًا عن جذورنا لتستقيم حياتنا مرة أخرى ونعيد للناس الثقة فى ثقافتهم العربية وكلفنى بابا شارو وكان

مديرًا للبرامج العربية الإذاعة.. بإعداد برنامج وحرصت من البداية على ألا يكون تعليميًا واستقر البرنامج اسـمًا وموضوعًا وكان من المقرر أن يستمر شهرا ثم دورة إذاعية واحدة لمدة ثلاث شهور لكنه استمر حتى الآن وأعتقد أن وراء نجاحه عشرات الأسباب أو،ا الإصرار والصدق والتفرغ للفكـرة وبلورتها وإعدادها بعد دراسـة متأنيـة.. فنجاح البرنامج يتكئ على يقـين ذاتى بأن اللغة كائـن حى.. ليس مقطوعـا البتة عن التراث ولكنها لغة موصولة حتى باللغة العصرية التى تتسـم بالجمـل القصـيرة والفواصل.. ووفقنى الله باختيار الموسـيقى التصويرية التى اشـتهر بها البرنامج والتـى حصلت عليها من تسـجيلات فرقـة أرمينية جاءت إلى مصر لأننى كنـت أريد الابتعاد عن الموسـيقى الشرقية تمامًا فكانت المقطوعة محملة بثقافات إسـلامية قوقازية روحها شرقية فى قالب من الهارمونية الحديثة لكى لا يبدو البرنامج عتيقًا وجاءت الفواصل أيضًا موفقة تمامًا ووقع اختيارى على مقطع من أغنية فيروز للرحبانية تعزف فيه الموسيقى بدون كلمات.. «لا أنت حبيبى ولا ربينا سوا.. قصتنا القديمة شلعها الهوا.. وصرت عنى بعيد» وكان رياض السنباطى يعاتبنى بود قائلًا: ألم تجد فى كل موسـيقانا إلا هذا المقطع.. لكنه كان اختيارًا موفقًا تمامًا لأن الموسيقى التصويرية هى التى تهيئ الأجواء لاسـتقبال الرسـالة الإعلامية.. ووقع الاختيار على صفيـة المهندس لتقول بيت الشـعر بصوتها الأنثوى الدافئ الـذى يتحدث عن اللغة العربية وكانت أول مرة تلقى شـعرًا «أنا البحر فى أحشـائه الدر كامن فهل سـألوا الغواص عن صدفاتى».. وأصبح هذا البيت أشهر من نار عـلى علـم فى كل الإذاعات العربية فكلنا غواصون كل بطريقته والطريف أننى كنت أتقاضى 27 جنيهًا بعد الضرائب عن ثلاثين حلقة أى أن أجرى فى الحلقة كان تسعين قرشًا.. وأنا أعكف الآن على طباعة حلقات البرنامج وبدأت فعليًا فى تنفيذ هذا المشروع الضخم لحفظ التراث.

تقوم إسـرائيل الآن بتدريس اللغة العربية فى مدارسها وبصفتك أمين عام المجمع اللغوى ما هو موقفك من الوضع الذى آلت إليه لغة الضاد من تردٍ وإهمال فى عقر دارها؟

ربمـا لا يعلـم الكثـيرون أن إسرائيـل لديها مجمعًـا للغة العربيـة.. لا علاقة لـه، بالمجمع الفلسـطينى فى غزة الذى له مراسل ويشـاركون فى مؤتمراتنا السنوية.. أما المجمع الإسرائيلى.. فيهدف لتدريس اللغة العربية فى إسرائيل لتشجيع حركة الترجمة كجزء من نزعتهم العدوانية التى تستهدف السيطرة على العالم العربى وفض مغاليقه ودس بعض العناصر بين العرب ولم تجد إسرائيل سـبيلًا أفضل من ترجمة أدب نجيب محفوظ إلى العبرية لكى يجسـد، الصورة الحقيقية

للمجتمع المصرى بكل أطيافه وتجلياته الاجتماعية وأرسلوا ناقدهم الشهير «ساسون سوميخ» كثيرًا، وتقابل مع نجيب محفوظ و يوسف إدريس.. لكننا فى المجمع رفضنا تمامًا التعاون معهم حيث حاولوا الاتصال بنا مرارًا عن طريق الخارجية - والمشكلة الأساسية فى تعليم اللغة العربية فى مصر تعود للأسلوب والنهج وهو متخلف بكل المقاييس فهو ليس مواكبًا للأساليب السمعية والبصرية التى تنتهجها اللغات الأجنبية فالطالب يجب أن ينتقل من الحاضر المعلوم الذى يتمثل فى الشعراء المعاصرين وكتابات وروايات كبار الكتاب ثم نعود القهقرى إلى التراث لكى نطلعهم على تراثهم وتاريخ هذه اللغة.. فمن الخطأ أن نبدأ بالشعر الجاهلى والبيئة الصحراوية ولم يعد، لها وجود والمجمع أصدر أبحاث وتوصيات عديدة ولا يتوانى عن تسجيل كل جديد فى اللغة و إجازته.. وقد استفدت من تجربتى الشعرية لأن الشاعر أبو اللغة، وقام المجمع بعمل دراسة وصفية بالاشتراك مع الجامعة الأمريكية وأساتذة وخبراء أوروبيين وأمريكيين لتوصيف العربية المعاصرة وجمعنا مقالات الصحف وأعمال الروائيين الكبار مثل نجيب محفوظ ويوسف إدريس وعشرات الأعمال الأخرى.. وأدخلنا كل ذلك فى الكمبيوتر لعمل ميزان يمثل اللغة العصرية وكانت النتيجة العلمية أن أسلوب أنيس منصور يمثل اللغة العصرية فى مصر لأنه أسلوب سريع الإيقاع.. جملة، قصيرة يستعين بالمفردة البسيطة التى لا يتوقف عندها القارئ لأنه يفهمها لكنها عميقة ومحملة بالمعانى والدلالات والثقافات.

لماذا يأتى حديثك عن التليفزيون دائمًا مفعمًا بالمرارة بالرغم من طول المعاشرة والنجاح الذى أصبته؟

بدأت العمل بالتليفزيون عام 1965 فى عهد همت مصطفى حين كانت رئيسة للقناة الثانية وصلاح زكى رئيسًا للقناة الأولى وقدمت أول فواصل شعرية مصورة فى تاريخ التليفزيون بين الفقرات وقدمت برنامج «دنيا ودين» والذى استضفت فيه الدكتورة بنت الشاطئ وكانت تقف موقفًا هجوميًا إزاء رسالة الدكتوراه التى حصل عليها أحد الوزراء وكانت تحتمى بالأهرام فى تلك الحملة.. وترى أن الرسالة كتبت بثلاثة أساليب مختلفة.. أى اشترك فيها أشخاص آخرون وتصادف أن شاهد هذا الوزير تلك الحلقة وكانت له، سطوة على التليفزيون بحكم منصبه وصدر قرار سرى بعدم استضافة بنت الشاطئ مرة أخرى وتوقف البرنامج ولم أعرف السبب الحقيقى إلا بعد عشر سنين بالمصادفة من مدير مكتب رئيس التليفزيون وقدمت «الأمسية

الثقافية» عام 1970 والتى استمرت 37 عامًا حتى 2007 واستضافت جميع رموز الأدب والفكر فى مصر والعالم العربى من أصغر أديب لأكبرهم واكتشفت بالمصادفة أن البرنامج يذاع الساعة الثالثة صباحًا ففهمت الرسالة وقدمت اعتذارا عن تقديمه.. ويكفى أن التسجيل الوحيد الموجود لأمل دنقل كان من تسجيلات الأمسية حيث أخرجته أسرة البرنامج من معهد الأورام وسجلنا معه فى التليفزيون دون علم الأطباء.. وفوجئت أن حلقات البرنامج التى سجلتها من صالون توفيق الحكيم فى الأهرام مع كبار الكتاب فى عيد ميلاده تم مسحها بالكامل.. وكانت القاعدة فى ماسبيرو أن البرامج الثقافية والحوارات يتم مسحها لتسجيل المباريات الرياضية وقد اضطررنا فى عهد تماضر توفيق لاستعادة التسجيل الوحيد لطه حسين من تليفزيون الأردن وسألناهم عن المقابل فكان الرد بمثابة صفعة تلقتها تماضر توفيق: لا شيء. ولكن نتمنى أن تحافظوا على هذا الشريط النادر ولا تمسحوه مرة أخرى!! وبالرغم من أننى عملت أكثر من أربعين عامًا إلا أننى لم يتم تكريمى وآخرين فى عيد التليفزيون الخمسين بالرغم من دورنا الريادى.

توليت منصب رئيس اتحاد الكتاب ورئيس جمعية المؤلفين والملحنين فما هى خلاصة تجربتك؟

يقول بأسى: تقصدين خلاصة معاناتى فالعمل العام فى مصر قد يصبح أحيانًا عائقًا للمبدع يكبل خطاه ويمنعه من إكمال مشروعه الذاتى.. فاتحاد الكتاب كان نصفه ممن لا ينتمون للكتابة بصلة وأصبحوا أعضاء لأغراض انتخابية لذلك معظمهم محبطون.. وحين طلبت بالإدارة الجماعية وسماع الآراء اتهمت بالضعف لأننا تعودنا على أسلوب الإدارة الفرعونية التى لا تعرف المناقشة.. فنحن نعانى من الأمية بين العامة والأمية الثقافية بين قطاع كبير من مدعى الثقافة وعديمى الموهبة الذين يريدون أن يتصدروا المشهد بكل صفاقة.. لكننى أؤمن أيضًا أنه لا يمكن أن توأد موهبة حقيقية أو تنسحق، قد تتعطل مسيرتها.. أنا الآن أفضل التعامل مع المثقفين عن بعد ولست مسئولًا إلا عن نفسى فقد فطنت أن العمل العام أحيانًا يكون مضيعة للوقت هذه هى خلاصة تجربتى.

ديوانك «وجوه فى الذاكرة» جاء فى صورة لوحات وبورتريهات إنسانية شديدة العذوبة لكننا لم نعهد هذا القالب من قبل فهل يخضع لمقاييس؟

بالتأكيد فلا توجد قصيدة واحدة ليست من بحر شعرى معروف ولو خرجت عن الوزن

لأصبحت مقالات.. فأنا أعتبر هذا الديوان نقلة كبرى في حياتي وأشعر أنني عثرت على كنز ثمين لكتابة قصيدتي التي أخذت الشكل القصصي وأسلوب السرد الذي تمتاز به الرواية.. فقد استفادت جميع الفنون من الشعر فنقول لغة شاعرية في السينما مثلا وآن الأوان أن يستفيد الشعر من هذه الفنون.. فالقصيدة لها بداية وأحداث تتطور ومعظم اللوحات عن شخصيات ارتبطت بها بعلاقة إنسانية في مرحلة من العمر.. فاللغة العربية لابد أن تتجدد وتتواكب مع العصر.

تنتمي لجيل تربى على يد الأساتذة واتصل اتصالاً مباشراً بالعلماء.. فما أبرز ما يفتقده الأستاذ الجامعي الآن؟

عدم إيفاد البعثات للخارج وركود الفكر وعدم قدرته على أن يصبح فكرًا عامًا يخترق أسوار الجامعة إلى الخارج كما كانت تفعل محاضرات طه حسين وغيره من الكبار نحن الآن نخوض في غمار موضوعات لا علاقة ،ا بالعملية التعليمية.. فالجامعة مشغولة بتوافه الأمور والفصل بين الطلبة والطالبات والفتيات المنقبات.. وأعتقد أن مشروع النهضة المصرية الذي بدأ سنة 1919 قد صفى تدريجيًا ونحتاج رفاعة الطهطاوي مرة أخرى.

نزار قباني وأحمد شوقي والمتنبي نجوم الشعر في العربية كيف ترى إبداعاتهم في عبارة موجزة؟

نزار قباني أكثر الشعراء الذين قرءوا بالعربية وأوسعهم انتشارًا.. أحبه البعض حتى العشق وكرهه البعض الآخر وأباحوا دمه.. لكن مشكلة نزار أنه كتب بلغة تشبه الكستور الشعبي على حد تعبيره وهذه اللغة لا تترك مزيدًا من التأويل والغموض والعمق عند القراءات اللاحقة لأنها تمنح نفسها للقارئ مرة واحدة شأن المرأة الجميلة الخاوية التي تعتمد على مظهرها فقط.. أما شوقي فمن أعظم شعراء العربية كان من رأيه أن للشعر جناحين هما التاريخ والطبيعة ويمثل المتنبي أقصى درجة بلغتها الشاعرية العربية وهو شاعر النفس الإنسانية بلا منازع.. فهو معنا في كل لحظة وخاطرة يفرض حضوره الوجداني.

لماذا لا نسمع عن شاعرة ملأت الدنيا وشغلت الناس؟

التراث الشعري العربي منذ الجاهلية به أكثر من 300 شاعرة وفي منتصف القرن العشرين كان لدنيا نازك الملائكة وفدوى طوقان وغيرهما و يوجد شاعرات الآن.. ولكن المشكلة

تكمن فى آن الشعر فن بوح والمرأة تربى فى مجتمعاتنا على الكتمان.. لذلك نحن غالبًا ما نحول إبداع المرأة إلى نميمة فحين كتبت الأديبة كوليت خورى «أيام معه» قالوا إنها قصة حبها مع نزار قبانى والأمر مشابه لما حدث مع الأديبة الجزائرية «أحلام مستغانمى» فى روايتها ذاكرة الجسد.. قالوا لابد أن الشاعر العراقى سعدى يوسف قام بالصياغة الأخيرة فنحن نستكثر على المرأة أن تكتب رواية جميلة!!

قدمت العديد من حفلات أم كلثوم ومازال تعليقك على أغنية الأطلال يمثل إبداعاً مضافاً لروعة الأغنية فهل كنت تكتب التعليق وتعده مسبقاً بعد الاطلاع على كلمات الأغنية؟

أم كلثوم جعلتنا نعيش الشعر الغنائى فى أروع تجلياته وقد قرأت الأطلال عشرات المرات لكننى حين سمعتها بصوتها فى هذا الهودج الموسيقى والأداء الصوتى المعجز والتصورات والأحاسيس التى جسدتها شعرت أننى أطالعها لأول مرة.. لذلك أنا لا أكون فى أفضل حالاتى الإبداعية إلا وأنا أرتجل الكلمات وأمنية حياتى أن أحفظ شعرى لكى أرتجل أمام المستمعين.. فالارتجال يمنحنى حيوية ويثرى علاقتى بالمستمعين لأننى أرقب ردود أفعالهم مباشرة.

كنت رئيساً لجمعية المؤلفين والملحنين التى رأسها من قبل محمد عبد الوهاب فما هو أهم ما أستوقفك فى شخصيته الإنسانية؟

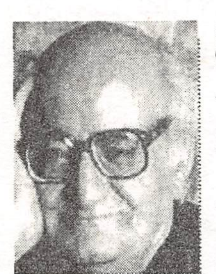
كان بيننا اتفاق مبدئى مفاده أن أقوم بإنشاد أغانيه بصوتى فى بداية تسجيلاته التى كان يعتزم تجديدها ولم يمهله العمر.. وأهم ما فى شخصيته كان ذكاؤه فذلك أهم جهاز كان يمتلكه محمد عبد الوهاب فلديه قرون استشعار تحميه وتعصمه دائمًا من مواطن الزلل أو الخطر والأهم أنه كان يعرف مقدار نفسه كفنان فحافظ على هذه القيمة ولم يهدرها.. كما فعل غيره من الملحنين الذين استهلكوا أنفسهم ولم يكملوا مشروعهم الإبداعى مثله وأذكر أن وكيل جمعية المؤلفين أخبرنى أن عبد الوهاب فى مرضه الأخير كان حزينًا متقوقعًا فقال، فى إحدى المرات: سوف أموت وسيبقى هذا الحذاء بعد منى عشرين عامًا وهو معنى مجازى يجسد حرصه على الحياة.. واستمرارية عطائه بالرغم من إيمانه العميق بفناء الإنسان!!

□□□

11- الروائي الكبير خيري شلبي

الكلب لا يفرط في المكان لذلك كان بطلًا في روايتي!

نجيب محفوظ وصف كتاباتي بأنها أفضل ما كتب عن القرية



شأن الفحم الأصيل القابل للاشتعال بأقل مجهود يصوغ الروائي المبدع خيري شلبي من تجاربه الذاتية وطفولته الشقية عالما سحريا من الحكي. عالم يحفل بالكتابة عن الأرض والفلاح وأصحاب الحرف بلغة طازجة تنتفض مع الأحداث وتراعي مقتضي الحال.. فالكاتب هذه المرة وبعد طول انتظار لا يستدعي التجربة بالإلهام الفني فقط ولكنه متورط في الحكي مشارك في الوقائع.. متجذر في أعماقها فالهوية ريفية وهو حريص على ذلك، كتبت البرجوازية والارستقراطية عن القرية مرارا لكن الانصهار التام بغرض النقاء والتخلص من الشوائب والمعايشة الحقيقية كان رائدها خيري شلبي عن جدارة كما شهد بذلك نجيب محفوظ.. استثمر الروائي الكبير لحظات الحزن والشقاء المزمن في حياته وحولها إلى قصص وروايات تحكي عن قاع القاع في الريف والأحياء الشعبية، أما محور أدبه فيكشف ان الكدح هو الوعد والمكتوب وأن اهتمامه بالمهمشين ليس لأنهم مهمشون فحسب ولكن من منطلق اعتبارات عديدة في مقدمتها العدالة الاجتماعية حرصا على ما تبقي داخلهم من مبادئ.. فالحياة هيصة كما جسدها في رواية صالح هيصة ويا تلحق.. يا متلحقش فكيف ينجو الإنسان بنفسه يوميا من هذا الصراع المرير وهل الحياة المقرونة بهذا القلق الوجودي لم ينج منها الريف أيضا؟ أبطاله في المقابل خليط متنوع من البشر معظمهم من البسطاء يلهجون بالرضا والحمد، ويتسع المدى في حواراته حيث يجد العامة متعتهم وخاصة الخاصة ضالتهم، فالموروث الشعبي الذي يتكئ عليه متعدد التفسيرات، خيري شلبي بيانه ملك بنانه كما يقول حافظ إبراهيم. فهو يكتب بسلاسة متفردة.. بطل

خيري شلبي مصري أصيل دائم البحث عن العدل في الأرض والخلاص في السماء.. صبور يؤمن بتعاقب الليل والنهار لكنه عندما يهان يثور.. انه الفلاح الأصيل كما صوره أيوب الرواية العربية خيري شلبي فيما يقرب من سبعين رواية ترجمت إلى عدة لغات.

قال سقراط أعرف نفسك بنفسك وقد فعلتها كثيرا في رواياتك «الأوباش الوتد وكالة عطية وغيرها» فلتحدثنا عن سيرتك الذاتية باعتبارها من أهم ينابيع إبداعك؟

ولدت في أسرة كبيرة فوالدي كان لديه17 ابنا نعيش في قرية شباس عمير بدمنهور جدي كان يعمل ناظرا لأرض الخديو ومنح أرضا زراعية من السرايا كان نصيب والدي منها قطعة أرض معظمها بور فتزايدت الأعباء على أبي يوما بعد يوم وكان لابد أن أعمل أثناء فترة الدراسة وأنا في العاشرة من العمر.. تنحدر عائلتي من أصول تركية ومصرية وشركسية وأمي تنتمي للعرق الأخير لذلك كانت عائلتي بها ازدواجية لونية الأشقر الفاتح أو عدو الشمس كما يقال والأسمر فأخي (علي) وهو اصغر مني بثمانية عشر عاما أسمر للدرجة التي تشكك من يراه في ارتباطه الأخوي بنا وقد عثرت على صورة لي بالصدفة واعتقدت للوهلة الأولى أن صورتي المنشورة في أحدي المجلات لأخي على منذ ذلك اليوم تأكد لي أن الملامح الأصلية تكمن تحت لون البشرة ولكن كلما تقدمنا في العمر ينهزم لون البشرة وتنتصر الملامح والتقاطيع فالمضمون الاجتماعي والنفسي والثقافي والمهني لأي إنسان هو الذي يشكل ملامحه بنسبة 90 % فالنجار مثلا قوي الساعد وقد تتقلص عضلات وجهه في أثناء نشر الخشب وتكرار هذه الحركات يصيب الملامح بصفات جديدة لأنه يثبتها على أوضاع بعينها فالملامح الخارجية قد تكون مفتاحا من مفاتيح النفاذ لأعماق الإنسان واستكشافها.

كيف سارت بك الحياة وأنت تمتلك هذه الحساسية الفطرية وتمكنت من النفاذ بموهبتك متخطيا المصاعب العامة والخاصة آنذاك؟

عندما بلغت العاشرة قررت الالتحاق بعمال التراحيل وسافرت معهم في هذه السن الصغيرة أحمل زادي من الذكريات الغضة البريئة و(زوادي) من العيش والقراقيش ومصروف ربع جنيه لمدة15 يوما وكانت التجربة ثرية جدا غيرت مجري حياتي وفتحت لي آفاقا جديدة فالعمال والأنفار معظمهم لا يقرأون ولا يكتبون فكنت أقوم بكتابة الخطابات لهم وأدركت

منذ تلك اللحظة أن الحكي أداة سحرية للتواصل والالتحام بين البشر فالإنسان كلما توغل في العلم يتقوقع داخل ذاته ولم يكونوا كذلك بالطبع لقد تعلمت من هؤلاء الأنفار ما لم أتعلمه من بطون الكتب والمراجع تعلمت منهم الفلكلور واللغة الحقيقية المعبرة عن القاع الاجتماعي وبعد حصولي على الابتدائية وكنت من العشرة الأوائل على القطر التحقت بمعهد المعلمين بدمنهور وكرهت الدراسة به لأن المدرسين كانوا منحازين لأبناء البلدة ولم يكونوا فقراء مثلنا لكننا كنا متفوقين وتدريجيا كرهت الدراسة بالمعهد نتيجة للشعور بالتفاوت الطبقي!

هل كان هذا التفاوت الطبقي خفيا لم تشعر به من قبل؟

التفاوت الطبقي كان متجذرا في المجتمع المصري بصورة تدعو للتأمل فقد آتت الصدمة الأولى من مكمن المعاناة والقهر حيث اكتشفت أن عمال التراحيل لديهم ميراث راسخ في الطبقية والتراتبية؟! فالأنفار كانوا ينقسمون إلى فئتين: الفئة الأولى تسمي (القيدة) أي الأنفار الأصحاء المدربون القادرون على تحمل المشاق والعمل في العزيق وتطهير المصارف وما إلى ذلك من أعمال مرهقة وأجورهم مرتفعة نسبيا والفئة الثانية تسمي (الساقة) أي الأنفار الأضعف بنية الذين يساقون إلى العمل ويعهد إليهم بجمع الثمار والتقاط اللطع وحين نضجت اكتشفت أن مفهوم الأنفار يتسع ويشمل المجتمع المصري بأكمله فكلنا أنفار نعمل في معية الدولة ينطبق علينا نفس الترتيب الطبقي والجميع يعمل (بلقمته).

ما هي العوامل البيئية والعائلية التي ساهمت في تشكيل موهبتك الأدبية التي يغلب عليها الطابع الشعبي والمفردات القروية الأصيلة؟

يجيب خيري شلبي على الفور: لأنني قرأت واستمعت في منزل والدي لكل ما هو أصيل فقد كان يمتلك مكتبة كبري تحوي ما يقرب من ثلاثة آلاف كتاب وكان لديه جرامفون واسطوانات لأعلام الغناء وكان عضوا بحزب الوفد وخرج على المعاش من عمله في هيئة الموانى في سن مبكرة لكن البيئة التي نشأت فيها ثقافيا كانت غنية جدا بسير العظماء والمأثور والأمثال الشعبية والحكايات مثل أبو زيد الهلالي والزناتي خليفة وألف ليلة وليلة ودواوين الشعر والكنوز الصوفية منه وأمهات الكتب والأدب الروسي القيصري فتشكل وجداني من هذه النفائس وأصبحت كتاباتي جدائل من هذا المخزون الشعبي والخبرة الحياتية فقد عملت

في مختلف المهن فكنت بائعا لزهرة الغسيل وعامل أنفار وصبي ترزي ونجارا ولم استقر في واحدة لأنني كنت بحكم تكويني النفسي متمردا على الحياة في القرية صحيح أن أسرتي لها تاريخ فوالدي عاش حياة رغد في الماضي وألقي كل ذلك بظلاله على شخصه ولكن بالإضافة لتغير وضعه المالي وكثرة أولاده وظروف البلاد في الحرب العالمية الثانية في ظل الاحتلال وكانت تشعر الأغلبية بالضيق إضافة ليقين كان يراودني بأنه ثمة حياة أفضل تنتظرني.. حياة أكثر إشراقا واحتراما وكان هذا الشعور يدفعني دوما للتمرد وقد بدأت بشائر الموهبة وأنا في الخامسة من العمر فكنت ذا خيال خصب اختلق بعض الحكايات ولم أبلغ الثانية عشر بعد حين أكملت قصة «المأساة الخالدة».

في حياة كل منا مشاهد لا تنمحي والعمل الحرفي يتطلب قدرة خاصة لأنه مضن تصحبه معاناة فما الذي استقطرته من خلاصة هذه التجارب في بداية حياتك؟

يأخذ عم خيري نفسا عميقا من سيجارته و يصمت ثواني وكأنه يرتحل في الزمان مرة أخرى ولكن بعد أن انفض السامر واستقرت الدروس المستفادة في أعماقه قال: توجد قيمة جدلية من التأثير والتأثر بلا شك يوجد مشهد وأنا أتعلم الخياطة كنت في العاشرة حين تعلمت صنع العراوي يدويا وكيفية تركيب الزراير ثم تعلمت تركيب القطان على الجلابية واعتدل عم خيري ووضع ساقه اليمني على اليسرى وشرح لي كيف يتم وضع الثوب بطريقة معينة وتثبيته تمهيدا لتركيب القفطان الذي يتكون من أربع أو ست أضلاع في مكانه الصحيح بإبرة صغيرة تسمي السنيورة بحيث تمر بخفة ودقة من تحت الضلع فتختفي الغرزة ولكن إذا أخطأ الصبي ورحل الإبرة للضلع المجاور فالقطان يلف معه و يصبح عيب صنعة لا يقبله الأسطى الكبير الجالس بجوار بنك الخياطة فيقوم على الفور بضرب الصبي بالمتر الخشب لكي ينتبه و يستعدل القطان حتى لا يهرب منه مرة أخرى وقد عانيت من تلك الدقة المطلوبة في الصنعة وضربت مرتين ضربا قاسيا، هذه التجربة تحولت إلى خبرة خاصة في الكتابة ناتجة عن خوفي من هروب الضلع وتأكدت أن قدرتي على التركيز في موضوع بعينه لاعتيادي المحافظة على ضلع القطان والضلع الأصلي للموضوع عندما أصبحت كاتبا وقد دونت هذه التجربة في روايتي التي تحمل اسم(العراوي) وكان الخط الرئيسي للرواية يدور حول عدم تواصل الأجيال وافتقاد الحكي من الأجداد إلى الآباء ثم الأبناء فنحن نربي أولادنا ولا ننقل لهم تاريخ عائلاتهم أو أصولهم

ومنابتهم فتتسع الفجوة وتقطع الخيوط بحجة ضيق الوقت لذلك أصبح النسيج الاجتماعي مهترئا بالرغم من وجود العراوي والزراير التي تضمن وضع الأمور في نصابها الصحيح لكننا لا نفعل على المستوي الفردي والعام ولا نحاول تجميع الخيوط من أجل السلامة الاجتماعية يوجد مشهد آخر مؤثر أيضا وأنا أتعلم النجارة استلهمت منه قصة(عدل المسامير) وكانت تلك مهمتي في البداية فالنجار قد يشتري أنقاضا من الأبواب والشبابيك و يقوم باستخراج المسامير و يعهد إلى مساعديه باستعدالها بالشاكوش لم أكن أتجاوز الحادية عشر حين تعلمت هذه الصنعة وكنت أخرج مع النجار في بعض الأعمال وذات يوم صحبته في مهمة لتركيب سقف لدار في القرية ومن أساسيات الصنعة تركيب لوحين من الخشب طوليا لكي يجلس عليها النجار ومن يعاونه و يستكمل من خلالهما بقية السقف وكان لابد من الانتهاء من التركيب في نفس اليوم وأدركنا الوقت فاستعان النجار بكلوب جاز برتينة وكنت معه في ذلك اليوم أناوله العدة المطلوبة بسرعة أربكتني فخبطت يدي رتينة الكلوب وانكسر وظللنا ساعتين بدون إضاءة نبحث عن رتينة وبعد أن أنتهينا من تركيب السقف فوجئت به يمسكني من طرف الجلابية و يقوم ببرمها حول قدمي ودق مسامير في أطرافها وغادر المكان وتركني مقلوبا معلقا في السقف رأسي متجهة على الأرض والناس حولي خائفون من سقوطي على رأسي.. أما مشاعر الخوف والذعر التي استقرت في وجداني فإنها لا تحتاج لمزيد من التوضيح.. فقد أصبحت منذ ذلك اليوم وحتى هذه الساعة أشعر بأنني معلق في السماء في نفس هذا الوضع واهوي دراسة الأوضاع المقلوبة رأسا على عقب فهي تشدني وتجتذبني بغرض عدلها.. فالحياة حولنا مليئة بأناس يستحقون أوضاعا معدولة فلماذا يعيشون هذه الحياة رءوسهم منكسة في الأرض وأرجلهم في السماء.

هل لابد أن تكون التجربة عملية وبهذه القسوة والعمق لكي تترك أثرا في النفس؟

لا. ليس بالضرورة بالطبع فهناك بعض المهن التي نتعلم من أدبياتها مثل(الحدادة) فهي تعلمنا كيف نطرق الحديد وهو ساخن مثلا.. واستغلال الفرصة السانحة واللحظة المناسبة للحصول على ما نريد من الطرف الآخر.. وهذه ميزة المأثور الشعبي الذي يحمل تفسيرات متعددة.

ما هي المواقف الهامة في حياتك التي طرقت فيها الحديد وهو ساخن؟

يبتسم عم خيري ويقول : للأسف لم أكن موفقا في معظم الأحيان في طرقه لأن طبيعتي ليست (نفعية) فأنا أشبه بأصحاب الرسالات الذين يريدون إفادة غيرهم وذاتي تكاد تكون منفية.. فأنا بدأت الكتابة دون أن أفكر من الذي سيتولى النشر ولم أرتب لمستقبلي وكنت أفاجأ بصدور كتاب جديد لي بالأسواق.. فأفرح لمدة دقائق معدودة اختلسها من استغراقي بكتابة عمل آخر.. فأنا من مواليد برج الدلو وهو معطاء بطبعه.. لذلك لا أتردد أبدا في الوقوف بجوار الأدباء الشبان خصوصا من أشتم فيهم عطر الموهبة.

فن (البورتريه) الذي تجلي في كتاباتك في وصف شخصيات العظماء والأفذاذ.. ما هو الزاد الأدبي الذي أمدك بهذا الفن الراقي الذي يشبه اللوحات التشكيلية..؟

فن البورتريه في الكتابة يخضع لمعارف عديدة وثقافات متنوعة ودراية بعلم النفس والفراسة ودراسة أعمال هؤلاء المبدعين لكي يتسنى للكاتب قراءة ملامح الشخصية التي يرسمها بالكلمات.. فأنا قارئ نهم أقرأ يوميا في المتوسط سبع ساعات وأكتب بحد أقصى ساعتين وإذا أمتد زمن الكتابة أكون حريصا على أخذ فترات راحة فيما يتعلق بمستوي اللغة ومدي ملائمتها للبيئة التي تعبر عنها.. فتأتي ضعيفة مثلا إذا كانت البيئة متواضعة كما يعتقد. فهذا خطأ فادح لأن اللغة الضعيفة عاجزة دائما عن التعبير.. وربما كان الدافع الأساسي لكتابة هذا البورتريه الأدبي وطنيا خالصا.. فمنذ عقد السبعينيات والشخصية المصرية أصبحت تجنح للانتحار الذاتي وأصبح لدي الناس استجابة سريعة لدعاوي التشويه التي طالت كل الرموز والقمم خاصة بعد كامب ديفيد وقطع العلاقات مع الدول العربية التي رأت أن ضرب مصر بالثقافة والفن باعتبارهما نتاج العقلية المصرية هو الحل الأمثل لتقزيمها وأصبحت هناك حالة مسعورة لتشويه بعضنا البعض وانسحب الأمر على المجتمع بأكمله.. فانعزلت اجتماعيا حرصا على سلامة وجداني الأدبي والفني وقررت أن أبحث في الذاكرة عن عظمائنا وما تركوه من أثر إيجابي بداخلي وبدأت هذا اللون في أوائل التسعينيات واكتشفت أن الشخصية المصرية عامرة فيها قوام الشرف والوطنية والحب الحقيقي لمصر وحديث القيمة عن هؤلاء الرموز أمر مفروغ منه فبدأت أفتش عن منابع الجمال من خلال عدسة نافذة تخترق الحجب والأقنعة التي

تختبئ وراءها الشخصية وصولا إلى أعماقها.. بعض الشخصيات لامتني لأنني أعرفها ولم أكتب عنها وغاب عن فطنتهم أنهم لم يتركوا أثرا داخلي أو أن أعمالهم لا تؤهلهم لذلك.

أنت الآن شيخ حكائي القرية المصرية وأبرز الروائيين الذين تطرقوا للعشوائيات والمهمشين.. كيف ترى المشهد السينمائي الآن بعد أن تم التجارة بمتاعب الناس وهمومهم بحجة الواقعية.. حتى أصبح معظم أنتاجنا السينمائي عشوائيات تتخللها بعض الأفلام الاستثنائية؟

بادئ ذي بدء فإن تقديم بعض الأفلام عن المهمشين لا يعني أن هذه هي صورة مصر فتجاهل هذا الواقع يعتبر خيانة للواقع والفن أيضا.. فالكتابة لها أخلاقيات ومعالجة هذه القضية لابد أن تكون من منطلق وجود فلسفة ما تحكم العمل الأدبي والفيلم السينمائي فدائما أنصح الأدباء الشبان بحتمية وجود فلسفة ما للكتابة.. فليس كل ما يعرف يقال وكل ما هو واقع لا يصلح فنا.. فالفن اختيار وانتقاء ولابد أن يكون الفنان حساسا للغاية في التقاط المشاهد المعبرة دون ابتذال ففي عهد الدولة الفاطمية في مرحلة التحول من المذهب السني للشيعي كان بعض أئمة المساجد يسبون عمر بن الخطاب على المنابر فانتشر تعبير (يا عوومر) الشهير وحولته نساء مصر الشعبيات بفطنتهن لسلاح مضاد تصيب به المرأة جارتها إذا كانت سليطة اللسان وتهاجمها دائما فتقول لها يا عوومر فتذكرها بأنها مثل هذا الخطيب الشيعي المتطاول فترتدع في الحال.. فلماذا غابت هذه الفطنة المتوارثة عن الفن.. فلو اكتفينا بتصوير العشوائيات والفساد وألقينا عليهما سحر الفن فكأننا نكرس لهذه الأوضاع ونعيد إنتاجها من جديد ونلقي في روع الشباب أن الأمور هكذا ولا سبيل لتغييرها.

هل تشعر بأنك امتداد لمدرسة أدبية بعينها وهل من المفارقات أنك تشبه يحيي حقي شكلا وموضوعا؟

أنا ابن أربع مدارس أسلوبية عقدت تصالحات كبري مع العامية ومعظم كتاباتي العامية أصولها فصيحة لها محل من الاعراب لقد تأثرت بالمازني ويحيي حقي وعبد الرحمن الشرقاوي ويوسف إدريس واستفدت أيضا من شعر فؤاد حداد الذي كنت اعتبره القطب الصوفي الأكبر وكنت مريدا وأخذت العهد على يديه كشاعر مقاومة لديه القدرة على مواجهة الصعاب حين أقرأ شعره تنتعش أعطافي وتشرق نفسي وكان يشعرني صلاح جاهين بأن الكون بأكمله يغني

بينما انفرد عبد الرحمن الأبنودي بأنه جسد تجربتي الشخصية فقد بدأت شاعرا وكنت اكتب الأغاني في الإسكندرية في بدايات حياتي وكنت حريا على أن أواصل شعر الأبنودي لو لم يظهر في أفق الحياة الثقافية فقد كتب كل ما كنت أريد أن أقوله وأعبر عنه بسهولة وعمق حتى أصبح شعر الأبنودي هو وجداني حتى ولو كان باللهجة الصعيدية فأنا استشهد بشعره في كتاباتي واحاديثي فهو يشع وطنية لكنه دائما متأججا فيه قدر من "النزق الجميل" فقد يكتب قصيدة تغضب المسئولين أو الأصدقاء بلا تريث ولا حسابات مسبقة وهذا ما لم يكن يفعله غيره من الشعراء الذين يتصفون بالحكمة لأن الحكمة تعتقل المشاعر أحيانا.

وما هي أبرز ذكرياتك مع يحيي حقي ونجيب محفوظ ويوسف إدريس؟

هؤلاء القمم تعلمت منهم كل ما هو جميل فيحيي حقي كان يشبهني بالفعل وقد تندهشين إذا قلت إنه كان يشبه جدتي أيضا في شكلها ونبرات صوتها واعتقد أن ثمة صلات قرابة بعيدة جدا ربما تربط بيننا فهو أبي الشرعي أدبيا تأثرت به واعتبر نفسي امتدادا له وهو من المشائين الذين يلتقطون كل ما في الشارع من لمحات كان يهوي عد عربات الكشري اعطاني درس العمر حين مزقت قصة أطلعته عليها ولم تعجبه فسألني عنها لاحقا وعلمني أنها تأريخ للأفكار الإبداعية وربما كانت مشاريع قادمة لا يصح تمزيقها فهي ورقة لن تأكل أو تشرب ومنحني يوسف إدريس الجرأة في التقاط الشخصيات التي كنت أتردد في تقديمها في أدبي وقال لي بل أن هذه الشخصيات هي التي يتسع لها مجال الأدب لكنه اعتقل أحلامي حين أصدر روايته الرائعة الحرام وكنت أنوي تقديمها من خلال تجربتي الفعلية كعامل أنفار حيث تهيأ لي التعبير عن هذه الطبقة من مستوي أقرب لطبيعتها ولكن يوسف إدريس كتب عنهم من شرفة أعلى لأنه ابن الطبقة المتوسطة لكنه كان أول كاتب روائي يصبح نجما من أدبه وكان ذلك يرضي غروري فقد أضفي على الروائي هالة من الشهرة والتقدير أما كبير الكبراء نجيب محفوظ كان أسرع من التقدم التكنولوجي ذاته وأنهي حياته بالقصة التي لا تتجاوز خمسين كلمة اتساقا مع ظروفه الصحية واستشرافا لاختزال زمن القراءة تدريجيا، فقد حالفني الحظ أن اعترافه بأدبي جاء في وقت مبكر منذ نشرت روايتي (رحلات الطرشجي الحلوجي) وهي رحلة عبر الأزمنة المختلفة أشبه بالفانتازيا التاريخية وفوجئت بأنه يتابع روايتي الجديدة الأوباش وكانت تنشر مسلسلة في مجلة الإذاعة والتلفزيون التي كنت أعمل بها وأهداني كتابه صباح

الورد وجاء فيه(هذه أول مرة أهديك كتابي بعد أن تذوقتك وأمنت بك فنانا كبيرا) وحين سئل لماذا لا يكتب عن القرية المصرية قال أن خيري شلبي قام بهذه المهمة وكتب كما لم يكتب عنها من قبل.

لماذا جعلت الراوي كلبا في روايتك الشطار؟

الرواية كتبت في بداية عصر الانفتاح وظاهرة بيع مصر وظهور النكات الكاريكاتورية التي تتساءل: متر مصر بكام النهاردة وكنا صحبة من الأصدقاء نجلس في مندرة بزقاق المدق وكان صديقنا إبراهيم منصور هو الوحيد الذي ينبح كلب صاحب المندرة حين يراه لأنه كان يخاف فيزيد الأدرينالين في دمائه وكان يمسك عصا والكلاب كما هو معروف تخشاها واستهوتني القراءة عن الكلاب وكل ما يتعلق بها وا كتشفت أن الكلب هو آخر من يغادر المكان ولو حدث فسيكون جثة هامدة، فقد روي نجيب محفوظ أنهم كانوا يمتلكون كلبا في منزلهم بالجمالية وسربوه في الكيت كات وحين عادوا وجدوه ينتظرهم وتوصل للمنزل وحده بدون خريطة فالكلب هو المواطن المثالي الذي يتشبث بالمكان ليتنا نصبح مثله في وفائه للأشخاص والمكان.

ما هو أجمل تعبير ريفي يشعرك بعطره وأجوائه التي ذهبت ولن تعود؟

يبتسم عم خيري في حنين ويقول: غسيل الهدوم المنشور على الترعة فالملابس كانت تأخذها نصيبها من النظافة كنا نقول عنها: « فلان هدومه يشرب من عليها العصفور» كناية عن نظافتها حتى ولو كان الشخص يمتلك جلابية واحدة فدائما الملابس تشف وترف ونشم فيها رائحة الأنثي سواء كانت زوجة أو أما أو ابنة تدعك في طشت الغسيل واحمد الله أنني امتلك ذاكرة وجدانية تمدني بتلك المشاهد لأنني الآن لا أشم إلا رائحة صابون الغسيل الاتوماتيك... كله أوتوماتيك.

□□□



خيري شلبي ونجيب محفوظ على مقهى الفيشاوي في الحسين

12- الروائي الكبير محفوظ عبد الرحمن

الفساد أصبح عقدة الشعب المصري!

ست شخصيات كانت تبحث عن مؤلف في التحرير

صاحب قريحة مبدعة اعتادت أن تدحر الصعاب وتنافح من أجل المبادئ.. عينان متقدتان بالحكمة والتأمل..

نبرات صوت مليئة بالشجن المنغم.. خيال فني متوهج، يؤمن إيمانا عميقا بقداسة رسالة الكاتب ومدي أهميتها في تشكيل الوجدان العام.. فالروائي الكبير محفوظ عبد الرحمن اسم يقرع الأسماع بما صنعه من ملاحم درامية تاريخية وأعمال فنية خالدة، استخلصت من ثنايا التاريخ أروع القصص والبطولات، فقد اعتاد الارتحال في هذا العالم السرمدي.. ينجذب إليه بحكم حسه التاريخي المرهف.. يستجمع أقصي ما يمكن الحصول عليه سواء كان حادثة أو نصا أو شعرا أو كتابا قرأه ثم يحتشد و يتفاعل مع لحظات الإلهام الفني ليخرج على جمهوره ونقاده بتلك الدرر التي تحصد إعجابها برمية واحدة.. عميد الرواية التاريخية كما أطلق عليه مهرجان روتردام.. تناديه شخصيات ولحظات تاريخية بعينها.. معظمهم من دنيا الفن والعزة والوطنية والكرامة: من أم كلثوم والخديو إسماعيل وسعد زغلول إلى محمد عبده، مرورا بأحمد رامي و بيرم التونسي وحليم وعبد الناصر حبيب الملايين.. روائع هزت الوجدان وتعلمت منها الأجيال.. الدراما لديه جسر مضيء بين الماضي والمستقبل.. يوقظه من سباته.. و يتعمق في شخصياته و يستخرج منها الألوان والظلال وخطرات الذهن وخفقات القلب وعواطفها الكامنة صعودا وهبوطا، و يقدم روح عصر بأكمله في كل أعماله.. وهو في ذلك يكابد مكابدة عسيرة و يبلغ دائما ذروة الصدق الفني التي ينشدها الكبار دائما.. قومي الهوى.. يحظي الإنسان في أعماله بدفء الشمس

دون لسعتها فهو ملما بقوانين الدراما إلماما بارعا.. اللحظة التاريخية تناديه وتدفعه.. ومن أبرز آرائه أن كل لحظة تفرض نفسها إبداعيا وقد فعلها كثيرا في أعماله التي جسدت ثورتي1919 و1952 وهاهي ثورة25 يناير التي اكتحلت بها عيناه والتي كان من أوائل المبشرين بها في مسرحيته بلقيس تناديه وتداعب وجدانه بكل ما تحمله من وقود فني.. يتمني الجمع بين البطلين مهران 1956 وحرارة 2011 فمصر دائما ولادة و إن غاب البدر فيها فالنجوم طوالع.. فانثر قلمك يا صاحب الفوارس واغترف إبداعا أصيلا من تلك الثورة التي انتظرتها طويلا مع ندمائك من أهل الهوى الذين تجمعوا في الميدان وفاتوا مضاجعهم.

هل تطلعنا على أسرار «فترة طفولتك» حيث يمتاز مخزونك الثقافي في كتاباتك وأعمالك بالخصوصية الشديدة فيما يتعلق بالتاريخ والمأثور الشعبي؟

يجيب بسلاسة وجدية وعمق شأن أعماله: ولدت بالبحيرة عام1933 حيث كان الوالد ضابطا بالشرطة.. طبيعة عمله تحتم تنقلنا من مدينة لأخرى ربما كل عامين تقريبا فعشت في معظم محافظات مصر وأعرف جيدا جغرافيتها وعادات أهلها كانت فترة الطفولة ثرية بالأحداث السياسية والروح الوطنية المناهضة للإنجليز فعرفت قدماي دروب المظاهرات وتفتحت الحنجرة بالهتافات وأنا لم ابلغ الثالثة عشر وحين تم إلقاء القبض علينا في مركز سمالوط لم استطع الإفصاح عن اسم الوالد أو عنواني لكونه ضابطا. فضاق المأمور من صمتي وصاح قائلا: طلعوه بره أحنا هنعيل! وساهم الرحيل المستمر ومفارقة الأصدقاء على الدوام في تأجيج فضيلة القراءة حتى أن والدي كان يقول: ابني مريض بداء القراءة وكان العشق إزاء اللغة العربية جليا خاصة في موضوعات التعبير وفي مناقشات لغوية اعتبرها الأستاذ مشاغبات طلابية وتمرد لغوي على القوالب والصيغ البلاغية الجاهزة وتنوعت مجالات القراءة في التراث والتاريخ والشعر والأدب والقصة والأدب العالمي وجذبني جلال الأسطورة وثراؤها كنت أهوي مشاهدة الأفلام السينمائية والمسرح ولم أترك مسرحية في تلك الفترة لم أشاهدها ثم ترددت على نادي القصة للاستماع إلى محاضرات طه حسين ولا أنسي مدى تأثري بأول عرض مسرحي شاهدته في حياتي وأنا في الثامنة من عمري وكان «ثلاثين يوم في السجن» وبالرغم من نومي إلا أنه ترك أثرا عميقا وحبا جارفا للمسرح في كياني زادته الأيام رسوخا ثم كتبت قصة نشرت في «قصص للجميع» وعقب حصولي على التوجيهية التحقت بكلية الآداب- جامعة

القاهـرة قسـم تاريخ وكنـت في البداية أفاضل بينه وبين قسـمي اللغة العربية أو الفلسـفة ثم عملت بالصحافة في عدة مجالات خاصة مجلة السـينما التي كان يرأسـها سعد الدين وهبة ومن خلاله تعرفت بيحيى حقي ذلك الروائي العظيم أفضل من صك التعبير الشعبي بحنكة وبلاغة وتدريجيا بدأت المسـيرة تنسج خيوطها بصورة أكثر منهجية وبروح الهاوي التي لا تعبر جسر الاحـتراف الذي يحيـل الإبداع لمنتج ولم تكن يـد القدر بعيدة في كل الأحوال فلم أسـع يوما لأن أكـون كاتبا سياسـيا لكن كان يتم تصنيفي أحيانا كاتبا سياسـيا غـير مرغوب في أعماله فاضطررت للابتعاد عن مصر بعد وفاة عبد الناصر ولمدة أحد عشر عاما.

أعمالـك تمتاز بتفاصيـل دقيقة ومشـغولات فنية أخذت مسـاحتها من الجودة والإتقان. فما هي الأجواء الملهمة لك؟

لكل شـخصية وسيرة ذاتية مفاتيحها الخاصة التي يتوصل الكاتب لفك شفرتها وصياغتها دراميا من خلال توازن الشخصيات واستحضار «روح العصر» وللموسيقار محمد عبد الوهاب عبارة شهيرة تقول «إذا لم يأت إليك الإلهام فأذهب أنت إليه» وهي عبارة صحيحة إلى حد بعيد لأن المبدع شـأنه شـأن التلميذ الخائب يلتمس دائما الأعذار لنفسه ليؤجل عمله للغد بل وللعام المقبـل فلـو جاءت الرغبة في الكتابة يتعلل بأن القلم المريح غـير موجود فالكتابة دأب ونظام ومثابرة وليسـت فوضي خلاقة ونجيب محفوظ كان أفضل نموذج للأديب المنضبط في إبداعه فله أوقات محددة في السـنة وساعات مخصصة للكتابة والكتابة التاريخية عموما تتطلب مراجعات عديـدة وموسـوعات وقراءات فرعية وسـاعات طويلة من البحث والتقصي قبـل بدء الكتابة الدرامية عموما نصف أعمالي تقريبا كتبت في المقاهي اليونانية الطابع التي كانت منتشرة حتى السـتينيات وتمتـاز بحديقة خاصة إلى جانب المشروبات والمأكـولات فالمبدع يجب أن يبحث عن مفاتيح إبداعه ويحتشـد بالمعرفة والإطلاع ويخلق بنفسـه لنفسه الجو الملائم دون البحث عن محفزات خارجية فأقوي المحفزات بداخل كل مبدع.

منذ عدة أعوام قلت أن بلطجية سـاقية مكي يستطيعون الوصول للحكم فنحن أمام خريطة عجز عن قراءتها الجميع كيف استشرفت هذه الرؤية وهل كنت تتوقع الثورة بالرغم من قبضة الأمن المحكمة؟

يضحك ويسترسـل قائلا: لو تأخرت ثورة يناير كان بلطجية سـاقية مكي سـيلعبون دورا

في الأحداث ومازلت أتحسب ردود أفعالهم وأشباههم من الذين مازالوا يعانون الجوع والفقر بصورة أكثر درامية من أي مشهد فحين اقرأ أن فتاة صغيرة في إحدى مدارس الإسكندرية فقدت وعيها وحين كشف عليها الطبيب وسألها هل تناولت إفطارك؟ أجابت: بلا لأن اليوم ليس دورها في الإفطار هذا نموذج واقعي من صفحات الحوادث يمثل الآلاف ممن لا يأكلون اللحم إلا مرة في العام «فالبلطجة» حالة نفسية لأناس يملكون كما هائلا من الحقد إزاء آخرين ودولة تركتهم فريسة لكل ما يغتال آدميتهم يوميا فإذا لم نصلح هذه الأحوال البشعة فستقوم ثورة ثانية من الجياع لا تبقي ولا تذر فأنا توقعت حدوث الثورة لأن الحياة وقفت وتحجرت عند هذا المشهد الذي كانت خلفيته الأساسية منظومة فساد عنكبوتية فالجو العام وعصا الأمن الغليظة لم تتعارض مع توقعاتي ففي ثورة 1919 كانت قبضة الأمن أشد وطأة وانفجرت أعظم ثورة شعبية.

الم تعترض على اختيار يوم 25 يناير (عيد الشرطة) كنقطة تزامن لانطلاق المظاهرات؟

لا بل أنني أشعر بالتلاقي بين الحدثين يتمثل في نبل الهدف والوطنية الصادقة فمعركة بلوكات النظام في الإسماعيلية التي وقعت في 25 يناير 1952 وراح ضحيتها المئات من ضباط وعساكر الشرطة مع القوات البريطانية الغاشمة بكل عنادها في مواجهة ضباط يقاومون ببسالة ويعلمون أنهم شهداء لأنهم سيدافعون عن وطنهم وأرضهم لآخر طلقة أمام جحافل المدرعات والدبابات.

من هو «ياجو» الثورة الذي يوغر صدر عطيل ضد ديدمونة؟

يضحك عاليا: أيهم فهم كثر كلهم ياجو لا يأخذون مسلكه من حب الشر للشر ولكنهم يقدمون النصيحة مصحوبة بالمديح والثناء بهدف إغراق جميع الأطراف وعدم تلاقيها على التوازي ليظل الجميع بلا رابط.

المشهد يغري بسؤالك عن ست شخصيات في ميدان التحرير تبحث عن مؤلف؟

يفكر قليلا وكأن الشخصيات حاضرة في ذهنه بمفرداتها وأدواتها الأول: لواء رتبة عسكرية يحلم بكرسي عبد الناصر. والثاني: شخصية شاب يحلم بأن الأمور ستتغير للأفضل والثالث:

يتمني وجـود نظام جديد يلغي السـينما والتليفزيون ويغلق المسـارح والمقاهي والشـخصية الرابعة: لسيدة استشهد أبنها وتدعي على الجميع والشخصية الخامسة لرجل يبحث عن ملابس شـبيهة بملابس الحكام ويتهيأ اسـتعدادا للدور الذي ينتظره.. والشـخص السـادس والأخير: يشاهد كل من حوله من مشاهد وشخصيات ثم يقول: (وأنا مالي) وهو حزب الأغلبية الكنبة وهو حزب لا يريد المشاركة ولن يتغير بسهولة.. لأن ثقافة المشاركة تتطلب (تجربة) الأغلبية تريد التغيير وهي بمعزل عن الأحداث.

ربما بسبب متاعب العمل السياسي وانشغال الناس بأعمالهم؟

المثقفون هم أشـخاص غير مرغوب فيهم في النظام السـابق واضطهاد المثقفين ولد نوعا مـن القمع والتقوقع داخل الذات.. وأنا شـخصيا عانيت مـن مضايقات عديدة واضطررت للسفر إلى الخارج لأكثر من عقد.. وفي عهد السادات كتبت «ليلة سقوط غرناطة» وكانت تدين التطبيع بصورة غير مباشرة وتحمل إسـقاطا عـلى الأوضاع العربية.. فتم التحقيق معي بمجرد عودتي من السـفر في مطار القاهرة ومنع المسلسـل من العرض ومنعت فترة زمنية من الظهـور في التليفزيون وفي إحدى المـرات دعيت لندوة بنقابة الصحفيين احتشـد لها عدد غير قليل من رجال الأمن.. وتندر السـياسي الكبير ضياء الدين داود رئيس الحزب الناصري «رحمـة اللـه» بأنه كان يدعو لندوة يحضرهـا ثلاثون فردا تقابلهم ثلاثون سـيارة من الأمن المركـزي.. فيما يتعلق بالحوار بين الجميـع فالعمل أهم.. فألمانيا حين تهدمت تماما في الحرب العالمية الثانية اسـتطاعت التغلب على خسـائرها المادية.. فهي دائما يمكن تعويضها بالعمل الـدءوب والبنـاء دون (ثرثـرة) السـاحة السياسـية الآن تعـج بالمزايدة وتطـرح كل شيء للانتخاب.. أما شـباب الثورة فهـم أنقياء قدموا تضحيات وأحدثوا تغيـيرا أثر فينا جميعا.. لكنهم ليسـوا مثقفين وليس لديهم مشروعا أو رؤية إزاء مـا يحدث.. ولا يوجد بينهم ثلاثة أشـخاص يتفقون في الرأي وهم سـعداء بأنهم بلا قيادة بالرغم مـن أن المأثور العربي يوصي كل اثنين يسـيران في الصحراء باختيار أحدهما(أميرا) أو مرشدا.. يقرر خط السير ويتبعه الآخر وفي معظم الأفلام الأجنبية يجلس رئيس الجمهورية في هذا المشهد الكلاسيكي وحوله الـوزراء والمستشـارين يعرضون الأحوال حتـي في حالة الحرب وفي النهايـة يتخذ الرئيس قراره ويعلنه ويتحمل نتائجه.

مشكلة الثقافة في مصر طالت الإبداع نفسه وبعض الفئات المحسوبة على الثقافة.. ولكن قبل ثورة 1919 كان هناك تدن فني فهل يوجد أمل في تغيير واقعنا الثقافي؟

الثقافة في مصر تم تجريفها بصورة عنيفة والمشكلة تتمثل في وجود واقع ثقافي يضم الأدعياء ومهضومي الحقوق والمكانة وراكبي الموجة وهذا الواقع لا يغري كثيرا بالاقتداء لأن الثقافة تعمل بنماذجها وبالقدوة الحسنة فقد أحببنا الحكيم وطه حسين والعقاد ونجيب محفوظ والعشرات وقرأنا ما قرأوا.. فالتكوين الثقافي للمبدع شيئا أساسيا يتجلي في أعماله ويتسرب من خلال اللاوعي وإذا قرأت أجزاء من أدب نجيب محفوظ فستجدين بعض الأحاسيس المكتوبة شعرا فتقول أمينة مثلا: «ياانكسار القلب الذي هو الحسرة» فاللغة ليست تقريرية أو أدبية ولكن فيها شيء من وزن الشعر والأمر كذلك بالنسبة للثقافة الموسيقية والتشكيلية تأتي تلقائية.. هل تتخيلي أن طالبًا بمعهد السينما قدم لي دراسة سينمائية وكتب كلمة دراسة بحرف(الضاد) فأنا احتفظ بهذه النماذج الإبداعية السيئة للذكري والتاريخ.. فالتجريف شيء خطير جدا حتى بالنسبة للسلطة واتحدي لو كان أحد في النظام قد قرأ كتاب مثل الأمير باستثناء «أسامة ألباز» فعبد الناصر كان لديه جهاز لترجمة الكتب العالمية والسادات قرأ كثيرا وخاصة في صدر شبابه وفترة المعتقل.. لذلك أقول دائما أن عبد الناصر تأسيسه ثقافيا في المقام الأول وهو يحسب على السياسيين وليس العسكريين لأنه ارتدي البدلة بضع سنوات أما بقية أعضاء مجلس قيادة الثورة فهم عسكريون.. فالمثقف لديه رؤية ويري أن الآخرين يملكون رؤية ويستطيع تجاوز واقعه إلى نقطة أبعد.. فيما يتعلق بثورة1919.. كان سيد درويش وزكريا أحمد ويونس القاضي شبابا صغارا حين غني سيد دورويش «شفتي بتاكلني» في أوبريت وكتب يونس القاضي «ارخي الستارة اللي في ريحنا» ومن الطريف أنه عندما أصبح رقيبا منع إذاعة الأغنية.. وهم انساقوا مع عصرهم ولم يكملوا في نفس المنحني الذي فرضته اللحظة الزمنية ونحمد الله أنها لم تستهويهم لكن حين جاءت الثورة وطرحت شيئا جادا جاء القاهرة وتحايل على الرقابة وغني لسعد زغلول «زغلول يا بلح زغلول».

المسرح كان منبرا في الستينيات.. فهل لديك روشتة علاجية لإصلاح ما وصل إليه من سوء؟

قمة البيروقراطية تتجلي في مسرح الدولة فكل فنان أمامه(11 موظفا) وكلمة فنان قد تكون تجاوزا لأنها تعني تعيين خريجا من معهد الفنون المسرحية قد لا يكون موهوبا وأحيانا يتقاضي راتبه ويحال إلى المعاش دون أن يقف على خشبة المسرح وهذا العبء البشري والمادي يكبل المسرح بلا شك والحل في الاستعانة بالإدارة الواعية مثلما فعل المسرح القومي في بدايته واستعان بالشاعر الكبير خليل مطران.

مسلسل أم كلثوم يعد بداية لسيل من مسلسلات السير الذاتية.. فما الذي صنع أسطورته وماذا عن مسلسلك القادم «أهل الهوي»؟

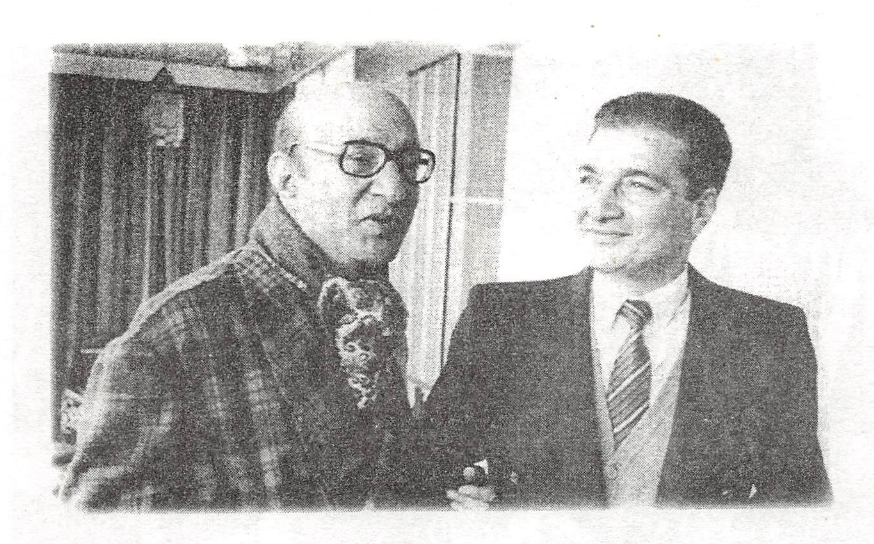
ربما تندهشين إذا علمت أن «أم كلثوم» خرج للنور بصعوبة شديدة رفضته الدولة في البداية وقيل سيتكلف5.5 مليون جنيها وكان يتم الانفاق على مسلسلات أخرى أضعاف هذا المبلغ والفضل يعود لإيجابية ممدوح الليثي مدير قطاع الإنتاج.. لأنهم اعتقدوا في البداية أنه سيخسر ولم يعرضوه على المحطات العربية بعد إنتاجه وكان المسئولون بها يطلبونه بأنفسهم لشرائه أما «بوابة الحلواني» فقد ظلت على الرفوف مدة طويلة وحين عرضت أعمال سيئة في رمضان تذكروها وسألوا عنها ونفضوا عنها غبار النسيان ثم توالت عروض السير الذاتية وأصبحت اتجاها عاما في الدراما العربية فأنا لدي مشاريع تكفي300 عاما ولكن الموضوع يفرض نفسه فيما يتعلق «بأهل الهوى» فهو عن بيرم التونسي وقد قابلته وأنا طالبا في الجامعة والأسم كما يبدو لأغنيته الشهيرة التي غنتها أم كلثوم ولحنها زكريا أحمد ومن المفارقات أنها كانت آخر عمل لبيرم وزكريا الذي كان يعامل بيرم مثل ابنه وتوفي في أربعين بيرم ولم يسمع بيرم الأغنية من أم كلثوم وسمعها زكريا في المقهى وهي حالة من التوافق الروحي توجد في الحمام ووليفه حين يموت فيموت صاحبه وأهل الهوي اسم حقيقي أطلقه زكريا أحمد على مكان يضم أصدقائه من المحبين والفنانين وأهل السياسة وكل المغرمين وهذه الأعمال تتطلب أوقاتا طويلة من البحث ودقة التحري.. إضافة إلى أنني أكتب لأنني مدفوعا برغبة الكتابة بأكبر قدر من الاستمتاع.

قصة البطل الشاب «أحمد حرارة» مليئة بالدراما ألم تفكر في استلهامها أو كتابة عمل فني عن ثورة يناير؟

الثورة مازالت في طور التكوين.. فلابد أن أهضم الفكرة حتي يكون عملا له قيمة ويؤسفني أن معظم الأعمال التي قدمت متواضعة فنيا حتي الأغنية التي نجحت «يا بلادي» الكوبليه لبليغ حمدي.. أذكر حينما قامت ثورة يوليو 1952 تم إقحام بعض المشاهد على الأفلام التي تم تصويرها قبل الصورة ولم تكن النتيجة جيدة.. فلابد من الاختمار والمعايشة فالروائي الروسي الكبير تولستوي مكث أربعين عاما لكي يكتب رائعته «الحرب والسلام» فيما يتعلق بأحمد حرارة فأنا بالفعل انفعلت جدا بشخصيته وبطولته المتفردة.. وفكرت في أن أجمع بينه وبين الفتي مهران وكان عضوا في الحرس الوطني ببورسعيد أثناء عدوان1956 حيث أخذه الإنجليز أسيرا وعذبوه لكي يتحدث أو يسب وطنه فرفض بإباء فقاموا بأخذ القرنية من كلتا عينيه وزرعوهما لضابط إنجليزي وقرأت قصته سيدة بسيطة مثله وعرضت عليه أن يأخذ عينيها فقال لها الطبيب: هذا العرض لا يصلح طبيا واقترح عليه الزواج منها لكي يري بعينها وتزوجها بالفعل وهو الآن في السبعين من عمره وفي رأيي أن بطولة هذه السيدة أعظم من بطولته وقد فكرت في الجمع بين البطلين حرارة ومهران فبطولتهما بلا إدعاء وما أندرها في زماننا وبطولة حرارة جعلته أيقونة الثورة.

ما هي رؤيتك المستقبلية لمصر سياسيا وفنيا بعد25 يناير؟

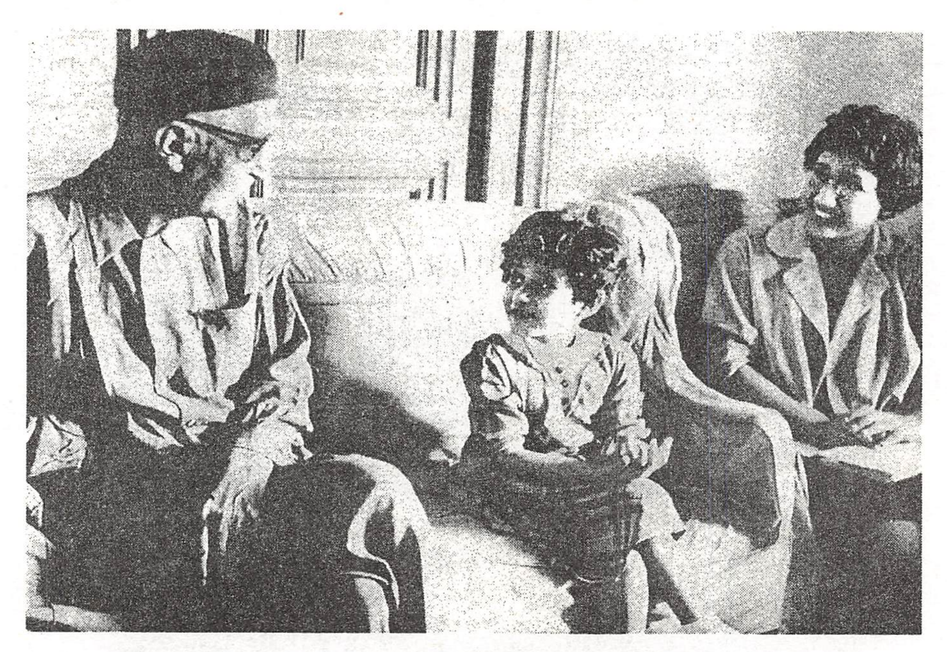
أعتقد أن الشخصية المصرية حدثت بها تغيرات في أشياء كثيرة.. سيحدث حصار شديد للفساد لأنه أصبح(عقدة الشعب المصري) علما بأن دولة بها نسبة فساد يفوتها الشعب طالما أن الأمور تجري لكن في مصر سنتشدد كثيرا ولو حوصر الفساد سنصبح بلدا آخر التقدم لا يعبر عنه إلا بمقدار استثمار إمكانياته مواردا أو بشرا.. خاصة إذا تم الاهتمام بالتعليم وهي القضية الأم ويجب أن تأتي في قمة أولوياتنا.. وانتشار العدل سيحصر الظلم لأنه يقضي على إنسانية الإنسان.. فأنا متفاءل والعجلة لن تعود للوراء إضافة إلى أن الفن يزدهر حين يعلو الشعور بالكرامة والعزة وكل فترات ثراءنا الفني كانت تعج بأرقي المعنويات وستخف وطأة الرقابة.. وأخيرا لست متخوفا من الاتجاهات الإسلامية لأن الواقع أقوي من أي قوي أخرى في بلد احترف الإبداع ونثر نجومه في سماء العالم العربي.. حتى الأعوام الثلاثين الماضية سينتج عنها أدبا عظيما لأنها لم تكن منطقية.. أنها عودة الروح.



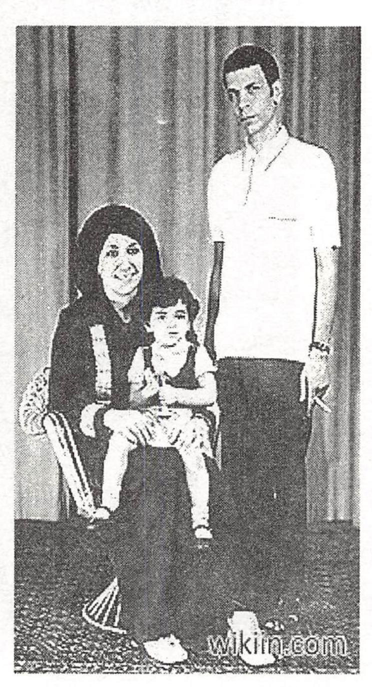
الشاعر فاروق شوشة وعبد الوهاب



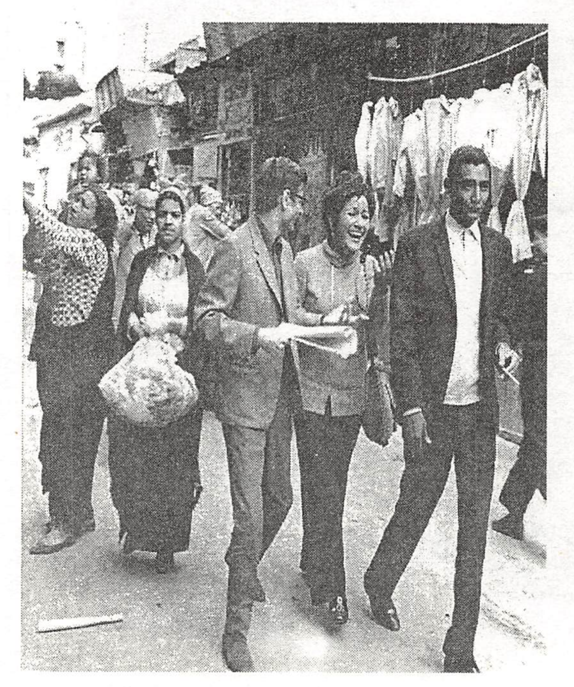
عبد الوهاب وحليم والست



صافي ناز كاظم في حضرة العقاد والطفلة الصغيرة التي حاورته



... مع أحمد فؤاد نجم وابنتها نوارة

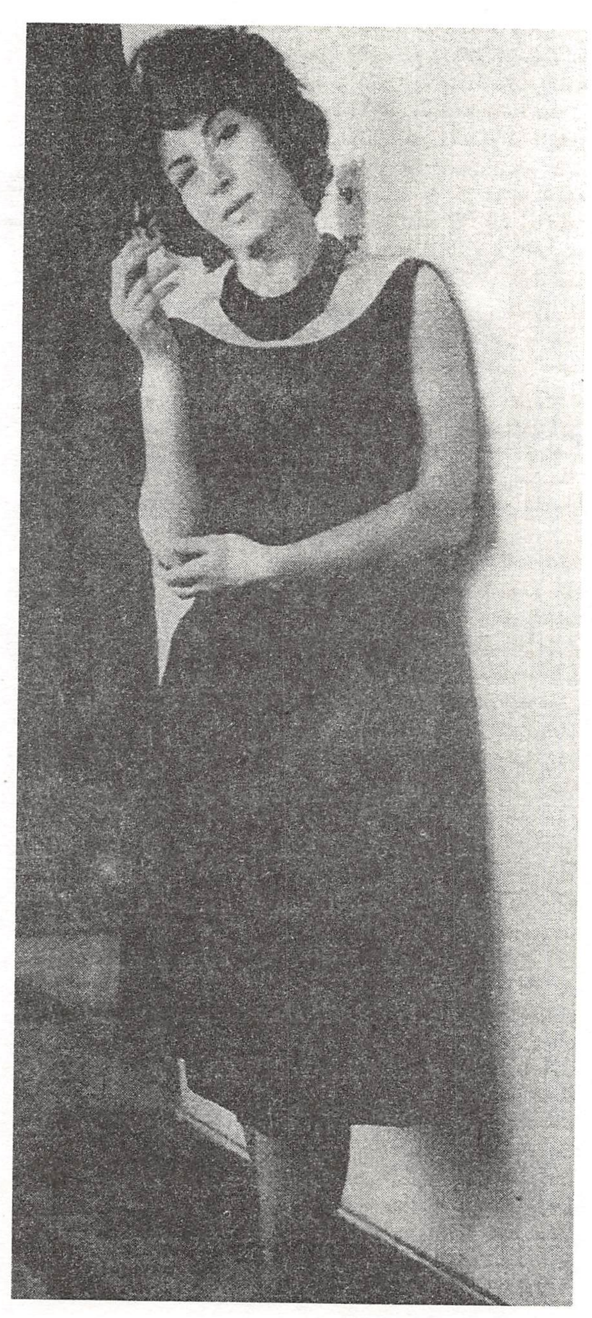


... مع محمود درويش وعبد الرحمن الأبنودي

الفصل الثالث

محترفون في كل الفنون

- لويس جريس
- سميحة أيوب
- صافي ناز كاظم
- وجدي الحكيم



لقطة نادرة لسناء جميل بعدسة شريف ذو الفقار «شقيق الملكة فريدة»

13- لويس جريس

إحسان وألفريد ولويس عوض حذروني من سناء جميل!

فوجئت بها وهي تقول «الليلة يا عمدة» وتساءلت أهذه هي زوجتي الأرستقراطية!

هذا البيت يحمل فيضا من المواهب وشريطا من الذكريات يستدعيه صاحبه في خريف العمر بعد أن لونته السنون، إنه لويس جريس. (مواليد1928) الصحفي المخضرم والكاتب الكبير الذي تضيء الابتسامة وجهه في أحلك الأزمات.. رئيس تحرير مجلة صباح الخير الأسبق.. الصعيدي الذي تخرج في الجامعة الأمريكية وأكمل دراسته بالولايات المتحدة.. تواضع بين زملائه فارتفع.. ضرب بقلمه في الشأن العام بصورة خاصة، وترجم أكثر من خمسمائة قصة، الصعيدي (الكبير) زوج الصعيدية (الكبيرة) ابنة ملوي الفنانة العظيمة سناء جميل.. أيقونة المسرح، ثنائي رائع قلما يجتمع كانت هي للشدة وهو للين، نصحه أساتذته أن ترويض الفنان أشق من ترويض الأسود، تعلم منها قول الآه عندما يتألم على حد تعبيره وتعلمت منه الصبر ووجدت فيه مرفأ الأمان.. سناء جميل صاحبة أفضل أفلام في تاريخ السينما المصرية، حين يتحدث عنها صاحب السعي والشباب الدائم لويس جريس.. فماذا هو قائل؟

يقال إن الأحلام تولد أحيانا من تصاريف القدر.. فإلى أي مدى يمكن تطبيق هذه العبارة على مشوار حياتك؟

يجيب بابتسامته المعهودة: منذ البداية.. نعم منذ ولادتي فكنت طفلا يتيما توفي والدي وأنا في الشهور الأولى ورضعت كما يقال في الريف لبن الحزن وكنت ضعيفا للغاية حتى إنهم تخيلوا وفاتي وعمري شهور وكدت أدفن لولا أنني تحركت وشاهدني أحد الأقرباء بالصدفة.. فأنا من

مواليد أبو تيج.. شاءت الأقدار أن تنعم بلدتنا بوجود مقام السلطان فرغل في بحري البلد ومقام القديس أبو مقار في قبلي وكنا نحتفل مسلمين وأقباطا بالمناسبتين كان المناخ الاجتماعي للصعيد من التماسك والوحدة بصورة يصعب وصفها بالكلمات.. فالصعيد كان حالة من نقاء الفطرة والحب والتسامح والشهامة.. فكنا نحتفل بمولد سيدي فرغل لمدة أسبوعين ونسير وراء الجمال التي تحمل المقام وتتوقف عند أبو مقار للسلام عليه وتحيته وسط تهليلات وتكبيرات الجميع حين حصلت على الثانوية العامة بمجموع 61 % انقضي أملي في الالتحاق بكلية طب الإسكندرية لأنها كانت تقبل الحاصلين على 61.5 % فالتحقت بكلية العلوم وشاء الحظ أن يكون د. حسين فوزي السندباد المصري وأستاذ العلوم هو أول من استقبلنا في الكلية ودعانا لتناول فنجان شاي وحدثنا عن الدراسة وذكر أن الالتحاق بجماعات الهوايات الخاصة لا يقل أهمية عن الدراسة الأساسية وأكد لنا أن الهواية لا تعطل الإنسان ولكنها تساعده على تفريغ شحنات تزيد طاقته.. وقررت الالتحاق بجماعة الصحافة ويبدو أن الهوي تجاه الصحافة كان مهيئا تماما بداخلي فسرعان ما جذبتني بشدة وطلبت من د. حسين أن يرشدني عن الكلية التي يمكنني استكمال دراستي الصحفية بها وترك العلوم.. وكانت الجامعة الأمريكية (قسم صحافة).. فانتقلت إلى القاهرة وكان أخي الأكبر تاجرا ميسورا استطاع الوفاء بسداد المصروفات السنوية التي كانت تبلغ65 جنيها في العام بالإضافة إلى15 جنيها للمصاريف الداخلية ولكن هذا القرار ترتب عليه ضياع سنة من عمري قضيتها في دراسة العلوم وفوجئت أسرتي يوم التخرج بأسمي ضمن خريجي قسم الصحافة لا العلوم.. وكان من المفترض أن أعمل بجريدة الأهرام لأنني كنت الأول على دفعتي وحاصل على لقب أفضل طالب وقامت الأهرام بدفع نفقات دراستي في السنة الرابعة ولكن عزيز ميرزا مدير التحرير رفض تعييني وظل حلم العمل بالأهرام يراودني سنوات طويلة حتي عهد الأستاذ هيكل حيث كانت نوال المحلاوي مديرة مكتبه دفعتي وفي إحدى المرات أثناء زيارتي لها قال لي هيكل يا لويس (الأهرام لا تطلب ولكنها تُطلب) أي من يريد العمل عليه التقدم والسعي كان ذلك في أواخر الستينيات لكنني بعد التخرج مباشرة عملت بدار التحرير في مجلة التحرير وكان تعرفي بالصحفي الكبير حسن فؤاد نقطة تحول في حياتي حيث انتقلت معه إلى دار الهلال وعملت في الإخراج الفني (لصق الماكيت).. ثم أخبرني حسن فؤاد بأن هناك مجلة جديدة ستصدر قريبا ستكون معبرة عن روح الثورة.. وكانت هي صباح الخير التي اختار لها أحمد بهاء الدين شعارها المتميز

منذ صدورها عام1956 إلى «القلوب الشابة والعقول المتفتحة» وعرفني حسن فؤاد بأحمد بهاء الدين وكان ذلك قدرا من أجمل الأقدار في حياتي المهنية لأنه أستاذي الأول الذي مازلت أذكره بالفضائل والمهنية البديعة.. ربما لو لم ألتق به لتغير مجرى حياتي.

عاصرت إذن ولادة مجلة صباح الخير وأجواء مؤسسة روزاليوسف العريقة فما الذي تختزله من مواقف وذكريات مع عمالقة الصحافة.. في لحظة تتعرض فيه المهنة لهجمة شرسة تستهدف تقويض أساسياتها؟

أسرتني شخصية أحمد بهاء الدين (رئيس التحرير).. فأنا أعتبر نفسي تلميذه.. مازلت أذكر بالطبع يوم صدور العدد الأول نزلت أنا وصلاح جاهين وحسن فؤاد والفنانان عبد الغني أبو العينين وجمال كامل إلى محطة مصر نراقب سفر المجلة في قطار الصحافة إلى الصعيد ووجه بحري ونرصد ردود أفعال المواطنين لدي إطلاعهم عليها وحين عدنا إلى المجلة وبيننا إحسان عبد القدوس دخلت والدته فاطمة اليوسف وقبل يديها وقالت لنا: مبروك يا أولاد المجلة نجحت!! كان الحماس والشغف بهذا المولود الجديد يملأ الجميع.. وأثبتت المجلة شخصيتها ومكانتها حتى إن صلاح جاهين كان يقول عنها: صباح الخير يتغني بحبها الطير فالعمل مع إحسان عبد القدوس وكان يشغل منصب مدير عام المؤسسة ورئيس تحرير روزاليوسف يمثل متعة خاصة فهذا الأديب الكبير كان يعامل مرءوسيه مثل أصدقائه تماما يدفعهم بحميمية للعمل والانتماء للمكان وللمهنة وحدها.. كانت روزاليوسف تضم عمالقة الصحافة علي ومصطفي أمين قبل أن يؤسسا جريدة أخبار اليوم وكذلك محمد التابعي وحسنين هيكل ومايسترو الصحافة كما كنا نطلق عليه صلاح حافظ وفتحي غانم وعبد الرحمن الشرقاوي الذي عملت مديرا عاما للمؤسسة في عهده وكانت تجربة إدارية ناجحة قمت خلالها بإرساء مبادئ العدالة الاجتماعية في الأجور إلى أقصي حد.. إنهم أكابر المهنة الذين تعلمنا منهم فيضا من الإنسانية قبل المهنية.. فأنا كنت أتردد على مصطفي أمين منذ كنت طالبا بالجامعة وكان يحرص على توصيلي حتى باب الأسانسير لكن بعد التخرج بعث لي برسالة أنني كنت طالب علم والآن طالب وظيفة وأعتذر عن المقابلة لكن فيما بعد كان يرد على كل تليفوناتي.. كان كبيرا بحق.. ففي إحدى المرات دخل صالة التحرير في مجلة آخر ساعة وكان صلاح حافظ قد التحق بها بعد تركه روزاليوسف عقب خروجه من السجن لمدة عشر سنوات لأنها كانت مرتع الشيوعيين وتساءل مصطفي

أمين في فضول شـديد و إلحاح عمن وضع هذا العنوان: عذراء الشاشـة تضع بنتا!! فأشار أحد الزمـلاء إلى صلاح حافظ الذي كان يجلس في مقعده ولم يشـأ أن يرد.. فأخرج مصطفي أمين من جيبه خمسين جنيها وأعطاها له مكافأة وكانت رقما كبيرا بمقاييس تلك الأيام.. حيث كان اكتشـاف الموهبة ووضعها على الطريق الصحيح أهم من اكتشـاف بئر بترول. نعم. هذه هي سمات ذلك العصر الذهبي للصحافة إضافة إلى التفرغ والإخلاص التام لأصول المهنة والسعي في دروبها بعيدا عن الأهواء والمصالح الخاصة.. أهم ما يميز مدرسـة روزاليوسـف أنها تحرص على وجود صلة بينها وبين القارئ في أحلك الأزمات حين كانت تشـتد الرقابة في السـتينيات.. من هؤلاء الأساتذة تعلمنا أن الخبر المثير هو الذي يحتوي على معلومات لا يعرفها أحد وتتفاوت درجة الإثارة بمدي ارتباطها بالأشـخاص الذين وضعوها فالإثارة ينصرف عنها القارئ سريعا.. رؤسـاء التحرير كانوا (قادة) يسـتخرجون من الصحفيين أقصي طاقاتهم الإبداعية ويشعلون حماسـهم بكلمات التشـجيع والتقديـر والمكافآت.. واذكـر أنني عندما سـافرت في منحة إلى جامعة ميتشـجان بأمريكا وكيف سـعد إحسـان بهذا الخبر وقال لي: إن السفر والدراسة لمدة عـام يعادلان قراءة ألف كتاب.. ولكـن من الإنصاف أن نقر بصعوبة منصب رئيس التحرير في عالمنـا العربي حيث حرية الرأي والديمقراطية لم تترسـخا بعد وقـد علمتني الحياة أن المتعة الكبرى يستشعرها من يكتب مقاله ويسلمه وينصرف دون أدني مسئولية.

اشتهرت مدرسة روزاليوسـف بالكاريكاتير وكانت أكبر مدرسة لخريجي هذا الفن في مصر فلماذا بلغ هذا الفن ذروته في الستينيات ثم تراجع نسبيا فيما بعد؟

اشـتهرت روزاليوسـف بالفعل بحملات موسـعة لكبار فناني الكاريكاتير على صفحاتها التي كانت تصدر ممهورة بأسـماء حجـازي وصلاح جاهين وبهجت عثمان وزهدي وعشرات الأسماء اللامعة.. والسبب في ازدهاره في الستينيات أن الكاريكاتير أحيانا يعادل مقالة سياسية لما يحويه من نقد لاذع ومعان عميقة ودلالات سياسية لا يمكن التصريح بها.. فكان يتم التحايل باسـتخدام هذا القالـب المحبب للقراء سـواء كان منفردا أو مصاحبا للمقـال المكتوب وكان أحمد بهاء الدين متأثرا لأن هيكل خطف صلاح جاهين من روزاليوسف وكنا نطلق عليه اسم (المنقـذ) حـين كان يتم إلغاء مواد صحفية من الرقيب فهو صاحـب مواهب متعددة وأفكاره لا تنضب يمكنه ملء أي فراغ بإبداع لا مثيل له. ومازلت أذكر ذلك الغلاف الشـهير لعدد من

أعداد صباح الخير بريشة الفنان حجازي حيث رسم دولابا مفتوحا بداخله شبان معلقون على شماعات وفتاة استبدت بها الحيرة وهي تفاضل بينهم وتقول: تري أي فستان اختار؟ كناية عن عدم وجود حرية في الاختيار.. فثار الرئيس عبد الناصر وغضب غضبا شديد وفي إحدى المرات أثناء رئاستي لتحرير صباح الخير.. ذهبت ليلا إلى المطبعة وأنا في طريقي إلى المنزل بعد سهرة طويلة وأنا أقلب في الملازم اكتشفت وجود صورة للرئيس عبد الناصر بالخطأ مكان نكتة مصاحبة لمقال محمود السعدني.. وشعرت بالكارثة التي كان يمكن أن تؤثر على مستقبلي المهني وقمت بتمزيق الملازم وحمدت الله على هذه الصدفة التي أنقذتني.

مررت بتجربة دراسية في أمريكا وأجريت حوارا مع كاسترو وآخر مع جيفارا في كوبا.. فما الذي ترويه اليوم وتراه جديرا بالحكي؟

أشياء عديدة بعضها ساهم في تشكيل وجداني.. انطلق سبوتنك الروسي إلى الفضاء فقامت جامعة ميتشجن بتعديل المناهج على الفور وتدريس النظرية الماركسية دون أن يروا في ذلك ارتداد عن الرأسمالية من جهة أخرى فقد اختارني أستاذي الأمريكي للعمل معه في مجلة وكان يقوم بنفسه لإعطائي الشغل المطلوب إنجازه والخطابات التي ترد إلى المحررين ويعاملني بود شديد.. وكذلك فعلت مع الزملاء حينما أصبحت رئيسا للتحرير وأضفت بعض الخصال الحميدة.. وأعتبر أن أجمل أعمالي التي لم تنشر هي تلك الحوارات التي كانت تدور بيني وبين الشباب الذين يفدون للمجلة للتدريب وأفخر بأنني قدمت لمصر ما يقرب من عشرين رئيس تحرير لكل منهم بريقه الخاص.. وأعتز بأنني أول من نشر قصة قصيرة للروائي الموهوب علاء الأسواني.. فيما يتعلق بأمريكا فأنا عاصرت أسوأ سنوات العنصرية حيث كانت اللافتات على المطاعم تمنع دخول السود والكلاب وشاهدت الحادثة الشهيرة التي خلع فيها الرئيس الروسي خروشوف حذاءه في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام1959.. كنت جالسا في شرفة الصحفيين وعقب انتهاء خروشوف من إلقاء كلمته وعودته إلى مكانه.. فوجئنا به يضع حذاءه على المنضدة ويحاول إصلاح الفرشة بداخله أو البحث عن مسمار يضايقه.. وفي النهاية كان يحاول إيجاد حل فوري لصناعة روسية سيئة.. وفي الحال انهالت عليه كاميرات التصوير وأمطرته بوابل من الصور تصدرت الصحف العالمية.. وحين وصل الخبر إلى مصر كان قد حرف تماما.. وأصبح المغزى من خلع الحذاء هو ضرب روسيا لأمريكا بالجزمة في عقر دارها وبدا الأمر

تلويحا باستخدام القوة.. واسترحنا لهذا التفسير الدرامي لأننا كنا في شراكة مع الروس في المشروعات الكبرى وعلى رأسها السد العالي.. أما لقاء فيدل كاسترو فله ذكريات لا تنسى حيث سافرت مع منظمة التضامن الأفريقي الآسيوي وكانت تعمل في هذه المرحلة على ضم دول أمريكا اللاتينية وكان في الرحلة عدد كبير من الأدباء والمفكرين أذكر منهم محمد عودة وأنيس منصور وكان من نصيبي الإقامة معه في غرفة واحدة ولكن بما أنه شخص لا ينام يضئ نور الغرفة ليلا فقد طلبت الانتقال إلى غرفة محمد عودة.. فأطلق على هذه النكتة: نحن الآن في كوبا حيث يوجد لدينا فيدل كاسترو.. وفي ديل محمد عودة ويمسك بطرفه لويس جريس!!.. وقد قابلت كاسترو في البداية بمفردي الساعة الثالثة صباحا في بهو الفندق الذي كنا نقيم به لأنه كان يعطي الوفد المصري مواعيد لإجراء مقابلة صحفية ولا يحضر فانتظرته وجاء ووجدني نائما على الكنبة فأيقظني بصوت جهوري أصحي يا مصري!! وتبادل التحية وأردف قائلا: أتمنى زيارة مصر لا لمشاهدة الأهرامات ولكن لمشاهدة الفلاح المصري الذي يزرع أرضه أربع مرات في السنة.. لابد أن يكون هذا الفلاح عظيما.. وهزتني الكلمات وأسرعت بالاتصال بالزملاء الذين نزلوا على الفور لمقابلته وأجرينا حوارا جماعيا نشره كل ما بمفرده في صحيفته كان كاسترو ينظر لثورة يوليو على أنها ثورة عسكر وتأتي في المرتبة الثانية بعد ثورة الجزائر بلد المليون شهيد.. وفي مقابلة أخرى معه قابلنا جيفارا وعرض عليه كاسترو أمامنا أن يتولى منصب وزير الصناعة لكن جيفارا رفض وقال إنه قام بالثورة في كوبا وانتهي دوره وسينتقل لمكان آخر يحتاج جهوده وأعتقد أن إخلاصه للفكر الثوري ومشاركته الثوريين في عدة بلدان جعل منه أيقونة للثورات حتى يومنا هذا.

تزوجت من المبدعة الكبيرة سناء جميل.. وزواج الفن بالصحافة يحظي دائما بالشهرة ويكون محط إعجاب الجماهير.. فلماذا لم يرتبط أسمك بسناء جميل إعلاميا بشكل كاف؟

لأنني كنت حريصا على ذلك منذ البداية فقد ارتبطت بسناء وتعارفنا وشعر كل منا بالحب تجاه الآخر وتزوجنا عام 1961 وفي التوقيت نفسه تزوج الصحفي نبيل عصمت وليلي طاهر وليلي فوزي وجلال معوض ثم أحمد فراج وصباح فقلت لها أننا لن ننشر صورنا في الجرائد والمجلات وبصراحة شديدة رفضت منذ البداية أن يشار على بزوج سناء جميل لأنها كانت

مشـهورة بحكـم عملها وقدمت فيلـم «بداية ونهايـة» وأعمالا مسرحية عديدة بـل إن د. طه حسـين كتب عنها مقـالا عام1956 بجريدة الجمهورية وعندمـا تزوجت صارت الأمور كما أردت وكان أول ظهـور لنـا معا في صورة فوتوغرافية عـام1975 في بداية زواجي تلقيت ثلاث نصائح غالية من أعظم الشـخصيات فهزتني كلمات إحسان عبد القدوس لويس: أوعي تكون فاكـر نفسـك تزوجت مجرد امرأة!! لا أنك تزوجت موهبة بقدر ما تزدهر سـيكتب اسـمك في التاريـخ وحذار أن تعاملها كرجل صعيدي تقليـدي فقد تقضي على هذه الموهبة أما ألفريد فرج فقد وصفها بالثروة القومية التي يجب المحافظة عليها وكان د. لويس عوض صديقا مقربا ويعتقد البعض بالخطأ أنه زوجها لتشـابه الاسـم الأول وبدوره كان معجبا للغاية بأداء سـناء جميـل ووصفها بأنهـا ملكة الأداء المسرحي ووجهـني د. لويس عوض لتثقيف سـناء ليس عن طريق الكتب لأنها قد تتحول إلى قيود تحد من انطلاقة التعبير الفطري لدي الفنان وقد تورث الاكتئاب ولكنه كان يدرك أهمية الثقافة لاتساع أفق الفنان وتعميق نظرته للحياة فقد أوصاني بالحـرص على جلوسـها وسـط المثقفين القارئين حتي تظـل فطرتها نقية ينعكس على سـطحها الشخصيات التي تؤديها بنفس الوهج.

ولكن هذه الفنانة الكبيرة كانت لها شـخصية متفردة تميزها.. وكانت تبدو بعيدة نسبيا عن الوسط الفني فما سبب تلك العزلة؟

سـناء لها طبائـع خاصة فحين تعرفت عليها حسـبتها في البداية مسـلمة لأنها كانت أثناء مناقشـاتي معها تقـول: لا إله إلا الله وترد عـلى زميلاتها حين يقلن صلي عـلى النبي قائلة: عليه الصلاة والسلام!! فقلت العائق الوحيد هو اختلاف الديانة بيننا فأخبرتني أنها مسيحية وكانت لهـا ظروف خاصة جدا فهي من ملوي صعيدية مثـلي.. والدها كان محاميا بالمحاكم المختلطة وبعد إلغائها عام1936 عمل لدي شـعراوي باشـا وراتب وسلطان باشـا كانت لها أخت توأم توفيـت وهي صغيرة وأخ هاجر فيما بعد إلى البرازيل وهي في التاسـعة من عمرها حضرت مع والديهـا إلى القاهرة والتحقت بمدرسـة الميردي يو ودفع والدها مصاريف سـنواتها الدراسـية مقدما حتي التوجيهية وتركها وسـافر والداها إلى الخارج ولم يعودا إلى مصر مرة أخرى لذلك عندمـا توفيت في 2002 نشرت خبر وفاتها في الجرائد العربية ودفنتها يوم ثلاثاء بالرغم من أنها توفيت يوم جمعه أملا في أن يظهر أحد أقربائها أو والديها إذا كان أحد منهما على قيد الحياة.

يبدو أن تلك الواقعة وهذه الظروف القاسية التي تعادل الشعور باليتم والغموض كان لها اثر إيجابي في شفافية أدائها.. فالألم من مصادر الإبداع ولكن ألم تستفسر منها عن هذا السر العائلي؟

حاولت مرارا وكانت أحيانا تفضل التأمل أو البكاء بمفردها ولا تحب أن يراها أحد في هذه الحالة وحين سألتها قالت إنها كانت صغيرة ولا تعرف شيئا ولكن الأمر يشي باحتمال وجود حادثة أو شيء قاهر تورط فيه الأب فسير الأمور يظهر مدى اضطرارهما لفعل ذلك والله وحده يعلم كم كانت معاناتها وحساسيتها المفرطة وشعورها بافتقاد كلمات الاستحسان من أقرب الناس إليها بعد أن أصبحت ملء السمع والبصر وكانت تقول أن الله أرسلني لها سندا وعونا.

من الذي اكتشف موهبتها التمثيلية وألحقها بمعهد التمثيل؟

في مدرستها كانت تقوم بالتمثيل بالفرنسية ونتيجة لطول إقامتها في القسم الداخلي كانت لغتها العربية سيئة في البداية ولا تجيد التحدث بالعربية بصورة سليمة معظم حديثها كان فرنسيا وبعد إتمام التوجيهية ذهبت للعيش مع أخيها وأخبرها ابن الجيران عن معهد الفنون المسرحية والتحقت به وحين علم أخوها صفعها بالقلم وطردها من المنزل ليلة حريق القاهرة 26 يناير 1952 فذهبت إلى أستاذها زكي طليمات وأودعها في منزل الفنان سعيد أبو بكر واعتنت بها زوجته الإيطالية ثم أقامت في بيت طالبات وبدأت التمثيل والاختلاط بزميلاتها سميحة أيوب ونعيمة وصفي وملكة الجمل ومنهن تعلمت العربية بطلاقة والصلاة على النبي!! أما اللغة العربية الفصحى فقد استقدم لها زكي طليمات أستاذا خاصا وكان عبد الوارث عسر أستاذهم جميعا الذين يعلمهم اللهجات الصعيدية والبدوية لقد تزوجنا بعد فيلم بداية ونهاية الذي نالت عنه جائزة أفضل ممثلة من مهرجان موسكو ورشحها للدور صلاح عز الدين أحد كتاب سيناريو الفيلم بالرغم من أن اسمه لم يكتب على الشاشة لكنها فاجأتني بدورها في فيلم الزوجة الثانية.

يقال أن صلاح أبو سيف وضع بلاستر في قدميها لأنها رفضت أن تسير حافية وأصرت على النوم بجوار القطار فما هي كواليس هذا الفيلم الزوجة الثانية الذي اعتبر مع بداية ونهاية من أفضل مائه فيلم مصري؟

صلاح أبو سيف أخبرها بأنها لابد أن تمشي حافية على (الجلة) مثل أي فلاحة وتم لصق البلاستر في قدميها واحتشدت بكل طاقتها لمشهد القطار وتمددت على يمينه لكنها كانت تعتقد أن صلاح أبو سيف لم يلتقط الصور التي تظهر الفزع بالشكل الكافي وفوجئت بزوجتي التي اعرفها جيدا ذات النزعة الارستقراطية تقوم بهذا الدور البديع كزوجة ريفية ينطلق لسانها بالليلة يا عمدة بهذه الطريقة الرائعة والأداء الريفي كما لو كانت نشأت في هذه البيئة منذ نعومة أظفارها زوجة عمدة بحق.

كيف كانت تتهيأ لأدوارها وهل كانت لها طقوس خاصة؟

يضحك أستاذ لويس ويقول: كانت تمتلئ بالشخصية وتستحضرها وتصمم ملابسها وكنت أذهب معها لوكالة البلح وتقوم بشراء الأقمشة لأنها كانت تهوي التفصيل بنفسها وكانت ثقتها بنفسها وطريقتها في إيجاد مسافة بينها وبين الناس تسمح لها بذلك وكانت تقول لي: إنني أشبه عسكري مدرب يحمل سلاحه يوميا لكي يشق طريقه بين الجماهير. كانت تريد التفرغ التام لعملها بعيدا عن المجاملات التي ترهق وتبدد طاقة الفنان وكنت أدعوها أحيانا للسفر إلى باريس للنزهة فتقول أن نزهتها الوحيدة هي العمل والحياة في مصر أفضل وسيلة للترويح عن النفس أذكر أثناء قيامها بتصوير مسلسل الراية البيضا وهي تقوم بدور فضة المعداوي التي تسيطر على المنطقة أنها طلبت مني الذهاب معها إلى بحري وتناولنا أكلة سمك ثم قمنا بزيارة بعض السيدات لرؤية ملابسهن وطوال فترة التصوير كانت تتشاجر معي وتتحدث بطريقة شعبية جدا لأنني أتأخر حتي العاشرة وكان ذلك نتيجة لتأثرها بالدور وكان ذلك الموقف يتكرر معي ومع آخرين فهي من الممثلات اللاتي يعشن الدور بكل كيانهن ولا يمكن التحدث معها قبل صعودها للمسرح بفترة زمنية فالدور يستغرقها تماما وللأسف قررنا ألا ننجب أطفالا وكانت تعتقد أن الإنجاب سيعطل مشوارها الفني وحين بلغت أنا سن الستين وأنا أكبرها بثلاث سنوات قالت لي: لقد أخطأنا يا لويس لعدم إنجابنا أطفالا.

ما الذي كان يؤرقها في حياتها أو فنها؟

كانت منضبطة جدا كزوجة وسيدة بيت تراعي شئونه كانت تتمني التمثيل أمام أحمد زكي وأخبرته بأن هذه رغبتها قبل وفاتها فقال لها: يا نهار أبيض يا ست الكل وأرسل لها سيناريو

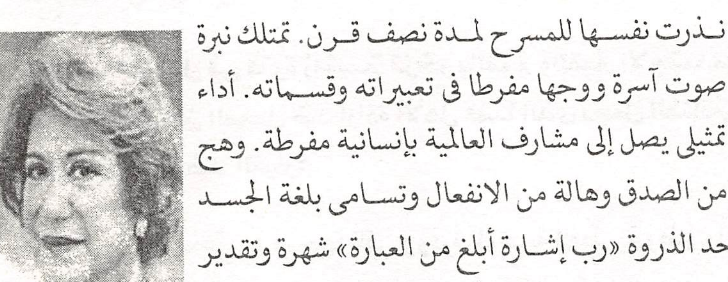
فيلمي سـواق الهانم واضحك الصورة تطلع حلوة وكان أعلى أجر وصلت له في السينما20 ألف جنيها فيما يتعلق بما يشـغلها فكان ما بعد الموت فحين دخل كامل الشـناوي في غيبوبة طلبت مني التعرف عليه وكانت تسـأله أسـئلة كثيرة عما شـعر به وحين داهمها المـرض سرطان الرئة لم نكن نعلم وكانت تشـعر بتغييرات وترفض الذهاب للمستشـفي واضطررت لادعاء المرض حتى تضطر للذهاب معي إلى المستشـفي وبمجرد وصولي طلبت الكشف عليها وللأسف كان السرطان من الدرجة الرابعة وقبل أن تأخذ الكيماوي سـألتني هل مازال وجهها سـليما وقبل أن أجيب بنعم قالت: عموما إذا لم اسـتطع التمثيل مرة أخرى فسـوف أفتح اتيليه وأقوم بتفصيل ملابس جميلة لسـيدات مـصر لأنني اعلم عيوب جسـم المرأة المصرية وسـأعمل على مدارتها ولكن للأسف غيبها الموت ومازالت النفس تحمل تفاصيل ذكرياتي معها وتدعوني لتسجيلها في كتاب وأنا أري أن أجمل سنوات الزواج عموما هي سنوات آخر العمر فالحياة مع هذه السيدة التي كانت جمرة مشتعلة بالموهبة الفطرية مميزة للغاية لأنها كانت تحاول التوفيق دائما بين فنها وبيتها وكأنها تمشي على حبل مشدود باسطة ذراعيها وكأنها تعبر جسرا من العذاب يكابده دائما الفنان الأصيل.

□□□

14- سيدة المسرح العربي

أصبحت سميحة أيوب لأن المسرح كان منبرا للكلام الكبير!

شخصية «عيسى الدباغ» هي الأقرب لشخصية محمود مرسي الحقيقية



نذرت نفسها للمسرح لمدة نصف قرن. تمتلك نبرة صوت آسرة ووجها مفرطا فى تعبيراته وقسماته. أداء تمثيلى يصل إلى مشارف العالمية بإنسانية مفرطة. وهج من الصدق وهالة من الانفعال وتسامى بلغة الجسد وإيماءاتها تصل إلى حد الذروة «رب إشارة أبلغ من العبارة» شهرة وتقدير قلما يجتمعان، فالشهرة بضوضائها قد لا تتواكب مع التقدير القائم على الوزن الفنى وثقله ولكنها جمعت بين الحسنيين. إنها سميحة أيوب سيدة المسرح العربي.

العاشقة دوما لأجوائه وعبقه «أحبت رائحة خشبة المسرح»، أخلت السبيل دوما أمام فنها حتى أصبحت حياتها الخاصة وكأنها دراما كامنة مثلتها على مسرح الحياة. أبرع من يرتدى ثياب الشخصيات الفنية ويكشف عن أغوارها السحيقة وتحول الأفكار الفلسفية إلى دراما من لحم ودم تنفث فيها من سحرها فى تنوع وزخم، فمن «سوسو» سكة السلامة إلى «بريسكا» أهل الكهف إلى «اليكترا» سارتر إلى رابعة العدوية. صاحبة الموقف السياسى التى قفلت مسرحها فى وجه «إسحاق نافون» ورفضت وراثة مهرجان القاهرة السينمائى بعد وفاة زوجها سعد الدين وهبة. تؤمن بأن الفنان يشتغل بالسياسة حين يعالج مشكلات مجتمعه فى فنه. فالفنان ليس مصلحا سياسيا ولكنه صانع المصلح فى بعض الأحيان وعلى هدى فنها يتكشف الكثير مما يخفى فى مسرحها السياسى. فى لحظة تنوير نادرة جسدت دور الغانية فى مسرحية «السلطان الحائر» لتوفيق الحكيم، وكشفت عن أن منطق القوة الغاشمة إلى زوال.

فلكى يعود سلطانا عليه أن يباع لأنه عبدا وتتولى الغانية هذه المهمة وتعتقه عند الفجر ومع ضوء الفجر تتأكد حقيقتها، وأنها اتهمت ظلما فى شرفها وتعتق السلطان مثلما كان يفعل شهريار مع شهرزاد ولا تحاول الاحتفاظ به وتعلو على الموقف الخاص وتتجاوزه للصالح العام ليظل القانون مهابا ومظلة يحتمى بها الجميع جسدت «شهريار وشهرزاد" هذه هى التركيبة النفسية المتميزة لهذه الفنانة الكبيرة «ست بمائة رجل» مديرة المسرح القومى سابقا التى اعتادت أن تسقط الحائط الرابع لتصل للناس بفنها الصادق وللفنانين بكل السبل، مؤكدة أن الإدارة موهبة لا تتأتى للجميع لكنها لم تستعص على من اعتادت أن تأكل المسرح بأدائها قبل أن يأكلها كما تنصح الفنانين المبتدئين.

بدأت التمثيل فى فترة زمنية تزخر بالقمم والقيم الاجتماعية الرفيعة ومعظم الفنانات احترفن العمل ضد إرادة الأهل فما الذى يجعل الفنانة تتشبث بموهبتها وتسبح من أجلها ضد التيار؟

الأمر يتوقف على مدى حبها للفن ووفرة الموهبة الفطرية وطاقتها على التحدى والمثابرة إيمانًا بجدوى هذا الفن وسموه وكنت أشعر بكل ذلك وأنا فى فترة الصبا. لكننى بالطبع كنت عاجزة آنذاك عن تحليل الذات. فأنا نشأت فى أسرة مصرية محافظة تنتهج فى تربية بناتها الثلاث أسلوبًا تقليديًا من الشدة والحزم. الوالد كان مديرًا عامًا فى وزارة المالية وناظر وقف عائلة أيوب وهو دائم الانشغال لذلك كانت الوالدة يقع على عاتقها مهام مضاعفة. وكانت تخشى علينا حتى من صداقة البنات وتقول: لا يفسد البنت إلا البنت. وبحكم تكوينى كنت مدمنة للقراءة منذ الصغر وأتمنى أن أصبح راقصة باليه وفى يوم تناهى إلى سمعى من خلال الراديو أن معهد الفنون المسرحية يطلب فتيات للالتحاق به وستحصل كل فتاة على مكافأة شهرية تبلغ ستة جنيهات ولم تتوافر شروط السن بالنسبة لى حيث كان الحد الأدنى ستة عشر عامًا وكنت لا أزال فى الرابعة عشرة ولكن مظهرى يبدو أكبر بقليل ورفض زكى طليمات أحد أعضاء اللجنة فى البداية ولكن جورج أبيض ود. محمد صلاح الدين (الذى أصبح وزيرًا للخارجية فى حكومة الوفد) أقنعاه بقبولى. كان الأساتذة فى المعهد على قدر كبير من التميز والاقتدار د. زكى مبارك كان يدرس لنا الموازنة بين الشعراء ودربنى خشبة الميثولوجيا (الأساطير) بالإضافة إلى مادة الرقص التوقيعى. وكان الموسيقى العظيم حسن الشجاعى فى إحدى حصص الصولفيج

قــرر أن يمنحــنى دورًا غنائيًــا فى مسرحيــة «العشرة الطيبة» التى كتبها ســيد درويش أرســلنى إلى مايســترو روسى لكى يعلمنى كيفية إجادة جميع طبقات الســلم الموســيقى إلا أن الموســيقار محمــد عبد الوهاب لم يوافق ليس اعتراضًا على الصوت ولكن لصغر ســنى وأعترض قائلًا: أنها مفعوصة ماذا سيحب فيها البطل؟. كانت الدفعة تضم طلابًا من مختلف الأعمار وكان معى فى الفصل. فاتن حمامة ومدبولى وناهد سـمير وعبد المنعم إبراهيم وعدلى كاسـب وعلى الزرقانى وكانــت نعيمة وصفى وحمدى غيث فى الســنة النهائية. وذهبــت لكى أعيش مع خالى وهو فنان وكان يحبــنى حبًا جمًا. وكان حريصًا على اســتقدام مدرسـين للغة العربية أبرزهم الأســتاذ أبو المجد وكان ضليعًا للغاية فى اللغة العربية وهو الذى علم الرئيس السادات الخطابة كما علمت فيما بعد. كان زكى طليمات متشــددًا يحاول أن يكسر بداخلنا الغرور لأنه عدو الفنان الأول. واشــتركت مع زملائى فى تمثيــل البخيل لموليير على مسرح الأوبرا وكتــب عن المسرحية د. زكى مبارك مقالًا وقال عنى: هذه الفتاة لها حضور مسرحى طاغ. وبســذاجة المراهقة والصبا قلت لزكى طليمات ولكننى أحضر إلى المعهد وأمثل أيضًا فضحك طليمات وقال: يا ســميحة الحضور المسرحــى يختلف عــن الحضور الفعلى فى تلك الآونة كان المطــرب كارم محمود فتى أحلام كل فتاة وشاء القدر أن أتزوج محسن سرحان وأنا فى السنة الثانية بالمعهد وقمت بالاشتراك فى فيلم شــاطئ الغرام بطولــة ليلى مراد ولم يدم الزواج لأســباب عديدة وأنجبت ابــنى محمود - رحمه الله - وبعد الطلاق عدت إلى المعهد مرة ثانية وتخرجت عام 1954 ولكن فى عام 1955 صدرت قــرارات لجنة التطهير التابعة لثــورة يوليو وكتبت العرائض التى تزعم جمع توقيعاتها عبد الغنى قمــر وتم إرســالها لمجلس قيادة الثورة لاســتبعاد العملاق زكى طليمات مــن المسرح وعلمنا أنه ســيتم ضم الفرقة القومية إلى المسرح الحديث وســيتولى إدارتها «الديكتاتور» يوسف وهبى! فتزعمــت حملة عدائية لعرقلة تنفيذ هذا المخطط وتولــت الزميلة نعيمة وصفى عرض مطالبنا عــلى يحيى حقى الذى كان مديرًا لمصلحة الفنــون وبدأ النقاش لكنه احتدم وتحدث مع نعيمة بســخرية، هنا علا صــوتى اعتراضًا على ذلك وصعــق يحيى حقى من رد فعلنــا وحاول تهدئتنا وتدريجيًا استوعبنا يوسف وهبى بموهبته الإنسانية الرفيعة وتناسينا الأمر.

تزوجــت من الفنان الكبير محمود مرســى وكان أشــهر عازب فى الوســط الفنى فكيف تغيرت قناعاته. وهل كانت شخصية «عيسى الدباغ» فى «السمان والخريف» أقرب إلى طبيعة شخصيته؟.

تبتسم بثقة وهدوء وتسترسل قائلة: محمود مرسى نموذج لن يتكرر فنيًا وأخلاقيًا وثقافيًا وفعلًا شخصية عيسى الدباغ قريبة إلى حد كبير من شخصيته. كان - رحمه الله - زاهدًا وعازفًا عن ضجيج المجتمع وطبوله الجوفاء فهل تتخيلين أنه عندما حصل على جائزة الدولة التقديرية تحادثنا تليفونيًا وكنا منفصلين وأعرب لى عن نيته فى عدم حضور الحفل قائلًا: ماذا فعلت لكى أستحق هذه الجائزة؟. وأذكر أن أحد الصحفيين توجه إليه لإجراء حديث فقال له: لماذا أنا. أنا لم أفعل شيئًا فلتذهب لمقابلة الفلاحين فى المزارع أو العمال الذين يشيدون ويبنون الوطن فى جميع المجالات وكأنه بفنه الرفيع لم يكن مشاركًا فى بناء وطنه. محمود مرسى خليط من عزة النفس والكبرياء والتواضع الشديد أمام العلم والمعرفة. كانت ثقافته رفيعة، تعارفنا من خلال عمله كمخرج فى البرنامج الثانى بالإذاعة وأضمرنا إعجابنا لمدة عام ونصف العام وكنا نتحدث تليفونيًا وعلمت أنه يسأل عنى بعض الأصدقاء عن ظروفى الاجتماعية وحياتى الخاصة وفى إحدى المرات فاتحنى قائلًا: تعرفنى أن الست أم كلثوم ست رائعة بحق وكلمة (ست) كانت آسرة لديه فقلت له: لماذا؟ قال لأنها تقول: «ولما أشوف حد يحبك يحلى لى أجيب سيرتك وياه» وتدريجيًا بدأت أتمنى أن يجمعنا لقاء منفرد وتقابلنا بالمصادفة فى زيارة لأحد الزملاء ألم به مرض وكان يسكن فى حلوان وعند مغادرتى طلب منى أن يركب معى السيارة لكى أوصله لميدان التحرير ثم يركب تاكسى فقلت فى نفسى أنا أوصلك أنت والعائلة بأكملها واستمر الحديث بيننا طوال المسافة وقبل نزوله رمى هذه القنبلة: «أريد أن أخبرك أننى لا أتزوج؟» وبسرعة الصاروخ أجبت: ومن قال لك أن هناك من يريد الزواج؟ وفى اليوم التالى أتصل بى وأعتذر عما بدر منه وصارحنى أنه معجب بى واعترفت له أيضًا باعجابى فقال هذا أمر غير مألوف فالمصريات لا يعترفن أو يصارحن بحبهن وتزوجنا وأنجبنا (علاء) كنت دائمة الانشغال والأعمال تتوالى وسكنت بجوار والدتى فى الزمالك وكان لها دور بارز فى رعاية أبنائى وكانت تحب محمود مرسى والعلاقة بينهما قائمة على الصداقة وحين كنت أعود فى نهاية النهار يداعبنى محمود قائلًا: الرجل بتاعنا وصل! لأنه كان مدققًا للغاية فى أعماله بعد إخراجه لسهرة تليفزيونية ناجحة باسم «الحب الكبير» لم يوفق لنص يرضيه فنيًا كانت حياتنا منسجمة عاطفيًا. لكنها لم تكن متوازنة فنيًا وبسبب نجاحى وإخلاصى فى عملى بدأت تظهر غيرة الزميلات وانتهت العلاقة بالطلاق وظللنا أصدقاء حتى آخر يوم فى حياته.

قمت بأداء دور «إليكترا» فى مسـرحية سارتر «الذباب» أو «الندم» كما عرضت فى مصر و»المومس الفاضلة» فلماذا كان اختيار نصوص سـارتر الفلسـفية العسـيرة وكيف كان رد فعله وهو يشاهد نص هو كاتبه؟

القصـة بـدأت حين شـاهدنى كلود آسـتيه رئيس تحرير جريـدة الأوبزرفاتير الفرنسـية وأعجـب جدًا بـدورى فى مسرحية الندم، وقال إننى أقـوم بالدور أفضل من الممثلة الفرنسـية وأخبرنى أنه سـيتصل بسـارتر ويدعوه لزيارة مصر ومشـاهدة العرض. لكنه علم أن سارتر فى الاتحاد السـوفيتي وأنه سـيأتى إلى مصر بدعوة من الكاتب الكبير محمد حسـنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ولكن كلود أسـتيه أردف قائلا: أن العرض حاز قبوله شـخصيًا وأعجب بأدائى لكـن سـارتر صريحًا أحيانًـا إلى حد الوقاحة وقـد لا يعجبه العرض، فقلـت فى نفسى أنا يهمني جمهـورى المـصرى بالمقام الأول وكانـت المسرحية (النـدم) التى أخرجها سـعد أردش مجهدة بالفعل على مستوى الأداء الحركى حيث كنت أقوم برقصة توقيعية يوميًا والحوار مكثف محمل بأفكار فلسـفية والجملة طويلة جدًا مسرحيًا، وأذكر أن حمدى غيث كان يتحدانى فى البداية ونحـن نتدرب عـلى المسرحية أن أنطق الجملة التالية فى نفس واحد دون انقطاع وكانت تقول: «اشـتبك فى مقدوره كما تشـتبك سنابك الجياد فى أمعائها فأصبح لا يستطيع القيام بحركة مهما كانت دون أن يسـتل حشاه» وكان هذا شأن سارتر يرسـم لوحات مقتدرة فى أعماله من زوايا جديدة كاشفة وتعاظم خبر مشاهدته للمسرحية نظرًا لمكانته العالمية فسارتر كان طاغيًا على المشـهد الفكرى فى العالم أجمع ويمثل الأمل للمقهورين وقد حصل على جائزة نوبل عام 1964 ورفض تسـلمها. وعنـد قدومه إلى مصر كانت الروايـة قد انتهت من المـسرح وأعدنا تمثيلها مـرة أخـرى فى تلك الليلة كان توفيـق الحكيم يحثنى على البقاء بعد العـرض لأننى عروس هذا الحفل وقررت أن أمثل أمام سـارتر «ماتينيه» ثم أذهب للمسرحية الأخرى «سواريه» حتى لا أفكر فى كلماته السخيفة إذا تفوه بها وكانت ليلة موعودة بحق ازعم أن أحدًا لن يشاهد مثلها فمن وراء السـتار اختلسـت نظرة سريعة وإذا بالمسرح يعج بصفـوة المجتمع حتى أبوابه من مثقفين ومفكرين وصحفيين وبمجرد أن انفرج السـتار حتى تلاحقت الفلاشـات فى عينى من جميع مصورى الصحف العالمية بكثافة غير عادية وشعرت بدقات قلبى، فأى نقد سيظل عالقًا تاريخيًا من شخصية عالمية ولكن بمجرد أن نطقت بالجملة الأولى وأصبحت إليكترا وانسجمت

فى دورى، لم أشعر بمن حولى كالمعتاد إلا بعد انتهاء العرض وصعد سارتر إلى المسرح ومعه سيمون دى بوفوار وحيانى بحرارة قائلًا: أخيرًا وجدت إليكترا كما تخيلتها.

وكانت الفرحة تعلو الوجوه فى حضور الأستاذ هيكل وتوفيق الحكيم الذى كاد يبكى من فرحته كأب حنون. وبالرغم أن سارتر هو كاتب النص إلا أن الإيقاع والأداء المسرحى يصل للمتفرج مهما اختلفت اللغة، فالإيقاعات الحركية الغنية ولغة الجسد المعبرة تكسر الإيهام المسرحى وتسقط الحائط الرابع! فيما يتعلق بنص سارتر الآخر المومس الفاضلة فكان نقطة تحول فنية فى تاريخى لأننى رفضته فى البداية واستنكرت الحوار والمعانى ولكن حمدى غيث حمسنى منذ البداية أن النص يدور حول التفرقة العنصرية أن المومس فى المسرحية لا تعتبر المرأة ولكن السيناتور الموجود فى الرواية واندمجت أثناء البروفات وضبطت نفسى متلبسة بتغيير جلستى وطريقة الضحك وجرس الصوت وقد انتقد أحد الكتاب اسم المسرحية. فرد عليه السياسى الكبير خالد محيى الدين فى مقال بالأهرام وهكذا الفنان يبدع بالفعل ويخرج مكنون الشخصية من داخله ويتجلى إبداعه إذا استطاع تجسيد عالم غير عالمه.

قمت بصنع نموذج مستحدث للمرأة الشعبية بدا فى مسلسل «سمارة» الإذاعى حيث حرصت على الأداء الأنثوى مطعماً بالشهامة «نموذج المرأة بمائة رجل». تم استنساخه فمن أين أمسكت بتلابيب هذا النموذج الفنى؟

بعفوية شديدة تجيب لا أدرى والله. فأنا لا أشاهد نفسى وفى أحيان كثيرة يعرف الفنان نفسه من عيون الآخرين فجميع الشخصيات التى أقوم بأدائها أدرسها جيدًا وأمسك بخيط الشخصية أثناء قراءة النص وأحدد طريقة الكلام والملابس وأسلوب الحركة وإذا لم أشعر بشيء من ذلك أعتذر فالشخصية الشعبية كانت لا تعنى بالنسبة لى الجلابية (السكاروتة) فقط والتطجين الحالى بالفعل أمر مبالغ فيه ولا نشاهده على الطبيعة فى الأحياء الشعبية بهذه الصورة وربما كان سبب وجود هذا الملمح الرجالى الذى تتحدثين عنه فى الشخصية الشعبية يعود لقناعتى الشخصية ورفضى منذ الصغر لأن أصبح سلعة أو دمية فى فاترينة عرض تعتمد على جمالها الظاهر الذى يمله الرجل ثم يتساءل وماذا بعد. فالمضمون هو الأبقى. وبحكم تربيتى اعتدت أن أكون رجلا وسط الرجال وأنثى وسط الإناث حتى أثناء ادارتى للمسرح القومى فلابد من الحزم فلا يصح أن تكون المرأة لينة فتؤكل طوال الوقت. فأنا حريصة على أن أكون

أنثى متكاملة فى بيتى فقط والحمد لله امتلك عينا تلقط التفاصيل وتختزلها واستفيد كثيرا من تجاربي وأخطائي واحتفظ بالألم الداخلى ولا أبوح به وقد تمرست على ذلك شأن تمرينات اليوجا واعتز بأن المبدع الكبير إحسان عبد القدوس قال لى ذات يوم: أنا لم أشاهد والدتى روز اليوسف وهى تمثل وأتمنى أن تكون بمثل اقتدارك، وقد وصفنى أننى شامخة مثل برج القاهرة وقال أحفظوها نعمة فتهكمت بعض الزميلات وقلن هل نقبلها ونضعها بجوار الحائط؟

أذكر أن أحد النقاد كتب عنى أننى قمت بالأغراء من خلال نظرة عين بالرغم من ملابسى المحتشمة وقد ورثت عن أمى عزة النفس وفكرة الاستغناء وقد نطقت بهذه الكلمات فى مسرحية الوزير العاشق لفاروق جويدة «حين تكون القيمة فينا لا يعنينا ماذا يبقى وماذا يضيع»؟

مسرح الستينيات شهد زخما فنيا لم يتكرر بالرغم مما قيل عن ديكتاتورية الأجهزة الرقابية وتواضع الهامش الديمقراطى فى المجتمع. فما سبب هذا التناقض الذى لم تستوعبه الأجيال اللاحقة؟.

تجيب بانفعال من يعرف الحقائق وعايشها: المسرح كان يشهد هذا الزخم لأنه كان انعكاسا لحياه سياسية مليئة بالشخصيات والرجال والمبادئ التى يموج بها المجتمع ككل. فالمسرح انتعش بالفعل فى الستينيات على يد الفطاحل العظام من كتاب وممثلين ومخرجين وكان لدى عبد الناصر قناعة شخصية بأن النظام الذى يسقطه فيلم أو مسرحية هو نظام (مخوخ) يستحق السقوط فكان حريصا على أن يعبر الفنان بحرية وله مواقف عديدة سمح فيها بعرض ما منعه غيره وأبرزها فيلم شيء من الخوف. وقد كتب زوجى سعد الدين وهبة مسرحيات عديدة بعضها تنبأ بنكسة 1967 مثل «بير السلم» التى تحدثت عن التنحى وسكة السلامة تلك اللقطة العالمية لسواق الأتوبيس الذى ضلله الآخرون فأضل الطريق فالرقابة فى السبعينيات وليس الستينيات كانت عاتية وأذكر أن مسرحية «قولوا لعين الشمس» لنجيب سرور ظلت بالرقابة منذ عام 1968 حتى 1971 وأخذت شهرة من مجرد البروفات وكنت أقوم ببطولتها وقمنا بإجراء البروفة الجنرال أمام الرقابة قبل العرض بليلة واحدة وطلبت من الممثلين أن تكون (مجرى) وهو اصطلاح معهود بيننا يعنى أن التمثل دون توقيع أو سخونة أو انفعال وبالفعل لم تنتبه الرقابة للكلمات ولكن بعد العرض الأول طالبوا بإيقافها. وفى عام 1964 منحنى الرئيس

عبد الناصر وسـام الجمهورية وكان الرئيس السادات فخورا أمام الرئيس الفرنسي ديستان وهو يدعونى لعرض مسرحية «فيدرا» لراسين فى باريس بعد أن شاهدها وزير الثقافة الفرنسي ميشيل جي. والشاعر فاروق جويدة بصفة خاصة قدمت له نصوصا عديدة غاية فى الروعة والبساطة وأشعاره مثل «غزل البنات» تتمتع بمذاق حلو سلس فكنت أشعر بالافتقاد بعد أن انطق الجملة ففى الوزير العاشق كنت أقول أمام الوزراء والمسئولين والجمهور العريض: «المنصب كالخمر تسرى وتدور وتحملنا بين الأوهام وتوهمنا أننا أصبحنا فوق الأشـياء نكبر بالظل» وفى مسرحية «الخديـوى» قمنا بالخصخصة قبل مرور عقد من الزمان عـلى تنفيذها وتم بيع الهرم وأم كلثوم وطه حسـين وقد حضر الأستاذ هيكل عرض مسرحية السـاحرة عام 1994 وهو يصافحنى قال لى مـا هذا الكلام وكيـف فلت من قبضة الرقابة. قلـت له: أننا دائما نتمتع بلسـان طويل وهذا عملنـا وهم يتحرجون من إيقافنا عن العمل فالمسـرح كان منبرا يقال فيه كلام كبير لمفكرين كبـار وهذا ما جعلنا أيضا فنانين كبارا وهى أمور تخلق فى الفنان معنى الالتزام بموقف سـياسى معـين لا يتجـاوزه ويرفض نصا مسرحيا إذا لم يتفـق مع قناعاته فأنا رفضـت عرض مسرحيتى رابعـة العدوية أمام نافون رئيس إسرائيل وكنت مديرة المسرح القومى وقلت فى نفسى حتى لو سـجنت فالسـجن أشرف لى مما يدعوننى إليه ورفضت أن يحيى الممثلين وفدا إسرائيليا بعد ذلك وقلت الستارة لا تنفرج بعد العرض حتى لا ينحنى ممثلونا أمام إسرائيل.

زوجك سـعد الدين وهبـه - رحمـه الله - كتب المحروسـة 2015 التى كنت تعتزمين تمثيلها وتم رفضها فما هى رؤيته فى هذه المسرحية؟.

تنبـأ كعادته دائما لأنـه كان يملك قرون استشـعار فى معظم أعماله أننـا إذا قمنا بالتطبيع الكامل مع إسرائيل فسـوف نضيع تماما، ففى المسرحية يقوم الشـيخ بارسـال زوجته للولادة فى إسرائيـل بعد أن قاموا بإرسـال طائرة خاصة له ويسـمى ابنه فى إسرائيـل «واكيم» وفى مصر حكيم وهى مليئة بالرؤى التى ظهر منها زواج بعض الشباب من الإسرائيليات.

تتميزيـن بسـلامة الإلقاء اللغوى وعشـق اللغة العربية على مـا يبدو وقد وصف خيـرى شـلبى أداءك الصوتى بأنه منضبط يعكس نظرتـك للحياة، ووصفك عبد الله عيـث بأنك كلثومية الأداء أى أنـه ثابت لا يتذبذب فكيف تميزت فى الإلقاء الشعرى بصفة خاصة؟

كنت أعشق اللغة العربية والأشعار منذ صغرى ولغتنا جميلة بالفعل كما يقول شاعرنا فاروق شوشة، فاللغة قد تكون محور تسامى النص أو سقطوه، وكنت احظى بتقدير الزملاء فى هذا الصدد واعتز كثيرا بأن الشيخ الباقورى وصفنى بأننى من أفضل الناطقات بالعربية، وقد اختارتنى أم كلثوم لتمثيل مسلسل رابعة العدوية وقالت: فيه بنت جديدة اسمها سميحة أيوب أعطوها الدور. لم تكن اللغة فى مسارحنا لغوا ولا تهريجا كما أصبحت الآن كنا جيلا يبحث عن الفن لا الدولارات وهى تأتى تلقائيا للفنان بعد أن يخلص للفن وحده، فقد اشتريت أول سيارة فيات (1100) بعد مرور خمسة عشر عامًا من عملى وبالتقسيط.. الآن مسلسل واحد يأتى بالمرسيدس وبدون إجادة أو إتقان أحيانا، وقد اعتدت ألا يسكرنى المديح وأنا أخجل الآن وأنت تحاولين تقصى ردود الفعل حول بعض أعمالى فبعد وفاة سعد الدين وهبه بأيام قليلة اجتمع الفنانون وقرروا أن أتولى رئاسة مهرجان القاهرة السينمائى الذى أسسه سعد على اعتبار أننى زوجته وفنانة ومدير للمسرح القومى لأكثر من عقد وكنت قريبة من كواليس المهرجان لكنى رفضت توريث المهرجان ولم يسكرنى الكلام بالرغم من أننى كنت فى فترة عدم اتزان.

بلغت الأحداث الذروة بلغة المسرحيين فى عصر مبارك يوم 25 يناير ترى ماذا كان سيفعل سعد الدين وهبة لو أنه عاصر هذه الثورة وهو فنان وسياسى متأجج له مواقف مشهودة؟.

ردت على الفور كان سيقضى الثمانية عشر يوما فى ميدان التحرير ولن يغادره وكان سيقوم بدوره تجاه هؤلاء الشباب ويمنحهم التثقيف السياسى والتوعية اللازمة التى تعينهم على الوصول لغايتهم، وقد نزلت إلى الميدان بصحبة ابنى وزوجته بالرغم من إصابة قدمى وهتفت مع الشباب «أرحل» كانت هناك بعض الانجازات بالرغم من الفساد الكبير ولكن معظم الأعمال الجليلة تولى تشييدها الجيش بلا سرقات أو رشاوى لأن الضابط المصرى اعتاد التضحية بنفسه فداء للوطن، ومن ثم فهم لا يجاملون أيا من كان على حساب مصر وأتمنى أن يأخذوا الوقت اللازم لإعادة الأمور و إرساء الأساسات الجديدة و إلا أنهار الكيان.

هل تشعرين بالتفاؤل وما رأيك فى المسارح الكلامية والمنصات المصاحبة للمليونيات وهل تراودك مخاوف فنية إذا تولى الإسلاميون الحكم؟.

لست متفائلة أو متشائمة أنا (متشائلة) ولكننى لا استطيع القيام بتحليل سياسى أو مجرد

الحلم، فالبعض يفسدون أحلامنا، فالثورة يتم تخريبها واختلط فيها الحابل بالنابل بالمطالب والاحتجاجات المعقدة التى تثقل أعتى الدول إذا تزامنت بهذا الشكل أما المنصات فقد تحولت لنصبات قهوة وشاى فيما يتعلق بالفن، فقد يتعرض لردة إذا تولى الإسلاميون لكن ما حدث للفن بأيدي أبنائه أشد وطأة من أى تعليلات أخرى، فالمسرح قلعة والقلاع لا تسقط إلا من الداخل وأنا الآن لا أتابع إلا مركز الإبداع وأعماله الناجحة، فالمسرح جزء من كل وسوف ينهض مرة أخرى حين تنهض مصر عظيمة شامخة مرة أخرى!.

□□□

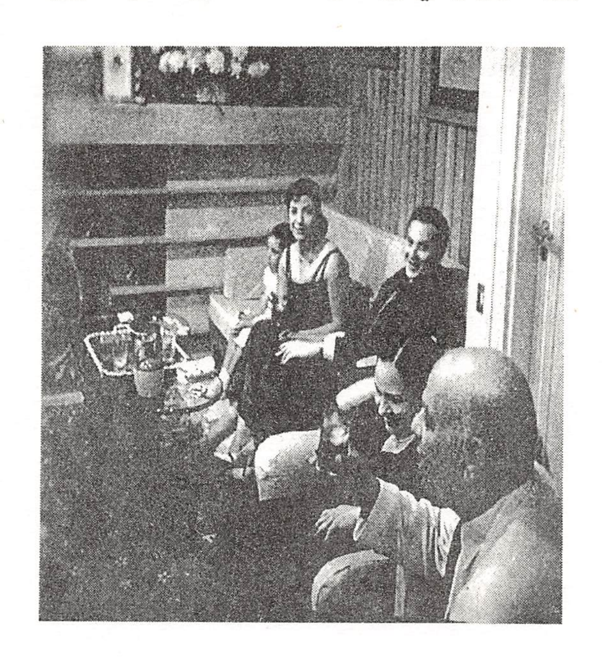


لقطة مشرفة من الفيلسوف الفرنسي الكبير «سارتر» يثني فيها على الأداء المتميزة لسميحة أيوب



سميحة أيوب

وفاتن حمامة ونعيمة وصفي

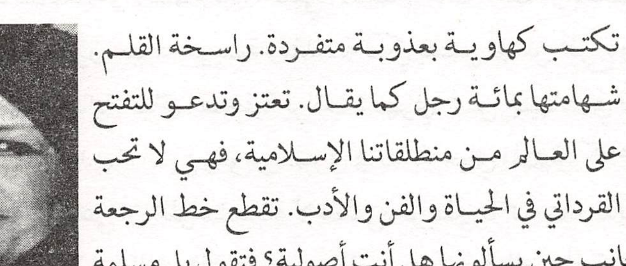


خطوبة محمود مرسي وسميحة أيوب

15- صافي ناز كاظم

أنا مسلمة لا مذهبية

ندمت لأنني لم أحاور في السجن هبة سليم بطلة فيلم الصعود إلى الهاوية



تكتب كهاوية بعذوبة متفردة. راسخة القلم. شهامتها بمائة رجل كما يقال. تعتز وتدعو للتفتح على العالم من منطلقاتنا الإسلامية، فهي لا تحب القرداتي في الحياة والفن والأدب. تقطع خط الرجعة على المراسلين الأجانب حين يسألونها هل أنت أصولية؟ فتقول بل مسلمة مثقفة تستمع للقرآن الكريم وتحب موسيقي باخ وتشاهد مسرح العبث وتتعاطف مع هاملت الذي يقسو ويقول الحق لكي يكون رحيما. آراؤها صادمة للمستقر والسائد، وسنقرأ في الحوار آراءها في عبد الحليم حافظ وتوفيق الحكيم، وآمال ماهر التي وصفتها بأنها ركيكة لأنها تقلد أم كلثوم ولا تحاول تفسير اللحن. آراء نسبية لماذا نستبعدها من وجهة نظرها. لذلك يا سعده يا هناه اللي تحبه صافي ناز كاظم، سيسمع قصائد الشهد المصفي، لكنها لن تحيد أيضا عن حقيقة قناعاتها.

بدأت العمل بالصحافة قبل تخرجك في الجامعة عام 1959 ليسانس آداب قسم صحافة فهل كانت الأجواء مهيئة لذلك أم أنها شرارة الموهبة المتفجرة بعناد منذ البداية؟

كلا السببين، فقد عملنا مع عمالقة الصحافة مصطفي وعلي أمين وكانا يشجعان المواهب مصطفي أمين كان بابه مفتوحًا والمناخ إنسانيا لأنه كان حريصا على كرامة الصحفي ووضع كل موهبة على مسارها الصحيح ثم يترك لها هامشا عريضا من حرية الكتابة والتعبير.

كنت طالبة تحت التمرين في أخبار اليوم ولم أتجاوز الحادية والعشرين حين أجريت حوارًا خاصًا بين الموسيقار محمد عبد الوهاب ود. مصطفى محمود حيث كانا يتناقشان حول كتاب مصطفى محمود «الله والإنسان» وأبدي عبد الوهاب إعجابه الشديد به وقال إنه كان يعتقد أن الفيلسوف لابد أن يكون بالضرورة رجلا كحكوحة تساقطت أسنانه بينما كان د. مصطفى محمود يحتضن العود ويغني أغنية عبد الوهاب «أنا هيمان» الذي اثني على صوت د. مصطفى وقال هناك طريقتان في الغناء طريقة عبد الوهاب وطريقة مصطفى محمود وحين سألت عبد الوهاب ماذا يعني الحب لك أجاب باختصار: انشغال البال وأضاف د. مصطفى إلى ذلك الاستعداد للتضحية والاهتمام فإذا اختفي الاهتمام. مات الحب. وابتسم عبد الوهاب قائلا: أنه يفضل أن تكون حبيبته مريضة ومفلسة لكي يضمن أنها لن تخرج وستحتاج إليه دائما. وعملت أيضا في بداية حياتي الصحفية براتب شهري خمس جنيهات في قسم المعلومات. ولا أنسي تشجيع أحمد بهاء الدين وموسي صبري في بداية حياتي المهنية. كلاهما كان يحتفي بوهج الموهبة ويحرصان على أن تظل مشتعلة لا تنطفئ. تربطني بأحمد بهاء الدين جسور متينة من الصداقة والاحترام والفهم المتبادل وهو حالة استثنائية في الصحافة العربية لم تتكرر من النزاهة والثقافة ويكفي إن الخلاف معه في الرأي لم يكن يعني أكثر من ذلك ولا يترتب عليه أية تبعات كما يفعل رؤساء التحرير عادة! وفي عام 1959 - 22 عامًا فقط - قررت السفر إلى دول البحر المتوسط بصحبة شقيقتي فاطمة التي كانت تعمل معي صحفية بمجلة الجيل وكانت تقوم بتصوير اللقاءات. وسافرت من بورسعيد وبدأنا الرحلة بطريقة «الاتوستوب» التي كانت حديثة العهد آنذاك فكنا نشير للسيارات المارة ونتنقل بهذه الوسيلة داخل كل بلد والعمل لكي ننفق على انفسنا ذاتيا وذهبنا إلى لبنان وعملت بالأرشيف بدار الصياد اللبنانية بعد مقابلة قصيرة مع الأستاذ سعيد فريحة الذي راعه مظهري حين شاهدني بالبنطلون والعتاد محمولا فوق ظهري شأن طلبة الكشافة فقال باللهجة اللبنانية: «شو بده يعمل مصطفى أمين فرقة كوماندوز! وفي لبنان التقيت بالأديبة أميلي نصر الله وذهبت بصحبتها للقاء الكاتب الكبير ميخائيل نعيمة واستضافتنا فيروز وزوجها عاصي الرحباني في بيتها البسيط آنذاك وكانت في أوج مجدها وأكلنا من يديها وكانت ابنتها طفلة رضيعة. وتوالت بعد ذلك الرسائل التي كنت أرسلها لمجلة الجيل والتي نشرها موسي صبري رئيس التحرير آنذاك تحت عنوان «أكبر مغامرة تقوم بها فتاة عربية عام 1959» وتنبأ أنني سأحتل مكانا مرموقًا في دنيا الصحافة

والفن وذهبت إلى اليونان وفرنسا وألمانيا وسويسرا وفي إيطاليا قابلت الأديب الشهير ألبرتو مورافيا صاحب رواية «فتاة روما» وأجريت معه حوارًا ولم يكن شخصية سلسلة تسترسل في الحديث والحكي فهو يشبه اسلوبه تماما لا يندهش ولا يستنكر أي سؤال وهذا هو سر أسلوب مورافيا فهو بسيط بطريقة معقدة.

قررت السفر للولايات المتحدة الأمريكية عام 1960 لدراسة المسرح بالرغم من أن عالم الصحافة آنذاك لم يكن يعبأ كثيرا بالتخصص فكيف ولدت هذه الرغبة الدراسية وما سبب هذه الاستقلالية المبكرة والاعتماد على الذات؟

أنا بحكم طبيعتي ونشأتي وتكويني محبة للفن والأدب فوالدي محمد كاظم أصفهاني كان خبيرا بالخطوط وفنانًا في آن واشترك مع خبراء خطوط آخرين في قضية المنشورات التي عرفت عام 1920 بالقضية الكبري وكان متهما فيها حزب الوفد.

لقب العائلة يشير إلى أصول إيرانية؟

نعم جدي جاء إلى مصر في معية جمال الدين الأفغاني ووالدي حصل على الجنسية المصرية عام 1910 لكننا لم نتعلم كلمة واحدة فارسية نشأنا على مشاعر الأخوة الإسلامية التي تربطنا بالآخرين منذ الصغر أدين بالفضل لخالي الأديب محمد فريد أبو حديد وكان متحمسا للنهضة الأدبية من منطلقاتها العربية ورثت عنه هذا الاتجاه أما سؤالك عن الاستقلالية فهو مرتبط بتكوين الشخصية وأنا في الرابعة عشرة من عمري كنت اكتب تعليقا على الأحوال السياسية وردود الأفعال المسبقة فالاستقبال الثقافي لدي بدأ مبكرًا بالإضافة إلى شعوري باليتم وأهمية الاعتماد على الذات فوالدي توفي وأنا لم أتجاوز السابعة من العمر. كنت أصغر أخواتي ووالدتي كانت سيدة حنونة لكنها حازمة للغاية قررت أن نستكمل جميعا تعليمنا العالي قبل السماح لنا بالزواج وكان سبب السفر الابتعاد عن مصر وأجواء العمل التي تبدلت والرغبة الصادقة في الدراسة والاستزادة بصورة علمية أكاديمية جادة فالنقد في مصر كان انطباعيا لا يخضع لمعايير محددة أو أكاديميا جافا منفصلا عن الجمهور في مصطلحات محددة والأهم من كل ذلك أنني كنت ولم أزل انظر للدنيا كأنها مسرح كبير كما قال يوسف وهبي وأتعامل معها واستعين على فهم الأحداث بأدوات النقد والتحليل فنشرات الأخبار مسرحية مستمرة المهم

قررت السفر واستلفت ثمن التذكرة من الزملاء وقمت برد هذا الدين بالطبع في أول فرصة لأنني كنت أعمل وأدرس والتحقت بجامعة كانساس وحصلت على دبلوم الدراسات العليا ثم حصلت بعد ذلك على الماجستير في النقد المسرحي من جامعة نيويورك وعدت إلى مصر عام 1966 وكنت أعد أول ناقدة مسرحية في مصر على أسس أكاديمية لأن النقاد الأكاديميين كانت دراستهم أدبية وليست مسرحية!

تحبين هذا المقطع من أغنية أم كلثوم وترددينه دائما على حد علمي «آواه ياليل طال بي سأمي وسألتني النجوم عن شغبي» ألم يحدث شغب نبيل أو غضبة أثناء سنوات دراستك بأمريكا؟

تبتسم ابتسامة جميلة صادقة وتقول كلمة الشغب على سبيل الممازحة تعني الحراك والإيجابية حتى ولو كانت مجرد خواطر حدث بالطبع حراك بهذا المعنى فأنا لا أتقبل أية سلبيات أو إهدارا للحقوق وأقف بالمرصاد أمام الخطأ أو الظلم والمرة الأولى التي عبرت فيها عن غضبي كانت موجهة لأستاذي الأمريكي (مالوني) لأنه تطاول على جامعة القاهرة بعبارات هجومية لم احتملها كقوله أننا نفتقد الروح الوطنية وقمت بالرد عليه في جريدة الجامعة وكنت أعمل آنذاك في معسكر كشافة لكي أدخر مبلغًا ماليًا خاصًا بي انفق منه على سعة إلى حد ما لأنني حصلت على منحة واجتزت السنة الدراسية الأولى بنجاح، ولكن بعد خلافي مع الأستاذ الأمريكي تم إيقاف مصروفات المنحة وقمت بدفعها من المبلغ الذي ادخرته وكان الدرس قاسيا لكنني تعلمت منه أن الديمقراطية كلمة مزعومة وعرفت الوجه الحقيقي العنصري لأمريكا. كانت فترة الستينيات في أمريكا تعج بالمشاكل والقضايا الدولية وعلى رأسها حرب فيتنام التي هاجمها العديد من الشعب الأمريكي ويوم التخرج وأنا أرتدي الزي الرسمي للتخرج انضممت للطلبة المعارضين الذين وقفوا وقفة احتجاجية ضد الحرب في جامعة نيويورك.

لماذا يصفك البعض بالنرجسية؟

تبتسم وترد على الفور: المفكر طارق البشري - ابن خال والدتي - له تعبير لطيف عن الإنسان المغرور «واحد مستطعم روحه!» لكني اعتدت ألا أتساند على أحد وأستمد دائما

من شعلة الحماس والتشجيع بداخلي وهجا يضئ أيامي فأنا أحاكم وأقيم نفسي جيدا وأشطب وأراجع ولا أحب الشفقة على النفس أو الكتابة بنصف قلم أو كتابة الرقص البلدي كما اسميها. وكان يجمعني برسام الكاريكاتير الشهير بهجت عثمان بعض الطرائف كأن نقول نحن لسنا نرجسيين ولكننا نحب أن نشجع الأصوات الشريفة! وكاتبتي المفضلة صافي ناز كاظم دون أدني خوف من الاتهام بالنرجسية!.

بهذه الخلفية الأكاديمية الأمريكية والاجتماعية ما الذي جمع بينك وبين الشاعر أحمد فؤاد نجم وهل حقا أنك اتخذت قرار الزواج في نصف ساعة؟

كنت قد انتقلت من دار أخبار اليوم مع أحمد بهاء الدين إلى دار الهلال كاتبة وناقدة بمجلة المصور وفي أغسطس 1971 تولي يوسف السباعي رئاسة مجلس الإدارة وبمجرد أن انتهي من رشف أول فنجان قهوه له بالدار أرسل يستدعيني ويتوعدني قائلا: «مناخيرك ديه حعرف ازاي اجيبها الأرض وهعرفك ازاي تبطلي عجرفة قلت له ما هي سلطاتك هل أنت وزير؟ أجاب أنا بدل بهاء الدين ولكني مثل المحافظ يطلب منه رصف شارع أو إصلاح طريق وتنفيذ التعليمات وتركت مكتبه وتم إيقافي عن العمل في أغسطس 1971 وكنت اعتبر مثل هذه التصرفات التي صدرت منه بالإجراءات الاحترازية فمن المؤسف حقا أن 90 % من المشاكل التي تعرضت لها كانت من الزملاء و10 % المتبقية كانت مع السلطة بايعاز من الزملاء أيضا لانهم مصدر المعلومات. في عام 1972 كنت مدعوة في منزل أحمد بهاء الدين وزوجته الصديقة العزيزة «ديزي» لسماع شرائط نجم والشيخ إمام عيسي المغني والملحن الضرير وانبهرت بالذي سمعته لأنه كان شيئا جديدًا لامعا يمتاز بالأصالة والعمق والقيمة وعبقرية الصياغة والجرأة فاستمعنا لكل الأشياء الموجعة مثل «الحمد لله خبطنا تحت بطاطتنا محلاها راجعة ضباطنا من خط النار. كفاية اسيادنا البعدا عايشين سعدا بفضل ناس تملا المعدة وتقول أشعار تمجد وتماين حتي الخاين وان شاء الله يخربها مداين عبدالجبار» وسجن الثنائي على أثرها عام 1968 كانا يعبران بصدق وبخفة ظل وهي معادلا لكلمة (شيق) ولا تنفصل عن أي عمل جاد فهي لا تعني النكتة وكان الشيخ إمام وهو أول موسيقي وملحن يدخل السجن في الستينات والسبعينيات بسبب (موسيقي الرأى) كانا ثنائيا رائعا وشعرت بأنني أرغب في سماعهم فصحبني صديقي الكاتب المسرحي المعذب صاحب المواهب المتعددة نجيب سرور

لحضـور نـدوة لهما في (الاتيليه) في عـام 1972وفوجئنا بدكتور غالي شـكري يخبرنا في أسي أن المباحث ألغت الندوة فصحبني نجيب سرور للغورية في شارع حوش أدم حيث يقيمان. كان نجم في صورة بسـيطة وشـعبية يرتدي بنطلون بيجامة وشبشـب زنوبة اضافره طويلة أرضية الغرفة متسـخة تذوب شـوقا لمسـاحيق الغسـيل والفنيك. الفرش يحتاج للتنجيد وشعرت أنني أمام ماسـتين ملقتين على الرصيف يجب الاعتناء بهما وقبل مقابلتي لنجم مباشرة كنت أقرأ عن عبداللـه النديم والعاطفة تملؤني وكنت أحدث ذاتي ليتني كنـت في عهده افديه بحياتي والأمر كذلـك بالنسـبة لمصطفي كامـل الذي ورثت حبه عـن والدتي وكان أهم ما اسـتوقفني في تلك الليلـة التاريخيـة أن نجم لا يشـعر بأهميته بل إنه غير واع تماما بمكانتـه التي تضعه في مصاف كبار الشـعراء والمبدعين وخرج نجم بعد انتهاء الندوة ليوصلني لأول الشارع باغتني قائلا: ما تتجوزيني؟! وشـعرت بالورطة وأنني طمعته بالزواج مني فقلت له: أنا لا أتزوج شيوعيا وبدا يلـح بالتليفونـات وأعاتب نفسي على موقفي وأقول أين تضحيتك يـا صافي ناز لذلك أقول أنني تزوجت نجم بتقييم نقدي وبالقسمة والنصيب.

ألم يكن بينكما حب؟

كان حبـي لنجـم أعلى من مجـرد حب امرأة لرجـل كان حبي له مسـتمدا من حبي لمصر واعترضت والدتي بالطبع ووصل الاسـتفزاز مداه معي حين قالت هذه العبارة: ايه ده؟ فتأجج العناد بداخلي لأنني كنت على يقين أن نجم أعطي مصر الكثير بلا مقابل وسـجن فلا يصح أن يهان وتزوجنا يوم 24 أغسـطس 1972في منزلنا بالعباسـية بغرفة مكتبـي وظلت والدتي تقاوم وتحـاول مع المـأذون أن تثنيه عن اتمـام عقد القران، وكان سـعد الموجي والد الأديبة (سـحر الموجي) أحد الشهود.

هل كان هناك حفل زفاف؟

نجـم كان متزوجـا ولديـه ابنـة تضحك بمرح شـديد: فوجئت يـوم الزفاف أنه أتشـيك واتوضب وليته ما فعل لأنه أرتدي بنطلونا وقميصا عنابي اللون وكانت والدتي حين تنعي حظي خاصة بعد إيقافي عن العمل وسجني تقول هذه العبارة الأثرة لديها: بنتي حجت ومعها ماجستير وبتحب مصر! فقد ذهبت معها لأداء فريضة الحج عام 1972وقمت بتغطية شـعري بايشارب

منذ ذلك الحين.. وكنت اجتهد في ملابسي لأنه لم يكن هناك نسقا اتبعه فأنا أول صحفية في مصر ترتدي البنطلون وحين دخلت المعتقل عام 1973 كانوا يقولون كيف تكونين شيوعية وتغطين شعرك وتصلين! ولا يفوتني أن اذكر كيف هاجمني الكاتب الصحفي سعد هجرس حين تزوجت نجم قائلا: ألا يكفيكم جلوسكم في شبرد وهيلتون فتأتون لكي تأخذوا شعراء الشعب كيف يتركك نجم يا إمام ولم يدافع عني نجم وقلت كأنه يعتذر عني فهل نجم متزوج من صباح مثلا؟

تجربة السجن والاعتقال وسفرك إلى العراق كيف أثرت في مسار حياتك؟

توقفت عن العمل من دار الهلال عام 1971 وسجن نجم و إمام في ديسمبر 1972 كانت هناك صيحة مزعومة للديمقراطية والمزيد من الديمقراطية وصدقناها فتم اعتقال بعض الشعراء وانضممت في أوائل 1973 للطلبة المعتصمين بجامعة عين شمس واقتحم وزير الداخلية الأسبق أحمد رشدي ـ ولم يكن وزيرًا بعد ـ الاعتصام وتم ترحيلي إلى سجن القناطر وقضيت شهور الحمل بأكملها داخل السجن وأنجبت ابنتي «نوارة الانتصار» التي اخترت لها هذا الاسم لأنها ولدت يوم 8 أكتوبر 1973 وفي عام 1979 قررت السيدة أمينة السعيد ـ أول سيدة تتولى منصب مجلس إدارة دار الهلال ـ فصلي وكانت مأساة بالفعل وكنت أقول كأنك فصلتي نفسك وفي عام 1975 تم إلقاء القبض عليّ أنا ونجم وطفلتي نوارة في عام المرأة العالمي وجاءت والدتي وأخذت نوارة التي روعتها تلك المشاهد الباطشة فالسجن إهانة بالغة للإنسان وكنت دائما أقول لوالدتي أثناء زيارتها لي أنني أرقد على سرير سيدنا يوسف أي سرير الظلم ولكن سجن القناطر كان أفضل من سجن القلعة فكنا نشاهد السماء من الشباك كان معنا بالسجن «هبة سليم» الجاسوسة الشهيرة صاحبة فيلم «الصعود إلى الهاوية» كانت كل السجانات في خدمتها ولديها يقين أنها سوف تخرج بحكم البراءة والغريب أنها كانت تصوم وتصلي ولم أحاول أبدًا محادثتها وندمت بعد ذلك كثيرا بحسي الصحفي.. كان يجب أن أتحاور معها ولكنها طبيعتي فأنا أملك مقدرة هائلة على المقاطعة والخصام وبعد حبسي عام 1975 قررت السفر إلى العراق بصحبة أبنتي لكي أتمكن من تربيتها بعيدا عن تلك المنغصات وتزوجت عراقيا وكنت أدرس مادة النقد المسرحي بجامعة المستنصرية ذهبت في عهد القائد أحمد حسن البكر ولم يكن صدام حسين رئيسا بعد ـ وبمجرد توليه تركت البلاد واذكر أثناء قيامي بمراجعة

أسـماء الطلاب في المحاضرات أنني كنـت أفاجئ بغياب طالب وراء الآخـر على أيام متفاوتة فترد إحدى الطالبات نال شرف الشهادة يا أستاذة! أي تم اعتقاله واغتياله وبالرغم من مهاجمتي للسـادات وعبد الناصر وحزني الشديد على إعدام سيد قطب ورفضي لاتفاقيات كامب ديفيد إلا أنـني رددت على كاتب عربي هاجم مصر وقلت له إن عبد الناصر والسـادات لم يجرؤ على ترحيـل 16 ألـف مواطن مـصري وإلقائهم خارج الحدود لأنهما ليسـوا مـن أصل غير مصري كما فعل صدام حسـين مع العراقيين الذين كانـوا يحملون هوية عراقية من أصل إيراني وكان شائعا هناك وضع السم في اللبن الرايب وإعطائه للقتيل وإرساله مرة أخرى إلى أهله لكي يموت بينهم وحين عدت عام 1980 إلى مصر لم يمر عام حتي تم اعتقالي في سبتمبر 1981مع د. لطيفة الزيـات وعواطف عبد الرحمن وأمينة رشـيد وحضر التحقيق معي الكاتب الصحفي أسـامة سرايـا آنذاك بصفته عضو نقابة الصحفيـين وطلبت من الضابط أن أحدث ابنتي تليفونيا وألح عليـه سرايا في هذا الطلب وكانت له دالة عليهم لأن شـقيقه كان رئيسـا للنيابات وفي المعتقل عذبتنا فريدة النقاش ونوال السـعداوي بما فيه الكفاية أكثر من السجانين بآرائهم التي كانت تهاجـم العقيـدة! وأضيق أيضا بمن يهاجم مصر ولا أنسي كيف كانت الفتيات المسـجونات في قضايا الدعارة يرددن أمامي أكثر من مرة: حين يقول لنا شخص عربي المرأة المصرية (..) نقول له أخرس أحنا ساقطات، لكن المصرية تتوضأ بتراب رجليها!

هل تركزين حقا على ارتداء الزي الإسلامي للمرأة دون اكتراث بالمضمون؟

هذه مقولة حق يراد بها باطل لأن الدين الإسلامي يربي كادرًا متكاملًا من الصوم والصلاة والصبر على الطاعة والالتزام لكي يصبح الإنسان جديرًا بتعمير الأرض كما أراد الله له فالمنطلقات الإسـلامية تربي شـخصية قوية وامرأة لها أرادة تتوازن مع زمانها ومجتمعها لا تتحول لمسخ تقلد الأوربية أو الأمريكية فليكن الإنسـان نفسـه وأنا ضد اسـتخدام كلـمات اصطلاحية لا نفهم معناها ويختلف مفهومها من شـخص لآخر مثل الإسلام السياسي الذي يعني أنه هناك إسلام غير سياسي أما كلمة متأسلم فأنا أعتبرها قلة أدب يوجد فقط دين إسلامي وإنسان مسلم.

تعشقين القطط كما رأيتك وتمتلكين قطة فارسية جميلة فماذا تعلمتي منها؟

تعلمت الثقة والاعتزاز بالنفس وعدم الحساسية الزائد فالقطة حين تريد شيئا تجلس فوق الكتاب بكبرياء وكأنها تسدي صنيعا لصاحبها.

وماذا تعلمت من العقاد؟

كنت أحضر ندوته وأنا طالبة بالجامعة واستمع وأشاهد ولا أتحدث، كان شخصا جليلا عالمًا فاضلًا ينزل الناس منازلهم ابن نكتة، سافرت معه إلى أسوان وأكرمني وأجلسني على مقربة منه وأنا لم أتجاوز الثانية والعشرين، في إحدى المرات سألته هل أنت مؤمن يا أستاذ؟ فأجاب على الفور باعتداد بالغ: يا ويل الإسلام لو كان العقاد ملحدًا (استغفر الله العظيم)! كناية عن تمكنه وبراعته وقوة حجته التي ظهرت في كتبه الإسلامية.

هل كانت هناك قصة حب مكتملة أضاءت هذا النص المعتم في سنوات التوقف عن الكتابة لمدة 12 عامًا تقريبا والسجن؟

استطيع أن استخلص من الظلام وميضا هاديا ومن الكآبة الضحك فأنا لا أحب أن أحكي خصوصيات ليقال عني أنني متوافقة مع المجتمع فلن يرضي عني أحد مثل حكاية حجا وابنه، وشعاري دائما أفعل ما أريد ولتضج قريش ضجيجها، كما كان يقول الرسول عليه الصلاة والسلام.

□□□

16- وجدي الحكيم

فنانون مصر يخرجون بتأشيرة من الآداب!

لماذا أبلغ عبد الحليم حافظ رؤساء التحرير بموعد لقائه بصلاح نصر



ما الذي يملكه الإنسان حيال هذه الكوكبة اللامعة من نجوم الغناء الموسيقي.. فكل اسم يكفي وحده ليكون مملكة مستقلة من النغم والعواطف والإخلاص والإبداع.. مملكة تغني عن مجالسة السلطان.. أساتذة وحواريون.. فلا الثراء يجذبهم، ولا مفاتن الحياة تغريهم بنقض العهد الذي يربطهم بفنهم وإبداعهم فذلك هو فردوسهم المنشود. لم تبحث أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم والموجي وبليغ حمدي والطويل والأبنودي وكامل ومأمون الشناوي ومرسي جميل عزيز وحسين السيد عن المال وغيرهم عشرات.. ولكنهم تركوا ذلك لأزمنة لاحقة.. أزمنة الضيق بالكلمة المعبرة والصوت الشجي كانوا يدركون قيمة موهبتهم تلك المنحة الربانية التي تتجلي في أروع صورها في الموسيقي والغناء حيث تطمح كل الفنون أن تصل لمنزلتها الرفيعة لأنها تقتحم الوجدان دون وسيط لذلك توصف دائما بأنها ساحرة يصعب الفكاك من أسرها فالرائد الإذاعي الكبير وجدي الحكيم يحمل في جعبته وذاكرته الفوتوغرافية تاريخ يمتد لأكثر من خمسة وخمسين عاما.. حيث استطاع من خلال حواراته الإذاعية مع قمم الغناء والشعراء والكتاب المشاركة في تكوين تراثنا الإذاعي. حوارات هي أشبه بالقطع الفنية تزخر بالأسرار وتحفل بالتفاصيل. والامتياز في الفن لا يتحقق إلا من خلال التفاصيل، استطاع وجدي الحكيم أن يحطم الحواجز بينه وبين هذه الأعلام الغنائية فتغلغل في حياتهم وصحبهم في أسفارهم يرصد تعسفهم الفني لاختيار جملة بليغة. يقينا منه وهو فنان إذاعي كبير انه لا متعة تعادل المتعة التي تنبثق من الفن.. لأن الفن قبس من النور.

عشـت وسط عمالقة الموسـيقي والغناء تنهل من ينابيع إنسـانيتهم قبل مواهبهم «كيف اسـتطعت أن تكتسـب ثقتهم وصداقاتهم وتمتاز علـى أقرانك.. هل لديك تعليل لذلك؟

بداية أحمد الله أنني عشـت في هذا الزمان الجميل وسـط هذه الباقة من الكبار: أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وأحمد وبيرم التونسي والقصبجي وكامل الشناوي ومحمد فوزي ووردة ونجاة واعتبر نفسي محظوظًا لأن الزمن أعتصر سنوات عديدة لكي يجود علينا بهذه القامات العالية التي عشنا في ظلالها الوارفة ومازلنا نقتات ونعيش على إبداعاتها فهي زادنا الذي يـثري وجداننا، ويقيني أننا نعيش الآن في (همدة) الزمان انتهي زمن العمالقة وسـتمر سـنوات عديدة قبل أن تنجب مصر عقدًا آخر شـبيهًا بتلك اللآلئ الماسـية. فيما يتعلق ببداياتي فكانت عادية إلى حد ما و إن اتسمت بالقلق على المستوي الدراسي فالتحقت في البداية بالحربية نزولًا عـلى رغبة والـدتي ولم احتملها فحولت أوراقي إلى كلية الشرطة وحـدث أن اضطهدتني ذبابة في طابـور الصباح وكان ممنوعًا أن أتحرك أو أقوم بهشـها فكنـت أحرك وجهي لكي تطير فغرق الطـلاب في الضحك وتكـرر الموقف ويئس مني «ضابـط عظيم الكلية» آنـذاك وكان الفنان الكبير صلاح ذو الفقار فأطلق الكلاب ورائي، وكما يقول المثل الخوف يعلم الجري فقد قفزت مـن خارج الأسـوار بلا عودة والتحقت بكليـة الحقوق ولم أطق صبرًا عـلى موادها ولم أجد نفسي وأخيرًا استقرت خطاي في كلية الآداب قسم اجتماع وكنت لا أغادر بوفية الآداب حيث كان يتجمع معظم الفنانين الصاعدين آنذاك مثل: فؤاد المهندس وبليغ حمدي ويوسـف عوف وسـمير خفاجي وعبد المنعم مدبولي وأبو لمعة وكان معظم طلاب الجامعة ينضمون إلينا وسمع الإذاعـي القديـر أحمد طاهر عن هـذا التجمع الفني فجـاء لمقابلتنا واكتشـف موهبة كل منا وحاول توظيفها وسـألني ما هوايتك الفنية بالتحديد؟ أجبت أنني أشعر بالسعادة وأنا أصاحب المجموعة كلها واسـتمع إلى حواراتهم ومناقشـتهم وأفضل أن يتم ذلك في مناخ مرح ثم طلب مـني أن أقابلـه في اليوم التالي بمبني الإذاعة القديم بشـارع الشريفين كنا في عام 1954 ولم أزل طالبا لذلك كان وقع الحدث مؤثرا في نفسي لأنني شـعرت أنني اقتحم العالم الذي طالما حلمت بـه وفي إذاعة صـوت العرب كلفني المذيع الكبير أحمد سـعيد بعد مـرور أربعة أيام بحضور تسجيل أغنيتين لمحمد عبد الوهاب وكان الشاعر عبد المنعم السباعي هو أركان حرب الإذاعة

المنوط به إعطاء تصريحات فأعطاني تصريح موتوسيكل برفقة السائق وكان العمل الإذاعي آنذاك يضع قابلية المذيع الجديد للأعمال المتواضعة والثقيلة على المحك فإذا قبلها وتعامل معها فمن المؤكد أنه سيكون إذاعيا ناجحا. وكان ما كان من استياء محمد عبد الوهاب لتأخري لمدة ساعتين عن الميعاد لكنه منحني هذا الاسم الإذاعي الشهير (وجدي الحكيم) بعد اختصاره ونصحني بالابتعاد عن العلل والأعذار في الفن فالجمهور ملك متوج ذو سلطان لا يرحم ولن يبحث أبدا عن مبرر عدم الإجادة واستوعبت الدرس واستقر في أعماقي وهكذا كانت البداية قوية مثل مقدمات عبد الوهاب الموسيقية.

اقتربت من الرائد الموسيقي الكبير محمد حسن الشجاعي وأحمد سعيد فماذا تعلمت منهما في بداية مشوارك؟

حسن الشجاعي كان قيمة وقامة مسئولا عن الغناء بالإذاعة و يقف ببابه فطاحل الغناء وأولهم محمد عبد الوهاب وكان من حسن حظي أنه يبادلني المودة و يعتبرني مثل ابنه فلم تكن له أسرة ولا أبناء وكان يسكن في شارع حسن الأكبر بالعتبة و يترك مفتاح شقته لدي الجيران حتى إذا وافته المنية يقومون بأداء الطقوس وعمل اللازم، تعلمت منه كيفية التعامل مع المطربين والملحنين وكبار الشعراء وهمس في أذني بأن الفن يمنح صاحبه الامتياز والمكانة بمقدار محبته وعطائه له وعلمني كيفية قراءة النص الغنائي وتحديد الملحن المناسب له وكان يقول إن النص ينادي على ملحنه أما أحمد سعيد الإذاعي القدير فكان رئيسا لصوت العرب ومنذ البداية حاولت ألا أقلد أحدًا وان تكون لي بصمتي الخاصة وكنت أقوم بإعداد برنامج بعنوان «يوم القيامة» حيث اجمع المنجمون أن القيامة ستقوم أول يوم رمضان الساعة السابعة والنصف مساء نتيجة لاصطدام كوكبي جوبيتر والمريخ وكان ذلك عام 1962 وقمنا بعمل التنويهات استغلالا لهذا التصريح واعتقدنا أنه في حالة كذبه أو صدقه سنحقق دويا إذاعيا وهو ما حدث بالفعل حيث انقلبت مصر كلها وحاصرت سيارات البوليس مبني الإذاعة بعد التنويهات لمنع إذاعته وحققت معي أكثر من عشر جهات ووصل الأمر إلى الرئيس عبد الناصر الذي طلب أن تذهب إليه وحدة الإذاعة بمجلس الوزراء لكي يستمع بنفسه إلى الشرائط لأن العبارات التحذيرية التي أطلقناها بالرغم من أنها كوميدية مثل قولنا صرحت وكالة بيجو للأخبار إشارة للخواجة بيجو الشهير إلا أن بعض العبارات التي تتعلق بالإسكندرية أصابت الناس بالذعر

وهجـر معظم الفلاحـين الأرض وعادوا إلى منازلهـم وطلبوا منا الذهـاب إلى الفلاحين وشرح الحقيقة وأنها حيلة لكنهم قذفونا بالطوب واستمع عبد الناصر للشريط ومثلت أمامه أنا وأحمد سعيد وحين انتهي من السمع ابتسم وقال كلمة «مثير» التي اتصف بها البرنامج أمرًا مطلوبا في الفن كما تفعل الأفلام الأمريكية، لكنه أبدي دهشـته إزاء السذاجة التي تصل إلى حد الجهل لـدي أغلبية الجمهور وطالب أحمد سـعيد بضرورة مراجعة رسـالتنا الإعلامية فلابد أن هناك خطأ ما يكتنفها فلو كان الشـعب محصنا ما انطلت عليه هذه الحيل الإذاعية لكنه حذرني من تكرارهـا مرة أخرى وكان ما حدث رب ضارة نافعة بالفعل لأن هذه الواقعة سـاهمت بنسـبة كبيرة في انتشار اسمي.

استوقفني أسلوبك العذب في الحكي والحوار وذاكرتك التي تختزن التفاصيل فكيف ننمي هذه الخبرات لدي المذيعين الجدد؟

اعتـاد والدي حـين كنا نخطئ أنا وأخـواتي ألا يقوم بالصفح عنـا إلا بعد حفظ جزء من «الشوقيات» لأحمد شوقي فنشأت ونمت مداركي وأنا مسلح بحصيلة لغوية كثيرا ما أسعفتني في حواراتي مع أم كلثوم وعبد الحليم وعبد الوهاب وأنيس منصور وعشرات القمم إضافة إلى أنني متلـق جيد لكل الآراء لذلك اسـتطعت أن أكون من صحبة هؤلاء ثقافة سـمعية أتفاعل معها وأعيـد صياغتها وقد تـربي جيلنا بأكمله على الاختبارات الصوتيـة والثقافية افتقدنا ذلك الآن لأنـه لا توجد صالونـات أدبية أو فنية ويوجد نميمة فقط فالكل يعتمد على المعلومة الجافة من الكمبيوتـر وأصبحنا في زمن (اللا مذيع) فالصحفي والمهنـدس والمصور والطباخ الكل مذيع حتي أصبحت مهنة من لا مهنة له لذلك لم يصبح غريبا أن ينتقل أسـلوب الحوار من الشـارع إلى الشاشـات والميكروفونات مباشرة. كنا نعمل جميعا بروح الهواية قمة السـعادة والمجد أن يحصل أحد منا على تسـجيل نادر ولم يترك كل هؤلاء العباقرة أموالا طائلة ولكنهم تركوا فنا، ولكـن طالما المادة تأتي في المقدمة فالفن في مهب الريح بلا رصيد فلدينا الآن (1000 أغنية) بلا غناء أو طرب كانت هناك تضحيات ومتسع للمواهب وصدر رحب لاستقبالها.

كيف بدأت صلتك بأم كلثوم واستطعت إقناعها بتسجيل مشوار حياتها بصوتها وهو التسجيل الوحيد لها؟

لعبت المصادفة دورًا مهما في اللقاء الأول فأنا بدأت في الإذاعة مندوبا انتقل بين لجنة النصوص والتي كانت أم كلثوم بالرغم من عظمتها واقتدارها في اختيار الكلمة حريصة على عرض أغانيها عليها للائتناس برأيها خاصة أنها كانت تضم فرسان الكلمة وفي أحدي حفلاتها في حديقة الأزبكية والتي كان يشرف عليها عبد العزيز الهجان ويقوم بإعداد تفاصيل عديدة وطقوس خاصة بها فطلبت منه أن تراني فجاءني مهرولا متسائلا ماذا فعلت الست تريد مقابلتك؟ فذهبت إليها فسألتني عن الحلقة الأخيرة من برنامج نور على نور فابتسمت لأنني أدركت إنها تعتقد أنني الزميل العزيز «أحمد فراج» وكان بيننا شبه كبير في سنوات الشباب بالفعل وشعر الأستاذ الشجاعي أنها تستريح لشخصي فكان يرسلني إليها لمتابعة النصوص والأعداد لتسجيل الأغاني كانت الإذاعة آنذاك تقوم بإنتاج الأغاني لكل هؤلاء الكبار وتوطدت العلاقة تدريجيا وحاولت إقناعها على مدى (18 عامًا) وكانت ترفض لأنها لا تقبل أن يكون حديثها الإذاعي أقل من مستوي غنائها وهي لم تتمرس في هذا المجال وأمام الإلحاح وافقت لكننا لم نبدأ التسجيل إلا في حضور كل أفراد أسرتها وفي مقدمتهم محمد الدسوقي ابن شقيقتها وسجلت معها (11 ساعة) أذيع منها سبع ساعات في إذاعة صوت العرب عام 1973 واستعنت بكبار الكتاب للتعليق على الحلقات مثل مصطفي أمين وفكري أباظة وكمال الملاخ والشيخ الباقوري وأعجبتها الفكرة كثيرا وفي البداية طلبت أن أترك لها الشرائط الأولى لكي تستمع إليها ومر أكثر من عشرة أيام فقدت فيها الأمل حتى قابلني المصور الشهير فاروق إبراهيم واخبرني أن الست تبحث عني وعاتبتني أنني لم أذهب إليها فقلت لها أنني توقعت أنها ستتصل بي تليفونيا فقالت هل يستطيع أحد أن يتكلم في التليفون وكانت التليفونات في مصر آنذاك في حالة سيئة وبلا حرارة معظم الوقت.

هل حقا كانت بخيلة كما قيل وهل لمست ذلك بنفسك؟

أطلاقا فالبخل شائعة روجها أصحابها وهم على التوالي أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وتوفيق الحكيم ومرجع ذلك أن بعض الصحفيين أو قلة قليلة منهم كانت تلجأ لهؤلاء الكبار والتماسا لمقدرتهم المادية في سداد كمبيالة أو بعض الديون أو تكاليف زواج الأبناء وكانت أم كلثوم تتندر وتقول لي هل من المفترض أن أمنح أموالي لكل من يقول صباح الخير يا ست؟ وفيما بعد سافرنا إلى بلدتها طماي الزهايرة بناء على رغبتي وشاهدت بعيني كيف ترعي أبناء

بلدتها بكل الوفاء والحب تحرص على توفير كل طلباتهم كما لو كانت (الحكومة) وكانت كذلك بالنسبة لهم وأدهشني أنها تعرف أسماءهم وتسأل عن ابن فلان الذي تزوج وفلانة التي أنجبت وأبو فلان وأفاضت في حديثها معي بكل صراحة كيف أنها احترفت الغناء في البداية نتيجة لفقرهم فوالدها أدركه الكبر وظهر شباب (صبيتة) في عالم الغناء بلغة هذا الزمان ولم يعد قادرا على المنافسة فتعلم أخوها خالد الغناء وكانت تمتلك موهبة في حفظ التواشيح فقد بدأت الغناء بدافع لقمة العيش ثم عشقت الفن حين أعطاها كل شيء المكانة والرفعة والمال فاشترت أول سيارة واستقدمت لها سائق حنطور من قريتها فكان لا يستعمل الكلاكس ويخرج رأسه قائلا أوعي يا بنت وسع الطريق وكشفت عن موهبتها في تقليد السائق ولم تخجل وهي تروي كيف أنها حين ركبت القطار أول مرة أنها صرخت وتشبثت بمقعدها في الدرجة الثالثة لأنها كانت تعتقد أن الأشجار والبيوت هي التي تجري وكان والدها يرشي الكمسري لكي ينقلهم من الدرجة الثالثة إلى الثانية لكي يظهروا بمظهر أفضل حين يستقبلهم من يدعونهم لحفلاتهم في الأرياف. وكشفت عن معاناتها ووعورة مشوارها وتعرضها للضرب في خناقة في أحد القرى وكيف أنها دعيت وهي شابة صغيرة لمنزل عائلة يكن باشا لكنه حين رآها قال ما هذه الفلاحة وطلب منها النزول مع والدها إلى المطبخ لتناول العشاء ولم تغن ولكن زوجة الباشا منحتها 15 جنيهًا لكنها سرقت منها في طريق عودتها وكانت سيدة أصيلة لها طقوسها التي لم تتبدل فكانت محافظة للغاية لا تستقبل رجلا غريبًا بمفردها أبدا ولا تختلط بالوسط الفني ولا تأكل خارج منزلها فقد اعتادت على الساندوتشات التي كانت تصنعها لها والدتها عشرات الحكايات والتفاصيل التي صنعت هذه المطربة العظيمة.

ما هو السر الذي أفصحت عنه أو ذكرياتها التي أدهشتك؟

خوفها من الجمهور حتى الرمق الأخير من حياتها فأفصحت عن سر المنديل الذي تمسكه في يدها وكان الكل يعتقد أنه من متطلبات الأناقة التي ابتدعتها ولكنها كشفت المستور وقالت أنها تشعر بالقلق والخوف وببرودة في أطرافها وتستدفئ بهذا المنديل بل أن الكرسي الذي كانت تجلس عليه حتى انتهاء المقدمة الموسيقية كما ذكرت في أحاديثها كان لتجنب مشيها أمام الجمهور فهي لا تقوي على ذلك فكان الستار ينفرج عنها فتحيي الجمهور وتجلس

على المقعد لكي تتأمل الوجـوه وتألفها ثم تهدأ وتنسي كل ذلك عندمـا تندمج في الغناء وكانت تتفرغ تماما قبل أي حفلة بأسبوع لتكون بكامل لياقتها.

الملحن الكبير بليغ حمدي كان من أقرب أصدقائك فكيف استطاع مشاركة الكبار والتلحين لأم كلثوم وهو لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره؟

بليـغ حمدي صديق عمري شـخصية لا تتكرر يفيض بالحسـنات ولكن عدم الحفاظ على مواعيده كان يمثل السـيئة الكبرى في حياته وكان يصفه البعض بأنه بوهيميا لهذا السـبب ولم يكن ذلك صحيحا وحدث أن علم المطرب والملحن الكبير محمد فوزي أن أم كلثوم سـتحضر حفلـة خاصـة في منزل الدكتور زكي سـو يدان وكان مدعـوا فاتصل ببليغ حمـدي وطلب منه الحضـور على الفور وقدمه للسـت وقال لها هـذه العبارة التاريخية: أن مصر كلها سـتغني لهذا الشـاب في الخمسين سنه القادمة!! واستعد بليغ لضبط العود وكان خجولا للغاية لا يتمكن من ضبطه إلا إذا جلس على الأرض وفعل ذلك أمام علية القوم الذين اسـتنكروا ذلك فأشـارت أم كلثوم بيدها فعاد الصمت وما أن سـمعت أول المذهب لأغنية «حب إيه اللي أنت جاي تقول عليه» حتى انسـحبت أيضا من كرسـيها لتشـاركه الجلوس أرضا واخرج أنور منسي الكمان وشـاركه العزف وكانت بداية الغيث وكان بليغ حافظا لجميل أسـتاذه محمد فوزي يتردد عليه منزله وفي أحدي الزيارات كان محمد فوزي يقوم بتلحين أغنية «أنسـاك يا سـلام» فسمع بليغ الجـزء الأول مـن اللحن ثم قام محمد فوزي ليرد على جرس التليفـو ن وتحدث فترة قصيرة ليعود ويجـد بليغ قد أكمل لحـن الأغنية فقام محمد فوزي بالاتصال بـأم كلثوم واخبرها بكل عظمة ونبـل أن بليغ أنتهي من تلحين أغنية أنسـاك بصـورة أفضل منه ثم توالي التعـاون بين بليغ وأم كلثوم وتعهدته برعايتها ومكنته من الحصول على شـقة في الزمالك وطلبت شراء سـيارة له من شركـة النـصر وكانت تقول أنـه مثل نهر النيل فيـاض بعطائه الفني ويجـب ألا نبدده في الترع والمصـارف لأن بليغ كان مغرما باكتشـاف الأصوات الجديدة وتقديمهـا وهو الذي قدم محمد منير ومحمـد الحلو وعفاف راضي وعشرات الأصوات ويكفـي أن وردة الجزائرية أحبته كما أخبرتـني دون أن تـراه وأصرت أن تتزوجه حين سـمعت أغنية «تخونوه» لعبـد الحليم حافظ وكانـت له واقعـة لا تنسي مع أم كلثوم كنـت طرفا فيها ففي أحد الأيام أثنـاء بروفات أغنية «ألـف ليلة وليلة» التي قام بتلحينها لها طلب مني الحضور معه لمنزل أم كلثوم لحضور البروفة

فنزلت من العربية وسـألتني عنه أم كلثوم فقلت أنه بيركن العربية وطال الانتظار وتأكدنا أن الأمر ليس طبيعيا فنزلت ابحث عنه واكتشفت بعد مرور يومين من البحث أنه كان في بيروت لأنه أراد اسـتكمال اللحن بصورة أفضل ولم تغضب أم كلثـوم وتفهمت الوضع أما محمد عبد الوهـاب فكان رأيـه أن بليغ حباه الله بموهبـة فذة تأتي بكل جديد ومبهر وأنه شـخصيا حين يدندن فأنه يتذكر لحن «زي الهوا يا حبيبي» لعبد الحليم حافظ.

حديثك ينم عن مدى النضج الفني وعدم الغيرة بين الملحنين فهل كان ذلك هو المناخ العام أم أن هذه الوقائع مجرد استثناء؟

كانت توجد منافسة شريفة ولم تكن هناك غيرة أو أحقاد كانوا كبارًا بالفعل وإذا أخطأ أحدهم لا يسـتنكف من الاعتذار والعودة إلى جـادة الحق وأولهم عبد الحليم حافظ لأنه كان يتيمًا يشعر أنه يفتقد الجو الأسري دائما يبحث عن الأسرة البديلة إذا جاز التعبير فكان صديقًا مقربًـا على صلة ومودة بوالدتي إذا تشـاجرنا تعاتبني كثيرا وتطلب مني التسـامح مع أخي عبد الحليم - وكان يوم الثلاثاء في حياته مخصصًا لخالته «أم منير» التي أرضعته. كان ينام على صدرها وهي التي كانت تدور به على منازل قريبة «الحلوات» لكي ترضعه النساء وكان البعض يعتبره نحسًا ويرفض وكان بدوره فنانًا قلقًا لا يستقر على حال ولا يداوم على موجة نجاح بعينها كما يفعـل البعض الآن فـإذا نجح في الغناء الرومانـسي انتقل إلى القصائد ومنها إلى الموشـحات ثم الغناء الشـعبي ثم الدويتو كانت تربطه صلة خاصة بالشاعر مرسي جميل عزيز فهو بلدياته يعيـش بالزقازيـق ولا يغادرها إلا للعمل ولا يبيـت في القاهرة أبدا أذكر أنه اتصل بي السـاعة الحادية عشرة صباحًا وذهبنا لمنزل عبد الحليم وهذا الميعاد يمثل ذروة النوم بالنسـبة لعبد الحليم فعاتبنا أننا أيقظناه وخرج إلينا بجلبابه الشهير وهو نصف متيقظ وقال لمرسي سمعنا يا سيدي وكان مطلع أغنية «جواب» حبيبي الغالي من بعد الأشـواق أهديك سـلامي وحنيني وغرامي» ومن عظمته الفنية أنه وهو غير متيقظ تمامًا فطن لعبقرية الأغنية وطلب من السفرجي تحضير الإفطار لنا واسـتكملنا الجلسـة وتكرر الأمر في أغنية «جبار» التي استشعر عدم رضائي عنها وكان ذلك رأيي بالفعل فتراهن معي على أن الأغنية ستعيش لأكثر من عشرين عامًا ومن يكن حيًا منا سـيعرف هذه الحقيقة وكانت نبوءة لأنني بكيت حين غني هذه الأغنية الشاب المغربي عبده شريف أمامي في الأوبرا.

كيف كانت علاقة عبد الحليم بالثورة؟

عبد الحليم غني أجمل الأغاني الوطنية وقد لا يعلم الكثيرون أنه لم يكن يتقاضي مليمًا واحدًا عن هذه الأغاني وكنت بحكم عملي في صوت العرب منوطًا بإنتاج معظم هذه الأغاني وأؤكد أن عبد الحليم إذا كان يصنف على أنه مطرب الثورة إلا أنه لم يستفد منها على الإطلاق. فكان يسافر إلى الخارج للعلاج على نفقته وتجنبًا لعرضه على القومسيون الطبي الذي قد يرفض علاجه في الخارج كنا نتحايل بإحضار عقد عمل من بيروت ثم نذهب به لمكتب الآداب وترسله الآداب للمصنفات الفنية فجميع فناني مصر باستثناء - أم كلثوم وعبد الوهاب - كان لابد من حصولهم على تصريح الآداب بل أن عبد الحليم أصابته سهام صلاح نصر ومضايقاته بعد أن لجأ إليه على أمين لتوصيل بعض الطلبات لمصطفي أمين في السجن بحكم صداقته لهما فأرسل صلاح نصر لاستدعائه وتوصل عبد الحليم لفكرة جهنمية فاتصل بجميع رؤساء التحرير في مصر والعالم العربي وأخبرهم أنه سيلتقي غدًا مع صلاح نصر الساعة الثالثة ظهرًا تحسبًا لعدم عودته فيكون هناك ضغط إعلامي وفي النهاية اتصل أحمد بهاء الدين بالمشير عامر لإيقاف تلك المضايقات.

بصفتك كنت مسئولاً عن الإنتاج الغنائي كيف كان حال الغناء عقب هزيمة 1967 بعد هذا الكم الهائل من الأغاني الثورية التي رفعت سقف التوقعات وحتمية الانتصار؟

كانت نبرة الأداء عالية وأغاني التعبئة هي الشائعة قبل النكسة ولكن بعدها كان كل مطربي وملحني وشعراء مصر يملأون طرقات الإذاعة مجموعة يصعب الالتقاء بها في ظل الظروف العادية وأخذت على عاتقي إنتاج أغنية «عدي النهار» للإذاعة التي كتبها الأبنودي ولحنها بليغ وغناها عبد الحليم ورفض مسئول الإعلام في البداية لكنني تعهدت بتحمل كل النتائج ونجحت الأغنية وأعادت الجماهير إلى الغناء فالإحساس بالهزيمة كان مضاعفا بالنسبة لنا خصوصا أننا كنا لا نستطيع إذاعة إلا أغنيتين وهما «إلهي ليس لي إلا لك عونا» لفايدة كامل وأغنية «بلدي أحببتك يا بلدي» ولكن بعد ذلك كنا ننتج أغنية كل ساعة بلا مبالغة.

أثناء حوارك معي وصفت الموسيقار محمد عبد الوهاب بأنه رادار الغناء العربي ما هي حيثيات هذا الرأي؟

عبد الوهـاب كان دائم الاسـتماع إلى الإذاعة وحريصا على اسـتقدام الأصوات العربية الجيـدة وتمصيرها من خلال اللحن والكلمات وحين سـمع فـيروز في بداية ظهورها وهي تغني «البنت الشـلبية» طلب توجيه الدعوة لها هـي وزوجها عاصي ومنصور الرحباني لزيارة مصر وسـعدت بأنني كنت المسئول عنهم وطلبوا سكنا خاصا لا فندقا وكان مرسي جميل عزيز أول شـخص يطلبون مشـاهدته فطلبته فرد بجفاف اعتقادا منه أنني أقـوم بعمل مقلب من مقالب شلة عبد الحليم كما كان يطلق عليها فأخبرته أن عاصي الرحباني وفيروز يودان مشاهدته فقال أذن اسـمعني صوته أولا في التليفون فوجد عاصي يقول له «أهلين» وبعد مرور ساعتين أتي من الشرقية إلى القاهرة وسعدت بتسجيل حوار نادر للرحبانية هو الوحيد في الإذاعة كانت مصر رائدة بحق عن جدارة ترفع إلى عنان السـماء كل موهبة تسـتحق ذلك فقد كان المناخ العام لا يسمح بتضخيم عديمي الموهبة كما يحدث الآن!! ولكن ذلك لا يعني عدم وجود أصوات جميلة لكنها قليلة فالإنسان لا يستطيع أن يسد أذنه عن الكلمة أو النغمة الحلوة.

□□□

الفصل الرابع

رواق الفلسفة والعلم

- د. مراد وهبة
- د. أحمد عكاشة
- د. إمام عبد الفتاح إمام
- د. إبراهيم بدران

17- الفيلسوف مراد وهبة

تم تصنيفي أنني أخطر أستاذ جامعي في مصر

قيمة التأويل تتجلى في منع فرض آراء معينة على الواقع



جلال الصمت يهيمن على صومعته المكتبية التي تحفل بصفوة إبداعات العقول من شتي أنحاء العالم وهي ليست برجا عاجيا ولكنها انعزال مؤقت للفهم والتحليل ووضع الفروض والبراهين واستخلاص النتائج وفق منطق علمي لا يعرف للارتجال سبيلا. فالدكتور مراد وهبة أستاذ الفلسفة المتفرغ لها(دائما) تتجلي أستاذيته وتفيض على كل ما حوله من مريدين وتلاميذ فهو من أبرز من أثروا الحياة الفلسفية في مصر.. له إسهامات بارزة في أحياء قيم ابن رشد التنويرية في العالم العربي والتمرد على الفكر الرجعي ومجابهة التعصب الدوجماطيقية التي تعني التي تعني امتلاك الحقيقة المطلقة.. فالعالم الجليل اكتشف أن الدوجماطيقية تحمل جرثومة تخلفنا عن مسار الحضارة الإنسانية و إذا أضيفت لها الأصولية المتفشية في كل الأديان فنحن إذن إزاء ثنائي استطاع وأد التنوير والاستهتار بالعلمانية ومن ثم لا يمكننا اللحاق بركاب الديمقراطية تلك هي منظومته البليغة التي سطرها في إيجاز باسم رباعية الديمقراطية وتبدأ بالعلمانية والعقد الاجتماعي والتنوير ثم الليبرالية كما مرت بها أوروبا منذ أربعة قرون. يمتلك د.مراد وهبه بصيرة تخترق الآفاق وعقل صاف يعتز بأنه لا سلطان عليه وبمجرد أن تبدأ الحوار مع الفيلسوف الكبير تستشعر أنه وصل لحالة التلاشي التي يتحدث عنها الصوفيون، فسرعان ما يغوص في المعاني الفلسفية، وهو عاقد الحاجبين محتشدا بعلمه الغزير وصرامته المنهجية وأسلوبه المحكم لغة وفكرا. فلا غرابة أن يصبح قدوة ونبراسا لأجيال نهلت من علمه وتعريفاته المحددة التي لا تراوغ،.. يبدو هادئا ومبشرا كضوء الفجر وهو يتحدث

عـن العلمانيـة حيث لم تعد حالة اغتيال مادي أو معنوي كما كانـت قبل ثورة يناير، وهي في مفهومه أسـلوب تفكير ونهج حياة وإذا كانت مهمة المفكر إزعاج السـلطات كما قال سارتر فقـد فعلها د.مراد بامتياز على مدار تاريخـه، حيث تنوع إنتاجه الفكري مهما كانت الأبواب موصدة والسماء مكفهرة، سألته عن فلسفة الحب فأجاب: إننا لو أخضعنا هذه العاطفة السامية للتحليـل الريـاضي ونزعنا عنها الأسـطورة لن تكـون براقة.. فرجوته ألا يفعـل هنا انفرجت أسـاريره عن ابتسامة صافية لأنه يعلم جيدا أن من يضع أمام الناس مرآة تظهرهم في صورتهم الحقيقيـة ومن يؤثر في الناس في أي مجال لابد أن يقاوم ويضطهد. هكذا كان شـأن الفلاسـفة دائما والذين أفشي سقراط سر اضطهادهم قبل موته، فطوبي للودعاء والعلماء والفلاسفة!

كيـف نمت بداخلك الروح الفلسـفية.. وبصفتك متمردا فكريا شـهيرا.. هل تدلنا على جذور تمردك وعلاقته بنشأتك؟

ينطلق د. مراد على الفور وكأنه فرغ للتو من عمل مونتاج محكم لحياته قائلا: التربية والنشأة بلا شـك كان لهما أثر بالغ في تعزيز مقومات الشـخصية.. فأنا من مواليد منفلوط عام1926، تعلمـت في القاهرة وفي المرحلة الثانوية التحقت بجمعية الشـبان المسيحية(والمسـيحية صفة للجمعية وليسـت للأعضاء).. فكانت تضم العديد من المسلمين لأنها نشأت على أسس ليبرالية ووجـد فيها المـربي الفاضل يعقوب فام ضالتـه في إصلاح المجتمع المـصري في مرحلة الطفولة والصبـا.. فتلـك هي جـذور الإصلاح الحقيقـي لا الإصلاح السـياسي الذي ينشـده الجميع.. فالجمعيـة تقوم ببناء شـخصية الطالب ودعم قدراته العقلية بالتعـود على المثابرة في أي عمل في تلك المرحلة الغضة التي يسـتمتع الطفل المصري فيها باللحظـة الآنية فقط الأمر الذي يترتب عليـه عجزه عن المثابرة عـلى أي عمل فيما بعد وعدم إتقانه وعدم الوعـي بقيمة الزمن ومن ثم انعدام الوعي بالواجب.. لذلك يصبح كارها للعمل ويسهل عليه الخروج على القانون.. ويعد الخـروج على القانون من وجهة نظر يعقوب فام خروجا عـلى العقل الذي صنع القانون لذلك فالتربية تبدأ من القانون، فهو اللبنة الأولى في صرح التنشئة لكنه لم يكن يعني القهر لأنه ضد الليبرالية والديمقراطية اللتين يحثنا على ممارسـتهما على أوسـع نطـاق.. وكان يتم انتخاب رئيس لقسـم الصبيان يسـمي (عمدة) وفزت بهذا اللقب وأصبحت عمدة على200 طالب.. وقد تفتح وعيي بمعني (التناقض) للمرة الأولى في هذه الجمعية التي تسـببت في تراجع تفوقي لأنني تمردت

على آليات الحفظ وأسلوب التذكر في المرحلة الثانوية وتعرضت للعقاب مرات ومرات وكان منطقي وقدرتي على المجادلة تحمياني في بعض الأحيان وبدأت أشعر بأثر تربية يعقوب فام في ولعي بالرياضيات والهندسة على وجه الخصوص لأنها تقدم حلولا للمشكلات والمسائل الهندسية التي تدربنا عليها طويلا، ولكنني تعرضت أيضا للفصل من المدرسة والحرمان من حضور أية حصة باستثناء الجلوس في المكتبة.. وكانت فرصة لقراءة معظم كتب الفلسفة ربما كرد فعل لعبارة تنبأ بها أحمد فؤاد الأهواني مدرس الفلسفة الذي أصبح فيما بعد أستاذ الفلسفة الإسلامية إذ قال لي: «ملامحك تنبئ بأنك ستكون فيلسوف كبيرا».. وقررت الالتحاق بكلية الآداب قسم فلسفة عام 1943 بالرغم من أنني كنت شعبة علمي لكن الكلية قبلت في هذا العام طلاب علمي وحذرني رئيس القسم الاسكتلندي من أنني لن أجد عملا بعد التخرج ولم أذعن لهذا الوعيد واستغرقتني الدراسة إلى حد الوله حتى أنني لم أذهب إلى السينما طوال أربع سنين إلا مرة واحدة لمشاهدة فيلم يدور في نطاق اهتمامي عن التحليل النفسي.. كان قسم الفلسفة يستأثر بعدد وافر من الأساتذة العظام.. أشهرهم عبد الرحمن بدوي الذي كتب تعليقا على بحثي في قوانين الفكر: سيكون لك مستقبل عظيم في مجال البحث والتأليف وأيضا يوسف كرم الذي تعرفت عليه عن طريق الأب قنواتي مدير معهد الآباء الدومينيكان بالعباسية ويوسف مراد الذي عملت معه في مجلة علم النفس.. إضافة إلى عضويتي في جمعية أخوان الصفا التي كانت تضم كوكبة من الأسماء على رأسهم المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون أول داع للحوار الإسلامي المسيحي.. كما كنت عضوا في دار الأبحاث العلمية واكتشفت أنها واجهة لمنظمة أسكرا الشيوعية وكانت تضم من بين أعضائها شهدي عطية وفؤاد حداد وشريف حتاتة وبدأت رحلتي لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه فكان الماجستير عنوانه المذهب عند كانط وهو أعظم فلاسفة التنوير في القرن الثامن عشر ولكن كتاباته تتسم بالغموض وتستعصي على الفهم حتى لدي الفلاسفة الأمر الذي دعاه إلى تأليف كتاب موجز يقرأه الفلاسفة يكشف فيه عن مواطن الغموض في كتابه الجليل نقد العقل الخالص وأشرف على رسالة الماجستير فيلسوف فرنسي كان يحاضر في جامعة فؤاد وأسعدني أنني أنجزت هذه الرسالة في عام ونصف فقط قبل انتهاء المدة اللازمة قبل قيام ثورة يوليو بأسبوع واحد وأنني كتبتها في مائة صفحة فقط لذلك وصفها المشرف الفرنسي بأنها عبقرية مفرطة نتيجة لهذا الاختزال الغير مخل في رسالتي عن كانط.. وعود على بدء فقراءة الفلسفة في الفترة الثانوية

وتربية يعقوب فام كان لهما عائد واضح في اكتساب القدرة على التجديد والدأب في استقصاء الظواهر والتعمق في موضوعات أبحاثي وأن يكون حسن التفكير هو غايتي.

ولكن لماذا ظل التيار الفلسفي في مصر يسير حثيثا خوفا من تعقب خطاه.. وكيف كانت علاقة السلطة بالفلسفة؟

الإجابة عن هذا السؤال سترجعنا إلى عصر سقراط في القرن الرابع قبل الميلاد حيث كان يتجول في شوارع أثينا يتحاور مع الشباب ورجل الشارع وكان القتل مصيره ومن بعده أخذ أفلاطون حذره وعزل الفلسفة في أكاديمية لتظل بمنأى عن الجماهير ولكن سقراط قبل وفاته أفشي لنا بهذا السر الخالد: يستطيع الإنسان أن يكون حكيما طالما أن الناس لا تلتف حوله وتعيره اهتماما وتتأثر بآرائه فقد أيقن سقراط أن في هذا (التأثير) مكمن الخطر على السلطة لأن التفلسف ببساطة يمنع ظهور الطاغية وعلي المستوي الشخصي فقد تعرضت لوقائع كلها تؤكد هذا المعني وتزيده رسوخا.. ففي عهد الملك فاروق ذهبنا لزيارة قرية بهتيم النموذجية وفي نهاية الزيارة قذفنا الصبية الصغار بالحجارة وحين حاولت الاستفسار والاستنكار قال أحد الفلاحين: أصل أهلهم علموهم الفلسفة وقلة الأدب!! فالفلسفة مرادف لقلة الأدب ومرت الأعوام وأصبحت عضوا في مجلة الطليعة المعبرة عن التنظيم الطليعي والتي يرأسها لطفي الخولي وأعتقد أن الأغلبية لا تعلم أن جمال عبد الناصر كان صاحب امتياز هذه المجلة بالاسم وكان ممنوعا الرقابة على كل أبوابها بأمر منه شخصيا وفي يوم عرضت على لطفي الخولي القيام بمراجعة المقررات الجامعية لمعرفة مدى توافقها وتقاربها مع الفكر الاشتراكي وقررت البدء بكلية التجارة لأن معظم السياسيين كانوا من خريجيها إلا أنني فوجئت بالدكتور عبد العزيز السيد وزير التعليم العالي آنذاك يجهض هذا المشروع.. فمن المؤسف أن بعض الوزراء في عهد عبد الناصر كانوا من المناهضين للفكر الاشتراكي وتعاقب تمردي في مجلة الطليعة لأنني كنت معنيا بالكتابة لتغيير (الذهنية) التي يرتجي من ورائها تغيير الفعل والسلوك والإصلاح المنشود.. لكنهم كانوا يهتمون بالعمال والفلاحين وتركوا لي مهمة إصدار ملحق الفلسفة والعلم وأشعر بأن مراجل الغضب داخل عبد الناصر كانت دائمة التصاعد فالرجل كان صادقا في التغيير ومدركا للوسائل التي يصل بها إلى غايته فطلب من المسئولين بعد أن قام بتعييني في معهد الدراسات الاشتراكية أن يمنحوني الفرصة لتدريب الطلاب على التفكير الفلسفي وطلب مني

د. فوزي منصور طبع المحاضرة أولا ثم فتح باب النقاش.. ولكن فوجئت بطبع محاضرات بقية الأساتذة إلا محاضرتي وحين سألت الإدارة عن السبب جاءتني الإجابة بأن طبع هذه المحاضرة سيؤدي إلى غلق المعهد وحين علم عميد المعهد أنني سأقوم بتدريس المنطق الجدلي قال صراحة: لا.. ممنوع، وأذكر أيضا واقعة تعثر تعييني أستاذا للفلسفة في الجامعة مرتين في عهد د. عبد العزيز السيد حتى اضطررت لرفع الأمر لعبد الناصر.. وبعد مرور أربعة شهور تم تعييني بأثر رجعي.. وتوجد أيضا صعوبات في تقبل الفكر الفلسفي من الطلبة في بعض الأزمنة.. اذكر أنه طلب مني الاكتفاء بالتدريس لطلبة الدراسات العليا لأن بعض طلبة قسم الفلسفة يشكون من الأرق وقلة النوم جراء محاضراتي!! فقال لي العميد حين لا يستطيع ثلاثة أشخاص في قسم الدراسات النوم، فالأمر أهون لأن كمال الدين حسين أصدر قرارا عام1960 بإلغاء مادة الفلسفة في المرحلة الثانوية واعترضت النخبة الفلسفية في مصر أمثال زكي نجيب محمود وعثمان أمين و يوسف مراد وعزيز ميرزا رئيس تحرير الأهرام وأبدي اعتراضه في جريدة وطني التي كان يرأس تحريرها أيضا حين أخبرته بالقرار حيث كنت أعمل معه، فكتب مقالا مستفيضا عن أثر الفلسفة في تكوين العقل وفي نفس العام ألغي قسم المواد الاجتماعية الذي كنت أقوم فيه بتدريس الفلسفة واستبعدت أنا وزملائي من هيئة التدريس في كلية المعلمين وتم تكليفنا بإلقاء محاضرات في المواد القومية كما أطلق عليها آنذاك.

وماذا عن علاقتك بالسلطة في عهد السادات.. وما سبب فصلك من الجامعة؟

بداية الصدام كانت فكري وبسبب رؤيتي وتشخيصي كمفكر للحالة الاقتصادية وكنت قد توصلت إلى معادلة مفادها أن التخلف في مصر سببه وجود علاقة عضوية بين الأصولية الدينية والرأسمالية الطفيلية التي تتاجر في المخدرات والسلاح وكل ما هو غير مشروع.. كانت تلك خطة أمريكية أطلعت على وثائقها لتدمير القطاع العام لكي ينمو القطاع الخاص (نظيفا) على حد تعبيرهم فقلت إن هذه العلاقة العضوية تعوق مسيرة العلم و إذا صار هذا المخطط ووضع قيد التنفيذ سيصبح قطاعا خاصا (فاسد) ووصل هذا الكلام للرئيس السادات مشفوعا بتقرير أمني جاء فيه: إنني أخطر أستاذ جامعي في مصر على هذا النظام وبناء عليه تم فصلي في سبتمبر 1981 وفيما بعد قرأت هذا التقرير بنفسي.. فدائما هناك اتهام بأنني أحمل أفكارا خطرة!! فالتربص بالفكر من سمات الدول المتخلفة!!

ويأتي في مقدمة صداماتك دعوتك للعلمانية منذ عقود حين كان أسمها معادلا للكفر والإلحاد.. فكيف تبلور مفهوم العلمانية التي اضطر زكي نجيب محمود لكتابة مقال لتصحيح نطقها في يوم ما عنوانه عا فتحة عا.. فهل نجحنا في تصحيح النطق والمفهوم بين المثقفين أولا؟

العلمانية تمثل حجر الزاوية في رباعية الديمقراطية التي أنشدها وقوامها علمانية (بالفتحة) نسبة إلى العالم وكسر العين ينسبها للعلم وهو خطأ شائع للأسف حتى الآن وأعود فأقول إن العلمانية قديمة الجذور يؤرخ لها بنظرية دوران الأرض على التتابع عند فيثاغورس ثم كوبرنيكس ثم جاليليو الذي أعلن أن الأرض ليست مركز الكون ولا الإنسان سيدها ومن ثم فالإنسان ليس وحده ولا يملك الحقيقة المطلقة.. فالعلمانية تعني التفكير في النسبي بما هو نسبي وليس المطلق فهي أسلوب تفكير ومنهج حياة ولا إجماع مع التأويل.

ولكن يوجد تأويل في الإسلام وباب الاجتهاد ضفافه ممتدة تتسع أيضا للشرح والتفسير كما أن التأويل ليس محمودا في كل الحالات والأجدى أن تكون هناك رحابة وتسامح لتقبل الاختلاف؟

الاجتهاد الذي تقصدينه يختص بالاجتهاد في الشرح ولكن التأويل يغوص في المعنى العميق الذي لا يطفو على السطح.. إضافة إلى أنني كفيلسوف معني بالرصد والتحليل لا التفت إلى تأويلات الأفراد ما لم تتحول إلى تيار.. فقيمة التأويل تتجلي في منع فرض آراء أو معتقدات معينة على الواقع وإلزام الآخرين بها فالاختلافات العقائدية داخل كل دين وبين الأديان تتجسد في رفض الآخر على أساس عقائدي فالإنسان هو صانع علم الكلام وصانع اللاهوت وعلم العقائد أيضا والدخول في صراع عقائدي إذا حدث سيفضي إلى تفكيك المجتمع شئنا ذلك أم أبينا فالعلمانية هي تفكير في ظاهرة إنسانية أو اجتماعية (بمفهوم نسبي) على أساس أنها قابلة للتغيير مستقبلا.. وأن هناك تفاسير وتأويلات تمنع ثبات الفكر وتحجره.. لكن الأصولية الدينية تعمل في إطار المطلق للظواهر الاجتماعية وبعض الجماعات تدين بالسمع والطاعة على ما سواهما ومن ثم أصبحت سلطة الفرد دون سلطة المجتمع نقيضا لليبرالية التي يكتمل بها البناء الديمقراطي الذي يبدأ بالعلمانية والعقد الاجتماعي المبني على التسامح ثم التنوير الذي من شأنه اجتثاث جذور الدوجماطيقية (التعصب). ولن يتحقق ذلك إلا حين يصبح لا سلطان

على العقل إلا العقل نفسه.. فالدوجماطيقية ومحاولة اقتناص الحقيقة المطلقة أصبحت آفة بشرية.. استشرت في مصر وخطورتها تتجلي في أن المطلق لا يتسع إلا لمطلق واحد وصاحب الحقيقة المطلقة لابد أن ينتهي به الأمر للصراع والقضاء على بقية المطلقات الأخرى.. تلك باختصار شديد مشكلة العلمانية وما يترتب عليها من شرور إنسانية واجتماعية وليست القضية فصل الدين عن الدولة كما هو شائع وهو مطب وقعنا فيه ولا نعرف كيفية الخروج منه في كل مناقشاتنا في كل وسائل الإعلام فالعلمانية أسلوب تفكير ونهج متكامل وهي نقيض للأصولية.

وماذا عن رؤيتك للمادة الثانية للدستور.. هل لديك نفس التحفظات بعد قيام ثورة يناير وتنوع المناخ السياسي.. وماذا عن تجربة تركيا التي يجد فيها البعض مرفأ الأمان؟

ليس تحفظا ولكنني كفيلسوف معني بالتشخيص وتحديد معاني الألفاظ لا أطالب بإلغائها ولا أستطيع تقديم البديل فتلك وظيفة السياسيين ولكن أري أن منطق النص أقوي من مقاصد صاحب النص لأنها مادة تشريع لكل المجتمع والإخوان يريدون فرض معتقدهم الخاص على المجتمع وكل نصوص الدستور و إنني أسمي التعديل أو أي حذف مقترح (لكلكة) لأنه لن يؤخذ به في صميم المادة ولا علاقة للسياسة بالنيات.. وفيما يتعلق بتركيا فإن وضعنا يختلف لأن تركيا بدأت علمانية عام1924 ثم ظهر فيها تيار الأصولية فيما بعد.. لكننا في مصر بدأنا بالأصولية والمشكلة كما ذكرت في كيفية تهيئة الذهنية المصرية إزاء العلمانية فنحن تجاوزنا زمن فرج فودة الذي أبيح دمه حين نطق بالعلمانية ومحاولة قتل نجيب محفوظ حين بزغت لمحات علمانية من روايته أولاد حارتنا.. وهي رواية تحكي قصة الحضارة الإنسانية والفضل يعود بالتأكيد لثورة يناير في تداول العلمانية فلم تعد حالة قتل معنوي أو جسدي ولكنها أصبحت موضوعا للنقاش.

ما تقييمك لثورة يناير وأكبر تحدياتها.. وهل يمكنك أن تكتب عنها بحثا بعنوان فكر الثورة من وثائق الثورة كما كتبت عن ثورة يوليو 1952؟

ثورة يناير ثورة إلكترونية استخدم الشباب فيها بذكائه الفيسبوك وقام بتحويله من أداة للنميمة إلى أداة للتغيير خارج رقابة الدولة، فقد تم اغتيال طموحهم فكان لابد

أن يتكتلوا ويشعلوا شرارة هذه الثورة الغير تقليدية والتي لا تخضع لتقاليد وأدبيات الثورات، فهي بلا حزب بلا مفكرين أو فلاسفة وهي حاليا أميل للهدم لا البناء لان كل المطالب التي تستدعي وجود المليونيات تدخل في إطار هدم النظام القديم وتعود في بعض أسبابها لدخول الأصولية الدينية في مصاف ثورة يناير وسأشعر بالتفاؤل حين تبدأ الثورة في البناء.. فالثوري صاحب مشروع جذري يهدم لكن لديه رؤية مستقبلية كما فعل عبد الناصر، لكن المتمرد يهدم لكنه يتعرقل لكن من الممكن أن يتواصل معهم بعض المفكرين ويضعوا الرؤية المستقبلية.. فمرحلة البناء مشروطة بإيقاظ المثقفين من السبات الدوجماطيقي.

لكن المفكرين أحيانا يقعدهم حذرهم وتحسبهم لعواقب الأمور عن الفعل الثوري الذي دائما ما يتأجج في نفوس الشباب بحكم طبائع الأمور؟

المفكر الثوري الحقيقي لا يحسب عواقب الأمور نهائيا.. فإذا نظرنا لفلاسفة الثورة الفرنسية ومفكريها وفلاسفة أوروبا فلن نجد من يتحري الحذر أو التهور أو غضبة الحاكم وعقابه.. لم يفعل ذلك فولتير ولا كانط ولا مونتسكيو فكان هناك صدام بين كانط والملك وفي أثناء قيام ديدرو ودالامبير بعمل موسوعتهما سجن أحدهما فقال للآخر فلتكمل أنت وحدك! كان هناك كفاح وروح ثورية.. فالمثقفين تخلوا عن الشباب للأسف في ثورة يناير، وقبل ثورة يوليو 1952 كان لدينا فكر ثوري لكنه أجهض.. الشيخ على عبد الرازق أخرج من زمرة علماء الأزهر ود.منصور فهمي تم فصله من الجامعة وطه حسين وكتابه في الشعر الجاهلي وحسين فوزي ولويس عوض كل منهم له حالة فكرية أرغم على التراجع عنها.. المفكر الثوري في مصر بامتياز هو نجيب محفوظ ولكنه لم يكمل مساره الفلسفي لأنه كان أول دفعته ورفضوا تعيينه معيدا لتشابه اسمه مع اسم الطبيب نجيب باشا محفوظ ظنا منهم أنه مسيحي.. فذهب لأستاذه في قسم الفلسفة الشيخ مصطفي عبد الرازق ووزير الأوقاف آنذاك وقام بتعيينه مديرا لمكتبه.. فهو مفكر ثوري هذه الواقعة علمته اللجوء للرمز في أدبه بعد هذه الصدمة وأسعدني أنني كنت أول من كتب عن أولاد حارتنا في جريدة وطني بمجرد انتهائها.. حيث لجأ محفوظ بنبرة تشاؤم لتسمية العلم باسم (عرفة) وهو شخص لقيط لا أحد يعرف أصله وترك أوراقا لا أحد يعرف أين هي بعد وفاته؟ كناية عن اضطهاد العلم.

أنت من أشد المتحمسين لابن رشد.. فهل مازالت فلسفته معينا للاقتداء بها..؟ وهل يمكننا عبور القرون الأربعة التي تفصلنا عن أوروبا ديمقراطيا أم أن هذا الفارق أصبح حتميا زمانيا؟

دائما أقول إن ابن رشد ميت في الشرق حي في الغرب وهو سبب العلمانية والتنوير في أوروبا.. لابد أن يستيقظ مفكرونا ويتواكبون مع العصر ويقوموا بتسريع الفكر في عالم تلاشت فيه المسافة زمانيا ومكانيا، فأنا متجول دوليا والفلسفة ضعفت على مستوي العالم أجمع ولم يعد هناك من يجرؤ على تأليف سفر ضخم كما كان يفعل سارتر أو هيدجر فالإنسان ينجرف في إيقاع عصره شاء أو لم يشأ.. فاللغة أصبحت مقتضبة واضحة وسريعة ومنطقية فالاستطراد لم يعد لغة العصر في المقالات حتى لو كان القارئ عاطلا وعبارات هات من الآخر وماشي خير دليل على عدم الرغبة في الدخول في التفاصيل وأنا أراعي هذه الطبخة الفلسفية في المقالات التي أنشرها حاليا بالأهرام.. وهكذا فإذا نجحنا في تمرين العقل بالممارسة على القفز وإدماج مكونات الديمقراطية التي حددتها في(العلمانية والعقد الإجتماعي والتنوير والليبرالية) بحيث يمكننا جمعها في مكون إليكتروني واحد.. والقفز إلى الأمام في وثبة واحدة ذلك مرهون بقدرة عقولنا على تحمل تلك الثورة التكنولوجية والعلمية وعلينا الارتقاء بعملية محو الأمية على هذا النحو حيث لم يعد معقولا التعامل معها بأبجديات(زرع وحصد) ولكنها تتطلب أبجديات تكنولوجية جديدة.

ما هو مستقبل الفلسفة.. وبصراحة شديدة هل تشعر بالضيق من الاتهامات الدينية التي توجه لك بسبب العلمانية؟

أسعي لتأسيس ثلاثية العلم المكونة من الفيزياء والسياسة والفلسفة وكنت قد قدمتها في مؤتمر دولي حضره السير الفريد اير كبير الفلاسفة الإنجليز حيث الفيزياء ترد للعلوم الطبيعية والسياسة للعلوم الإنسانية والاجتماعية وتأتي الفلسفة لتوحيد هذين العلمين وتبني هذا الإنجاز العلمي جامعات عديدة وشاع مصطلح وحدة المعرفة في الغرب بعد هذا المؤتمر فالثورة العلمية والتكنولوجية أبرز افرازاتها الإنترنت والبريد الإلكتروني وهكذا أصبح في مقدور الفيلسوف تأسيس رؤية كونية علمية ستساعده على أن يتحول الإنسان مستقبلا من إنسان أرضي إلى إنسان كوني ولكن هذه القضية لن تكون واردة في عقل الإنسان المصري لأن

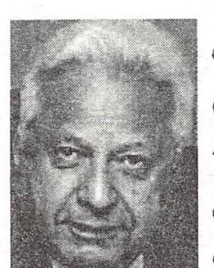
الفلسـفة ليست لها مسـتقبل في مصر.. فيما يتعلق بالدين فله مفهوم خاص جدا وذاتي بالنسبة لي ولـن تجـدي من يدعي أنني في يـوم ما أذيته أو أسـاءت إليه.. ولم أعرف يوما طالبا غشاشـا لأنـني كنت أمنح الدرجات على أسـلوب التفكـير لا التذكر والحفظ. و يؤسـفني أن أصحاب الأديـان دائما في صراعات و إرهاب لا ينتهي ولكن المفارقة أنه يوجد فهم مغلوط للدين في كل المجتمعـات يـؤدي إلى الإرهاب ولا يقال عن صاحبه كما يقال عـن صاحب الرأي أنه ملحد.. فهـو يظل محتفظا بتدينه عند نفسـه وعنـد الآخرين.. ولا يقال ذلك عـن الهندوسي الذي قتل غانـدي أو أسـامة بـن لادن وأتباعـه، نحن الآن في حاجة إلى سـقراط جديد يشـيع حالة من الامتلاء الفكري.. وليتنا نقتدي بكانط الفيلسـوف الألماني العظيم الذي حين شرع في التنوير بدأه مع نفسـه أولا فأنقذ نفسـه من براثن التعصب والدوجماطيقية ثـم أنقذ الآخرين.. فلنبدأ بأنفسنا في كل المجالات.

□□□

18- د. أحمد عكاشة

80 ٪ ممن يقترعون في الانتخابات من متوسطي الذكاء!

تعاونت مع صلاح نصر ولم أشاهد علاقاته النسائية!



صاحب مدرسة في الطب النفسي، بل هو أول من أدخل هذا الفرع إلى العالم العربي عام 1965، وأسهم في زيادة الوعي والمعرفة بهذا العلم، وبفضل سلاسته أصبح المرض النفسي مجدولا في الثقافة العامة لا يخجل منه صاحبه أو أهله.. د.أحمد عكاشة الطبيب المرموق الذي وصل لمشارف العالمية حين انتخب رئيسا للجمعية العالمية للطب النفسي، ثم أمم جمهورية علم النفس وجعله خبزا للجميع، لينتفع بعلمه الناس.. وإذا كان الطب هو علم الآلام.. فقد آثر د.عكاشة التخصص في ألم النفس، فهو طبيب القلب والروح في آن.. ربما كانت نشأته في منزل قام بالتأسيس الثقافي لمصر في الستينيات ثروت عكاشة كان سببا في تفضيله هذا التخصص الذي يشبه الأوركسترا السيمفوني للإنسان، د.أحمد عكاشة هو قائده بالطبع ينتقل بسلوكيات المجتمع ويحللها ويفككها ويبدأ من اللحن البطيء أداجيو ويتدرج حتى يصل بمستمعيه إلى استنفار الهمم بما يثيره من مراجعات للذات وتشريح للسلوكيات والتنبيه والتحذير واقتراح الحلول فمبدؤه ولا تكتموا الشهادة..حديثه يحتوي على قيمة روحية كامنة شأن أي نص أدبي رفيع.. هو أول من يتصدي للإدمان، لكنه أدمن التأمل المتسامي ليحرر البشر من تعاستهم، مؤكدا أن رغد العيش لا يحقق السلامة النفسية.. فتنة الوضوح في مؤلفاته العلمية التي بلغت آفاقا بعيدة جلية.. ولعله أول من اهتم بطب الفقراء للأمراض النفسية.. د.عكاشة يلفت الانتباه إلى أن الكلام عن ظاهرة معينة سلبية بصفة مستمرة يزيد من حدتها ويخلق نوعا من التحصين ضد ما كان يرفضه الإنسان في البداية.. صك تعبيرات نفسية ممهورة باسمه أشهرها

جودة الحياة والصحة النفسية بالعمل والحب والإيمان، وتجاوز الذات وكان نموذجا وقدوة في كل ما يدعو إليه فاستحق دائما اسمي آيات التقدير والاحترام.

قيل قديما لكي يستطيع الإنسان تحليل شخصية يجب أن يعرف الكثير من سمات شخصيته.. فلتكشف لنا النقاب عن طفولتك وكيف امتلأ كيانك بهذا العلم؟

يستهل د. عكاشة حديثه بابتسامة صافية تحمل الكثير من الرضا والاعتزاز بفترة التنشئة فيقول: والدي محمود باشا عكاشة كان مديرا عاما لسلاح الحدود وحاكما للصحراء الغربية الشرقية.. وتولي منصب مدير سلاح الحدود قبل اللواء محمد نجيب.. تعلمت منه تقسيم الوقت والتدريب على إدارة حياتي بصورة ممتلئة بلا لهاث والتركيز فيما أفعله و إتقانه أما والدتي سنية طلعت فكانت سيدة مستنيرة.. تجادل السياسيين وتقارعهم بالحجة.. فعلي وأحمد ماهر ابنا خالتها وكنت أشاهدهما كثيرا في منزلنا خاصة على ماهر الذي تولي ترتيب إجراءات تولي فاروق العرش وسلطاته الدستورية.. وكان منزلنا ملتقي الكتاب والساسة والأدباء.. وكان شقيقي الأكبر ثروت عكاشة يستقبل رجال ثورة يوليو وهو من فرسانها- في منزلنا فشاهدت جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وحسين الشافعي وكمال الدين حسين وصلاح سالم كانت حواراتهم ثرية تتطرق للسياسة والفن التشكيلي والأدب والموسيقي والتاريخ والفن تعلمت من ثروت التذوق والإحساس بالجمال في سن مبكرة جدا إضافة إلى أن شقيقتي الكبري كانت تصحبني معها في حفلات الأوبرا وعروض الباليه والمسرح والسينما حيث كان زوجها الصحفي الكبير أحمد أبو الفتح صاحب جريدة المصري يعود في أوقات متأخرة لأن الطباعة كانت بدائية بمقاييس هذا الزمان وقد ساهم أحمد أبو الفتح في ثراء وجداني في فترة الطفولة.. وطفت معه معظم دول أوروبا فهو معلمي ورائدي مثل شقيقي ثروت.. تعلمت منه معني الحرية وأن الكرامة لا تشتري بالمال ولم يصادفني في حياتي إنسانا له مثل مصداقيته وكان موقفه من عبد الناصر شائكا وحدث اختلاف في وجهات النظر.. ومن المواقف التاريخية التي لا أنساها لوالدتي أنها لم تعتب على عبد الناصر يوما وقد حرمت بسبب هذا الخلاف من رؤية ابنتها الحبيبة.. وأثناء أزمة مارس عام1954 بين عبد الناصر ومحمد نجيب ذهبت لنجيب وحذرته من عبد الناصر وقالت له بوضوح: احترس عبد الناصر يخطط لاستبعادك وبكل طيبة وسذاجة أفصح محمد نجيب عن هذه الواقعة أمام عبد الناصر في اجتماع مجلس قيادة الثورة

وفيما بعد كتب نجيب في مذكراته بصيغة عتاب الذات أن والدة ثروت عكاشة كانت على صواب.. لكن لك أن تتخيلي مدى الإحراج الذي سببته هذه الواقعة لثروت. حين أبدي له عبد الناصر الملام قائلا: لا يوجد داعي لتدخل طنط في السياسة.. وحين عاد ولام والدتي وعاتبها عتاب الابن قالت له: أنت حتعمل على وزير.. أنا فعلت الصواب ثم إنني أعمل بالسياسة قبل مولدك.. فابتسم ثروت وانتهي الأمر وحين سافرت إلى إنجلترا لاستكمال دراستي حرصت على إعطائي بلوفر صنعته بيديها..

ولكن ما الذي فتح أفق الموهبة والإبداع في مجال الأمراض النفسية وكانت لا تزال علوما مستحدثة نسبيا؟

كانت طبيعتي تميل للتأمل في أحوال البشر.. وازداد الأفق اتساعا بالقراءات المتنوعة وكنت أتوق بعد دراستي للطب بكل تخصصاته العامة التي تعالج الآلام والآهات إلى دراسة آلام النفس بصورة شاملة متكاملة مثل الأوركسترا السيمفوني وكان الطب النفسي هو التخصص الذي يتواكب مع ميولي واهتماماتي فالتحليل النفسي رياضة عقلية عميقة.. لم تتقبل الأسرة هذا التخصص بصدر رحب.. كنا في الخمسينيات وكان الأمر مرتبطا في الأذهان بالأمراض العقلية والسرايا الصفراء لكن أمام إصراري وحماسي الأكاديمي سافرت عام1959 إلى إنجلترا في بعثة دراسة وكنت أول من أدخل قسم الأمراض النفسية في كليات الطب في مصر عام1964.

ما سر الارتباط بين المرض النفسي والإبداع، وهل توجد متلازمة علمية تتسق مع المقولة الشائعة الفنون جنون؟

كل الأمراض النفسية ما هي إلا تغيرات كيميائية وفسيولوجية في المخ يقوم الطبيب بعلاجها وإعادة التوازن لهذه الكيمياء.. فالمرض النفسي يمثل اضطرابا في بعض الأعراض مثل القلق والوسواس والهيستريا وهي أعراض موجودة عند كل الناس بنسب متفاوتة ولكن إذا زادت عن الحد الأقصي يصبح الإنسان مريضا نفسيا.. أما المرض العقلي فهو أشد الأنواع وأقساها والتلازم بين المرض النفسي والموهبة ليس شرطا ولكن في بعض الأحيان تفرض الموهبة تكوينا نفسيا خاصا.. لأن (الموهبة) بحد ذاتها شيء شاذ لا يوجد لدي كل البشر.. فالفنان

إنسان غير عادي تتطلب عملية إبداعه حالة انفعالية خاصة.. يصبح فيها الذهن والوجدان مشحونا بأقصي الطاقات التي يتوهج خلالها الفنان ويبدع ثم يكتئب وقد يضطرب نفسيا ومعظم عباقرة الموسيقي في العالم كانت لديهم اضطرابات نفسية مثل هاندل وبيتهوفن وشوبرت وشومان ومعظم هؤلاء الفنانين والموهوبين ينتجون أثناء معاناتهم النفسية بل إن البروفيسور ناش الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام 1995 كان مصابا بالفصام لمدة ثلاثين عاما في شبابه ودعوته عام 1996 حينما كنت رئيسا للجمعية العالمية للطب النفسي لكي نعطي الناس أملا في الشفاء.

كطبيب نفسي كيف تري العلاقة بين الشخصية العسكرية والمدنية وهل تلتمس العذر للمجلس العسكري؟

المجلس العسكري أخذ بزمام الأمور بوطنية معهودة ولم يتردد لحظة واحدة في أخذ هذا الموقف الوطني وللإنصاف يكفي الرجوع للحالتين الليبية والسورية حين أنحاز الجيش للحاكم وتدفقت الدماء.. فمن الظلم البين أن يتهمه البعض بأنه لم يقف مع الثورة.. فيما يتعلق بالشخصية العسكرية فهي تختلف عن الشخصية المدنية من حيث الإتقان والانضباط والمسئولية والطاعة العمياء لمن هو أقدم رتبة ومكانة وحتى الرئيس المخلوع كان يتمتع بهذه الصفات وحتى أوائل عهده قبل أن يجرفه مشروع التوريث بعيدا عن ضفاف شعبه فالجيش ليس لديه خبرة في التعامل مع المدنيين فحدث الاحتكاك وتعرض للإهانة بالرغم من أن الشخصية العسكرية كرامتها واحترامها مكفولان في كل بلاد العالم وتعرضهم لهذه الإهانات من أناس قدموا لهم يد المساعدة شيء يحزن النفس فهم لا يقصدون إلا خيرا بالبلاد والعباد ربما حدثت أخطاء لكنها غير مقصودة ويقيني أنهم سيعودون إلى ثكناتهم ومن يعتقدون أنهم يريدون البقاء على خطأ تام إضافة إلى أن الشخصية العسكرية لن تحكم في القرن الحادي والعشرين وحتى في القرن الماضي استعان كل العسكريين الذين وصلوا إلى الحكم بالمدنيين.

يقال ليس بعد النضج التام إلا العفونة ومعظم القيادات في مصر اتخذت من بقاء مبارك لمدة ثلاثين عاما أسلوبا ونهجا للبقاء في المنصب حتى ينفذ أمر الله وأصبح الأمر بمثابة مشكلة نفسية تواجه أي مسئول يبتعد عن منصبه فما هو تحليلك النفسي؟

السلطة شاخت في مصر وزاد الطين بله واتسعت الفجوة بين الرئيس المخلوع والشعب

بسبب(بطانته) التي زينت له مشروع التوريث لابنه حتى تظل لها الحظوة فشعر الشعب بالاستهانة بكرامته كما لو كانت مصر (عزبة) تورث وكلنا رعايا من العبيد!! فجميع المراجع والكتب والمصادر التاريخية تؤكد أن القيادة تتمثل في حسن اختيار المساعدين ولنا في رسول الله أسوة حسنة حين أصطفي من الصحابة ما يميز كل منهم ويحقق التكامل لخدمة العقيدة والإسلام فعمر بن الخطاب وأد بنته في الجاهلية لكنه أعز الإسلام بقوته وخالد بن الوليد بسيفه المسلول، المأساة الكبرى في معظم الشخصيات القيادية في مصر تأتي عادة من المحيطين والمقربين لأننا لا نجيد فن القيادة ومعظم قياداتنا تأتي بالمصادفة وإجابة عن سؤالك وسبب انهيار من يترك مكانه يعود إلى هذه المعادلة النفسية فلكل منا ثلاث صور: صورة ذاتية لا يطلع عليها أحد ولا حتى الزوج أو الزوجة أو الأبناء ولا يعرفها إلا الطبيب النفسي والغالبية لا تتعرض له لذلك تظل هذه الصورة (مكبوتة) والصورة الاجتماعية التي نظهر بها أمام الناس وبها قدر من التمثيل واللياقة الاجتماعية ثم الصورة الثالثة التي يتوق إليها الفرد والتناغم بين الصور الثلاث من شأنه أن يحقق الصحة النفسية ولكن بعض الوزراء المسئولين يعيش الدور ويصدق نفسه حين تصنعه الصحافة والإعلام فينهار حين يقال لأنه فارغ من الداخل والأمر كذلك بالنسبة لبعض الفنانين الذين يصنعهم أيضا الإعلام والجمال والرشاوى من خلال عمل أو اثنين وحين يترك هذا الفنان لموهبته الحقيقية ومقدار إبداعها تظهر قدراته الحقيقية ويفقد توازنه وعموما حاجز الخوف انتهي فالمواطن المصري أصبح لا يخشي حاكمة أو قيادته والمسئول الآن هو الذي يخاف وتلك هي عبقرية ثورة يناير فالمسئول أصبح في موضع المساءلة أنها إيجابية الوعي الإنساني الذي يدفع مواطنين من بعض القرى لقطع الطريق للمطالبة بإنشاء محطة في بلدتهم بالرغم من كل السلبيات وفوضوية الأسلوب إلا أنه بداية لايجابية شعر معها المواطن بكرامته ومن ثم المطالبة بحقوقه التي تغافل عنها يأسا!.

بعض الإعلاميين يتخذون مقعداً على الشمال ويعارضون بصفة مستديمة كغاية وهدف بصرف النظر عن أي حقائق.. كيف تقرأ المشهد الإعلامي بعد ثورة يناير؟

أتذكر مقولة جوبلز وزير دعاية هتلر حين قال: أعطني إعلاما بلا ضمير أعطيك شعبا بلا وعي فمعظم وسائل الإعلام تتخذ من النفاق أسلوبا ومنهجا في البداية تم نفاق ثورة يوليو 1952 ثم ناصر ثم السادات ثم مبارك ثم شباب الثورة ثم المجلس العسكري والآن الأغلبية تنافق

الإخوان المسلمين بعد نتيجة الانتخابات فالإعلام المقروء والمرئي يعاني ضمورا وتواضعا في ضميره المهني وهو يساهم بذلك في إزالة الوعي اللازم للبناء ومعظم البرامج الحوارية متشابهة باستثناء بعض الإعلاميين الملتزمين بالمهنية والمصداقية.

ما الروشتة التي يصفها د. عكاشة للفلول من أعضاء لجنة السياسات الذين يحتاجون لإعادة تأهيل لاستيعابهم اجتماعيا ودمجهم في الحياة العامة بصفتك عاصرت تجربة مشابهة في ثورة يوليو1952؟

هذا النظام أفسد أخلاق المصري وهذه إدانة كافية جدا للحكم عليه لكن ثورة يوليو جاءت بمحاكمات الثورة وهي الأفضل من وجهة نظري بصرف النظر عن صحة الأحكام أو خطئها لكن شباب الثورة فرحوا في البداية بالمحاكمة المدنية وهي شيء حضاري بالطبع فيما يتعلق بلجنة السياسات فالكثيرون من أصدقائي كانوا من أعضائها الذين لم يضنوا بالنصح والإعراب عن أرائهم وانتقاد السلبيات لكن (لا حياة لمن تنادي) ولكن في كل الثورات تسود ثقافة الجماعة أكثر من ثقافة النخبة وأعتقد أنه بعد أن تخمد حمم البركان الثوري ويهدأ البخار سنلتفت لكل هؤلاء (الأفاضل) لنستعين بخبراتهم بصورة حضارية مثلما أبقي أوباما على وزير الدفاع الجمهوري روبرت جيتس لان مصلحة البلاد العليا تقتضي ذلك بشرط محاسبة الفاسدين على فسادهم في محاكم مدنية لأن أهم شيء نفتقده في هذه المرحلة هو الشفافية.. فهي مبهمة وغائمة بالنسبة لكل الأطراف.

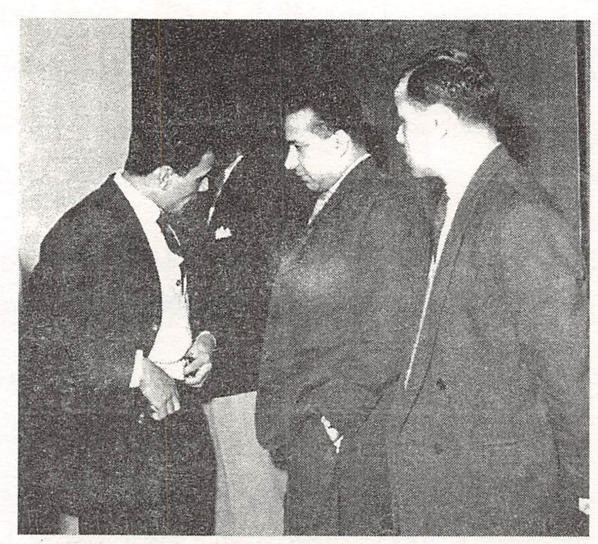
قال تشرشل أن الديمقراطية أسوء الشرور لكننا لا نعلم ما هو أفضل منها.. فالانتخابات لا تأتي دائما بالأكفأ.. هل هذا قدرنا في النهاية؟

يجب أن نأخذ في الاعتبار أن 60 % من مجموع أي شعب متوسطو الذكاء من 90 - 110 درجات و20 % يكونون عادة فوق المتوسط و20 % أقل من المتوسط. وبداية من120 فيما فوق يعتبر من الأذكياء جدا وفوق الـ 140 يدخل في نطاق العبقرية وهم يمثلون1% من مجموع أي شعب إذن 80 % من الذين يقترعون في الانتخابات من متوسطي الذكاء أذكر أنني استفسرت من العالم الأمريكي كنجلر الفائز بجائزة نوبل عن الكيفية التي فاز بها رجلان متوسطا الذكاء مثل ريجان وبوش الابن في الانتخابات فضحك قائلا: إنك جاوبت على التساؤل هل معقول أن يرشح إنسان ذكي نفسه ليصبح رئيسا للجمهورية.. ومن العجيب أن المجتمع الأمريكي

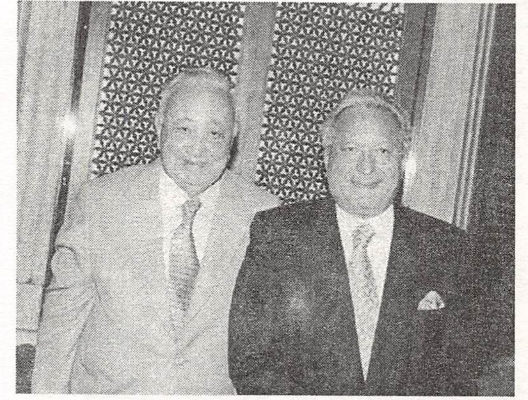
انتخب الرئيس كارتر الذي كان يبلغ معدل ذكائه فوق الـ 140 درجة مرة واحدة وانتخب كلينتون مرتين بالرغم من قصته السخيفة مع مونيكا لأن الإنسان لا ينجح في الحياة بالذكاء الأكاديمي فقط فهو يوصله لموقعه فقط أما الاحتفاظ بالموقع والمكانة والصدارة فيتوقف على مدى الذكاء العاطفي الذي كان يتمتع به هذا الرئيس.

اشتركت مع صلاح نصر في كتابة الحرب النفسية فكيف تري شخصية صلاح نصر بكل ما أثارته ومازالت من جدل واستنكار والقليل جدا من الموضوعية؟

علاقتي بصلاح نصر بدأت من خلال الضباط الأحرار حيث كان يزمع إنشاء جهاز المخابرات طلب مني اختبارات نفسية لضباط المخابرات الذين يتم ترشيحهم للعمل لكي نتأكد من ثباتهم العاطفي واتزانهم النفسي وعدم تذبذبهم عند تعرضهم للقبض عليهم أو الاعتقال أو التعذيب فقلت له لا توجد اختبارات تعطي نتائج مائة بالمائة ولكن من الممكن الاستعانة باختبارات تعطي مصداقية يعتد بها وشئ له قيمة إحصائية واستمر التعاون لمدة أربع سنوات كنت أقوم بهذه الاختبارات في عيادتي ثم طلب مني المساهمة في إعداد كتاب كبير عن الحرب النفسية لأنه كان معجبا بجوبلز ولديه اقتناع بأن الحرب النفسية في الحرب أقوي من الحرب القتالية وبالمناسبة ما يحدث في مصر الآن حربا نفسية من كل الجهات تستخدم فيها المعلومة للتأثير على نفسية الناس وأعود لصلاح نصر فقد تعاونت معه أنا وغيري وقرأت كل المراجع التي وفرتها المخابرات وأثناء التحقيق معه تم سؤالي عن علاقتي به وعن علاقاته النسائية فأجبت بأنني لا أعلم عنها شيئا و إن وجدت.. فإنه لم يأخذني معه وسئلت عن واقعة السيدة التي ألقت بحذائها على سيارة عبد الناصر المكشوفة وكان بصحبته هواري بومدين فتم إلقاء القبض عليها وأودعت في المخابرات وطلبوا مني الكشف على قواها العقلية فوجدت أن لديها فصاما وعولجت في مستشفي خاص على حساب المخابرات لأنها فقيرة وزوجها كان معتقلا وفي النهاية قال لي حسين الشافعي وكان مسئولا عن المحاكمة أنت هكذا يا أحمد لا نستطيع دائما أن نأخذ منك معلومة.. قلت له: لن أدعيّ على صلاح نصر بأي شيء لأنه في موقف ضعف فضحك وقال: أنك رجل ولم يأخذ بشهادتي وعموما أنا لا أحتفظ بأي ملفات أو أدوات لمرضاي من المشاهير والكتاب والفنانين وأسرارهم ستموت معي و يكفيني شرفا أنني أخرجتهم من حالات الاكتئاب ليواصلوا حياتهم بعمق وحب.



د. عكاشة وعبد الحليم حافظ
واستشارة مرضية



الشقيقان ثروت وأحمد عكاشة



مع جون ناش العالم الفيزيائي
الحاصل على نوبل

19- د. إمام عبد الفتاح إمام

12 عاماً هي نصيب الدولة الإسلامية من الديمقراطية!

العقل لم يعد له قيمة في عالمنا العربي

يحظى اسم د. إمام عبد الفتاح إمام بمكانة خاصة لدى القارئ العربي عمومًا وبين دارسي الفلسفة على المستوى الأكاديمي على وجه الخصوص.

على مدى أربعين عامًا أخذ على عاتقه محاولات الإفلات بقارئه من التسطيح الذي لم يسلم منه أجمل الأشياء وأمتعها، محاولًا أن تكون الفلسفة طعامًا مستساغًا للجميع.. ومحرضًا لإعمال العقل فالفلسفة هي «فكر الفكر» - على حد تعبيره - وقد استطاع أن يذيب مذاهبها في مرجل الكتابة الصحفية بأسلوب يشف عن ثقافة عميقة وقبضة لغوية محكمة يكتنفها مسحة حزن قلما يخلو منها قلم أي أديب.

استطاع أن يهز قارئه مؤكدًا أن التشخيص (الفهم) لابد أن يسبق العلاج (الحلول) فهو لا يخون عهد الفلسفة أبدًا مثل أستاذه العظيم سقراط الذي تعلم منه التضحية فى سبيل إبداء الرأى بحرية وتعلم من هيجل أن الخنجر لا يقتل الأفكار ولكن يقتلها فكرة مثلها ومن أستاذه زكي نجيب محمود فهم «ظلال النص» قبل ترجمة أي كتاب للوصول إلى مغزاه.

كتب في أمور شتى عن الفكر السياسي والمرأة والحب وعن فلاسفة عصر التنوير ولكن كتابه عن «الطاغية» يمثل درة أعماله.

شذرات من كتابه (الطاغية)

حكم الجماهير أو الغوغاء بحر هائج يتعذر على سفينة الدولة السير فيه والنتيجة أن يقفز الطاغية إلى كرسي الحكم لكي ينقذ البلاد. لذلك يرى (أفلاطون) أن التطرف في الحرية يولد أفظع أنواع الطغيان.. في كل مرة يظهر فيها طاغية يبدو كأنه هو (المنقذ) الذي يعيد الأمن والاستقرار إلى البلاد. في البداية يجزل الوعود ويعفى من الديون ويوزع الأرض - ليس له صديق - ولابد له من إبصار حاد حتى يقضي على الشجعان وأصحاب الرأي ولو كانوا من الأصدقاء وأصحاب الذكاء والقوة خوف (الطاغية) من الوقوع تحت سيطرة الأحرار يجعله يقع تحت سطوة العبيد فالطاغية نفسه فقيرة جدباء فهو يكتفي بنفسه.

- ليس من الضروري أن يكون الطاغية مغرمًا بالمتع الحسية والشراب والنساء. أحيانًا يكون مبعث الطغيان الرغبة في السيطرة على شعوب العالم أو نشر الأفكار بالقوة.. يقول مارتن لوثر: إذا كان لابد لنا من معاناة الألم فخير لنا أن نعانيه على يد الحكام أفضل من أن نعانيه على يد رعاياهم، فالرعاع لا يعرفون الاعتدال.. إن كل فرد من الغوغاء يثير من الألم أكثر مما يثيره خمسة من الطغاة.

بالرغم من حالة الزخم السياسي والإعلامي. ونجوم التنظير في كافة المجالات إلا أن الفلسفة مازالت حبيسة البرج العاجي. فما هو السبب من وجهة نظرك؟

الفلسفة نزلت من عليائها منذ قرون واختلطت بالشارع في المجتمعات المتقدمة. فالفلسفة فكر ثان أو لاحق. فالفيلسوف يبدأ عمله بعد أن ينتهي المؤرخ أو العالم فإذا بحثنا مثلًا في الفضائل وسماتها من شجاعة وأمانة وصدق يأتي عمل الفيلسوف عن مبعث «الالتزام الأخلاقي» وهل يعود لرجل الدين أم للمجتمع انطلاقًا من مبدأ المنفعة العامة مثلًا فالفلسفة فكر يبحث في الفكر أو في رأس العالم. وحيث إن العقل لم يعد له قيمة في عالمنا العربي. لأن العقل بدون حرية لا قيمة له. ومن ثم لم تجد الفلسفة أمامها متسعًا للانتشار والشيوع. فوظيفة العقل تتجلى في الاختيار والتمييز بين الأشياء. فالحكام العرب عبر العهود السابقة سرقوا الوعي الذاتي للمواطن ذلك الذي يميزه عن الدواب ومنعوه من أن يرتد إلى نفسه مرة أخرى!

هل يمكننا إيضاح فكرة الوعي الذاتي بصورة مبسطة؟

بالتأكيد. فالوعي يشترك فيه الحيوان مع الإنسان. فالحيوان يعي ما حوله من أشياء لكنه يقف عند عتبة الوعي ولا يتجاوزها لكن الإنسان يتخطى هذا الوعي، لأنه يدرك ذلك وهو يعي تمامًا أنه يتناول طعامه ويستخدم حواسه. هذا هو الوعي الذاتي فهو عملية فكرية تسير من الذات إلى الموضوع ثم تعود إلى الذات مرة أخرى فيكون حوارًا ذاتيًا أو مع الآخرين أو فكر يتحقق على أرض الواقع. فالوعي الذاتي ضروري لكي يشعر كل منا بإنسانيته وحقوقه وواجباته أصبح لدينا وعي فقط - بدون تفكير.

ما هي أهم المساوئ من وجهة نظرك التي أفرزها غياب الوعي الذاتي؟

قال بحدة: الفضائل الأخلاقية بالطبع معظمها أصبح خارجيًا زائفًا. تحكمه المظاهر السطحية فهي ليست متغلغلة في الشخصية. يحكمها الخوف من وطأة العقاب أو القوانين. بمعنى أن هؤلاء الناس يمكنهم التخلي عن هذه السلوكيات والفضائل الظاهرية لو أمنوا شر العقاب لأنها ليست نتيجة لوعي ذاتي. والأمر كذلك بالنسبة لحالة التدين الخارجي التي استشرت دون النفاذ لجوهر الدين والمعاملة التي هي المحك في العلاقات بين البشر واكتفينا بالطقوس والشعائر فقط. في حين أن الطالب في أمريكا يدرس في كتاب المنطق أجزاء من خطاب الرئيس الأمريكي لكي يتمرس باستخراج ما فيها من تناقض وخروج على المنطق. فنحن لم نستفد من الفلسفة السياسية التي بدأت عند اليونان. فنحن مجتمع يرى أن الذي يفكر يتعكر! وما يقال على الفرد يقال على المجتمع. فإذا كانت الفلسفة تدعو الإنسان للسمو من المحسوس إلى اللامحسوس وإعمال العقل. فالأمر ليس كذلك في المجتمعات العربية ومعظمها ينحصر اهتمامه في الجنس والطعام والشراب. ولا يرقى بروحانية إلى لب الفنون والآداب الرفيعة والفلسفة على عكس ما هو شائع عن روحانيات الشرق.

ما تقييمك لمحاولات إحياء بعض الاتجاهات والأفكار السائدة في عصور سالفة مثلما يطالب بعض السلفيين؟

كل فلسفة لا تمثل إلا عصرها وهي إفراز طبيعي لزمانها. لذلك من الصعب إحياء الفلسفات القديمة أو العودة إلى العصر الأول الهجري فنحن بذلك نكون أشبه بشيخ طاعن في

السن يحاول أن يرتد إلى مرحلة شبابه. فليس منطقيًا أن يصبح مستقبلنا هو ماضينا كما يحاول البعض الآن.

هناك رأي يرى أننا أسأنا استخدام الديمقراطية التي كانت من أهم مكتسبات ثورة يناير. فهل توافق على هذا الرأي؟

لقد شهدنا العديد من الاضطرابات والاعتصامات التي كان الكثير منها موجهًا من فلول النظام السابق. فالديمقراطية كفكرة فلسفية تقوم على الممارسة وليست مجرد مجموعة من النظريات والأفكار شأنها شأن السباحة وقيادة الدراجة، لابد من مصارعة الأمواج لكي نتمرس بها.. فالديمقراطية في بلادنا سوف تتعثر وتقع في الكثير من الأخطاء وليس مبعث ذلك الأمية والجهل والفقر كما يقال. فالجماهير الغفيرة التي ثارت في وجه الملك والإقطاع في الثورة الفرنسية كانوا مجموعة من (الأصفار) كما يقول سارتر فالإحساس بالظلم حركهم - كما حرك الجماهير لدينا في ثورة يناير - وهكذا تحول شعب باريس لقوة عاتية اقتلعت النظام بالرغم من أنهم أميون لكنهم كانوا مسلحين بالوعي السياسي الذي بثه بينهم فلاسفة التنوير أمثال جاك روسو. إضافة إلى أنه لا يوجد لدينا تراكم خبرات على مستوى الممارسة الفعلية. حتى أن فريقًا يرى أن عهد مبارك كان أفضل لأنهم لا يريدون دفع فاتورة التغيير وتحمل التبعات. اعتقادًا منهم أن القيادة السياسية الحالية تمتلك عصا موسى التي تحل كل المشكلات في لمح البصر. فالوعي السياسي غائب بين النخبة أيضًا.

هل تخشى طغيان الأغلبية؟

في الوقت الحاضر يصعب الاتفاق على رأي عام حقيقي. وتوجد جماعات صغيرة وأحيانًا فردية.

ولكن هذه الجماعات على صغرها تحاول مواءمة ميزان العدالة وفقًا لمفاهيمها الأخلاقية دون الاقتناع بعدالة القضاء فما هو السبيل لتغيير هذا السلوك المشين؟

يتنهد د. إمام بعمق ويقول: إنه حديث ذو شجون إنها قضية قديمة قدم الفلسفة ولكن سقراط حسمها جذريًا حين آثر الموت في ظل قانون أثينا الجائر على الهروب إلى خارج البلاد - وقال لتلاميذه: إنه لو هرب إلى مدينة أخرى فماذا سيفعل إذا لم تعجبه قوانينها يهرب مرة

أخـرى؟ فـلا يصح أن يضع كل منـا مفهومه أو رؤيته الشـخصية للعدالة مـع إقرارنا الكامل بوجـود ثغرات في معظم القوانين ليـس لدينا فقط ولكن في كل دول العـالم يلجأ إليها الدفاع لتبرئـة المتهم ومعظمها يتعلق بالشـكليات بالرغم من وجود أدلـة دامغة في بعض الأحيان لكن هـذه الثغرات تنسـف الاتهام إنها قضية الفـرد بأخلاقياته في مواجهة المجتمـع وقوانينه - لأن بـراءة عشرة متهمين أفضل مـن إدانة بريء. ذلك يحدث في أمريـكا ومعظم الدول الأوروبية ولكنهم لا يتدخلون في الشأن القضائي فتلك فوضى عارمة.

ظهرت آراء تستشـهد بالحديث الشـريف لإحداث التغيير المطلـوب وإقرار ما تراه صالحاً اسـتناداً إلى: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يسـتطع فبلسانه، فإن لم يستطع بقلبه وذلك أضعف الإيمان ما رأيك؟

هـذا الحديث أسيء فهمه تمامًا فالأغلبية توقفت عنـد الكلمات لا معناها. فالحديث يعني التغيـير باليـد بصورة مجازية لمن يقع ذلك في نطاق سـلطاته مثـل الأب أو الابن أو المعلم. كل يتدخـل في إطـار اختصاصاته وسـلطته المعنوية، والمقصود باللسـان أي الإفصـاح عن الخطأ للجهات العامة المسـئولة مثل القضاء ووسـائل الإعلام، ونأتي لأضعف الإيمان.. أي رفضنا لهذه الممارسات وعدم تقبلها لأن جوهر الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

تعد المساواة من أبرز المطالب والشعارات التي طالب بها المصريون وبالرغم من أنها من أهم أضلاع الديمقراطية لكنها مازالت منفرطة العقد. عصية على التجسيد على أرض الواقع؟

نعم المسـاواة التي ينشـدها الناس لن تتحقق وأرجو ألا يكـون كلامي صادمًا. فالحديث الشائع الذي يصفنا بأننا جميعًا أولاد تسعة هو محض خرافة وعدم المنطقية.

كيف فالبشر متساوون جميعاً في الحقوق والواجبات؟

بالتأكيد ولكنهم يريدون (المسـاواة الجائرة) من كافة الوجوه مسـاواة فجة أشبه بمساواة «بروكرست» في الأساطير ذلك الرجل الذي كان يمتلك سريرًا واحدًا ويجبر غرباء المدينة على المبيـت فوقه فإذا كانوا طوال القامـة قام بقطع أقدامهم وإن كانوا قصارًا فهو يشـدهم حتى الموت وفي الحالتين كان يقضي عليهم.. فليس المطلوب المسـاواة المادية في الراتب أو في الطول

والـوزن، فالدين لا يقول بهـا والفروق والدرجات والاختلافات بين البـشر نص عليها القرآن الكريم ولكن المساواة التي نعنيها تتمثل في المساواة بين البشر أمام (القانون) من أصغر مواطن إلى الحاكم (رأس الدولة) وتلك أسمى درجات الديمقراطية التي يبلغها أي شعب.

لماذا تفشل دائماً محاولات الإصلاح في ظل النظام السلطوي كما حدث لدينا؟

محاولات الإصلاح التي كان يتم طرحها غير جادة. والمواطن المصري بطبعه يخزن كالجمل حتـى يفيـض به الكيل وهو ما حدث حين شـعر النـاس بأنهم يغوصـون في الرمال. فتحركت الجماهير. فإصلاح النظام ببساطة يعني تقويض أركانه و إحلاله وهدمه. ولم يكن أحدًا منهم ليسمح بذلك على الإطلاق.

الفوضى الشـعبية التي تسيء اسـتخدام الحرية حذر منها أفلاطون لأنها قد تأتي بالطاغيـة باعتباره «المنقذ». فمـا هي ابرز المراحل التي رصدتهـا عن الطاغية في كتابك الشهير؟

كان أفلاطـون هو أول فيلسـوف يلتقـي بالطاغية وجهًا لوجه «ديونسـيوس» وكاد يقتل لولا تهريبه وبيعه في سـوق الرقيق والطغاة عادة يظهـرون بعد الأزمات أو الحروب والطغيان البشري بين الحكام سلسـلة متوالية منذ عهد أفلاطون حتى عصرنا الحديث هتلر وموسـوليني وصدام حسين وكان اليهود أول من حاول إقامة دولة دينية وصكوا مصطلح ثيوقراطية وارتداء عباءة الدين لتبرير سلطات الحكم المطلقة. ثم جاء المسيح وأعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله مرورًا بالعقد الاجتماعي الذي هدم نظرية الحق الإلهي للحكم. أما مارتن لوثر زعيم الإصلاح الديـني فقد اختلطت آراؤه السياسـية بالإصلاح الديني وكانت كتاباتـه في هذا الصدد رجعية تمامًا تصلح مبررًا للاستبداد والطغيان دون أن يعني ذلك بالمعنى السياسي الدارج الآن.

البعـض يطالب بعودة الخلافة الإسـلامية وتطبيق الحدود اسـتناداً إلى أن مبادئ الديمقراطية والشورى والعدل أقرها الإسلام؟

يجـب أن نفرق بين الدولة الإسـلامية التي أقرها الإسـلام أو الصورة المثاليـة لهذه الدولة وبين ما حدث على أرض الواقع فهذه المثالية تحققت في عهدي أبي بكر وعمر بن الخطاب فقط لمدة أثنى عشر عامًا على مدار التاريخ حيث قال أبو بكر في بيعته: إن أحسـنت فأعينوني و إن

أسـأت فقوّموني وقال عمر بن الخطاب عن المعارضة: «ويل لكم إن لم تقولوها وويل لنا إن لم نسـمعها».. وكان هناك مخصص محدد لكل منهما من بيت المال وحرية الرأي مكفولة للجميع فالبعض بايع أبو بكر وأبي البعض الآخر ولكن.. كانت هناك مراقبة ومحاسبة للحاكم واعتمد الأمر في النهاية على أخلاق الرجلين العظيمين ولكن يجب التفريق بين (المثال الرائع) والواقع. فبدأ الطغيان منذ عهد معاوية بن أبي سـفيان وبدأ مسلسـل البعد بين المثال والواقع وأصبحت البيعة شـكلية مثل الاسـتفتاءات التي كانت تتم في العهود السـابقة وأصبح أي معارض يرمى بالإلحاد أو الزندقة كما حدث مع ابن المقفع بل إن الفقهاء والأئمة تم ضربهم في بعض الأحيان لرفضهم تولي منصب القضاء كما حدث مع الإمام مالك وأبو حنيفة ولكن د. السنهوري دافع عن نظام الخلافة وكان من رأيه أن الذي حدث من استبداد وفتن سياسية لم يكن مبعثه الخلافة ولكـن خـروج الحكام عن مبادئ وأحـداث الخلافة حتى تحولت إلى ملكية وراثية مسـتبدة! إضافة إلى وجود خط مشترك بين الحكم الديني والعسكري يتمثل في الطاعة التامة.

ما هي الضمانات التي تمنع ظهور أي طاغية مرة أخرى؟

لا توجـد أي ضمانات إلا الديمقراطية التي وصفها «فوكوياما» بأنها نهاية التاريخ لأننا لم نعرف نظامًا سياسـيًا أفضل منها على وجه الأرض حتى الآن. فالسـلطة عمومًا تنمي المسـاوئ لدى بعض الأفراد فهي اختبار قاس ولكن المعضلة لدينا أن رجل الشارع بحكم همومه وكربه الدائم وأزماته المتوالية يبحث عن (المخلص) لكي يريح نفسه من التفكير.

لماذا صودر كتاب الطاغية في بعض الدول العربية؟

لأن معظم الحكام العرب ضد الثقافة ولا يقرأون ولا توجد دولة عربية منفتحة فكريًا ولا يوجد مفكر كبير أو فيلسـوف أمام الطاغية. وفي بلادنا أطلق عليهم الرئيس السـادات كلمة (الأفنديـة) في إحدى خطبه. أما الطاغية الأعظم فهو هتلـر بالطبع. ذلك الرجل الذي أراد أن يحكـم العالم. كان ذكيًـا لماحًا جاء من أقواله النـادرة الصحيحة: إن الحاكـم الغبي هو الذي يصطدم بالدين والأفضل أن يترك الناس يدينون ويتدينون كما يشاءون.

□□□

20- د. إبراهيم بدران

يكشف أسرار يناير (1977)

تحية عبد الناصر طلبت مني أن أعاملها مثل زوجة البواب!

ذاكرة محملة بالرياحين والخضرة والفضاء الذي يتسع للمئات من الرواد والآباء المؤسسين الذين يتقدمون عصورهم لذلك تخلد ذكراهم بالتماثيل البرونزية التي يشاركونها في صلابتها سموا ومكانة ورفعة وبلوغ أرقي مدارك العلم «الأستاذية» تلك الدرجة التي وصل إليها د.إبراهيم بدران شيخ الجراحين ووزير الصحة الأسبق الذي كان تلميذا لهؤلاء الكبار المبجلين الذين اعتادوا أن يرجعوا الفضل لذويه لذلك لم يجد غضاضة في أن يقبل يد أستاذه وهو وزير وأستاذ فاضل وعالم جليل.. هو محارب فعلا ومجازا يتكلم بلغة العصر الذي يحياه ولا ينفصل عنه أبدا والقاعدة العامة في العلم أن البداية الصحيحة تبدأ حين ينتهي الآخرون لذلك يرفض المغالاة في الأنين والتحدث عن الواقع المأزوم والأفضل أن نضيء شمعة بدلا من أن نلعن الظلام شذرات من حكمته وفلسفته والخبرة المتراكمة كلها تؤكد أن أي نظام عظيم بأمته وليست الأمة عظيمة بنظامها - فالأنظمة المستوردة علميا وتعليميا لا تعمل وحدها. د.بدران يزهو ألقا بأساتذته والإعجاز العلمي في القرآن ويدعو لتحريك العقل في جميع الاتجاهات.. ينشد دائما مقام الرضا والحمد بصوفيته النقية ويقينه أن التراث ليس مانرثه بل مأثوراته للأجيال اللاحقة بالقيمة العلمية المضافة.

الحياة العامة بدون شك تحمل دلائل العصر ولكن الخطوط العريضة للحياة الخاصة للمعاصرين تكون أكثر صدقا.. فحكاية واحدة قد تكون ابلغ من عشرات الكتب فهل تسمح لنا بالإطلاع على سيرتك الذاتية من الثقب المفضل لديك؟

يجيب د. بدران بتواضع واعتزاز في آن: والدي كان ضابطا بالبوليس وفقدت والدتي وأنا في الرابعة من العمر لكني مازالت اذكر كيف فجاءتها آلام المرض ومحاولات د. مصطفي الديواني ود. غليونجي لإنقاذها.. والدي أحاطني بالمحبة والحنان وكان بطبعه عطوفا جدًا فقد أصيب بالشلل لمدة ثماني سنوات واقعد لحزنه على فقدان اثنين من اعز أصدقائه أنها سمات العصر كما ذكرتي فالصديق كان بمثابة توءم الروح صداقة ومحبة خالصة لوجه الله وتجسد وفاء أصدقائه تجاهه في تلك المحنة في أروع صورة فكان زوج ابن عمتي محمود بك محيي الدين يعوده يوميا وكذلك أنيس بك سلامة رئيس قسم الباطنة بالقصر العيني وكان جارنا في جاردن سيتي توفي والده وترك له عشرة أخوة وأخوات أكمل مسيرته معهم ولم يتزوج وكلهم وصلوا إلى أعلى المناصب وهو شقيق التربوية الشهيرة ماري سلامة لم ينقطع عن زيارة والدي يوما حتى آخر يوم في حياته وفي طفولتي كانت العيدية جنيهًا ذهبيًا أضيف له خمسة تعريفة واستبدله بجنيهًا ورقيا تصوري!! وكانت مصانع الغزل والنسيج بالمحلة الكبري تكفي جميع دول الحلفاء أما عظماء مصر فكانوا يملأون قارة في الطب والاقتصاد والفن والعلم ونتيجة لمرض والدتي ووفاتها شعرت بسمو مهنة الطب ورسالته الإنسانية الرفيعة فالتحقت بكلية الطب جامعة القاهرة وتخرجت عام 1947 وصافحت الملك فاروق في حفل التخرج ونظرًا لأنني كنت من السبعة الأوائل في الكلية فقد صدر أمر بتكليفنا بالسفر إلى الجبهة في فلسطين عام 1948 وكنا فرحين للغاية لأن الله أكرمنا بهذه المنحة أي الشهادة في سبيل الله.

وما الذي تذكره عن حرب 1948 التي وصفها عبد الناصر بأنها كانت حرباً بلا حرب، تقدم بلا نصر لأنها كانت حرباً سياسية؟

كنت طبيبا بمستشفي العوجة جنوب رفح بنحو ستين كيلو مترًا التسليح بصفة عامة كان أقل من المتوسط لكننا بالرغم من ذلك كنا قاب قوسين أو أدني من تل أبيب يفصلنا عنها (12 كيلو مترًا فقط) وكانت جميع انتقالات الجيش المصري تتم عن طريق شركة (فرخة) وهو اسم فلسطيني كان يملك أسطولا من الأتوبيسات شبيه بأتوبيسات (كيداهم) التي كانت تسير في شوارع القاهرة لم يكن تقدمنا سيئا بالرغم من عدم الإعداد للحرب لكن الحماس كان يملؤنا والحمية الوطنية ولا أنسي الشهيد البطل أحمد عبد العزيز الذي ذهب إلى فلسطين مع مجموعة من المتطوعين وكان حريصا على إذكاء الأمل في نفوسنا يتعامل معنا بأبوة حانية ولكنه استشهد

على يد عسكري من الهجانة لأنه لم يكن يعلم كلمة سر الليل كما هو متبع.. بعد إعلان الهدنة الأولى انقلبت الموازين العسكرية لصالح إسرائيل وفتح جسر جوي بين براغ وتل أبيب وأثناء الهدنة الأولى طلبت من القائد المباشر الذهاب لزيارة صديقي د. محمد صفوت في المجدل ووصلت إليه في خيمته وفرح بلقائي كانت الساعة لا تتجاوز العاشرة صباحًا ووجدت شخصا نائما في السرير المجاور ـ فقال لي صفوت أرجوك تحدث بهدوء لان زميلي هذا يسهر طوال الليل يوميا يرسم خرائط ويكتب تقديرا للموقف واختصاصات عسكرية من هذا القبيل وانصرفت عقب زيارة استمرت على هذا الوضع حوالي خمس ساعات وبعد قيام الثورة دعاني د. صفوت لحضور حفل زفاف ابنة شقيقته على شخص يدعي حافظ إسماعيل الذي سيصبح مستشارا للأمن القومي فيما بعد وكان جمال عبد الناصر شاهدا على عقد القرآن وقدمني إليه صديقي د. صفوت قائلا: د.إبراهيم بدران وصافحني بابتسامة قائلا: أنت الذي قمت بزيارة صفوت في الخيمة في الحرب وأنا نائم أليس كذلك؟ وفي ذلك إشارة واضحة لقوة ذاكرته وبراعته في معرفة السمة البارزة في الأشخاص.

وما هي أبرز صفاته التي لمستها عن قرب؟

عبد الناصر ـ رحمه الله ـ كان وهما وأماني وحلما بل أنه كان طيفا لأنه لم يكمل رسالته عبد الناصر ينبوع وطنية وإخلاص كان يعشق تراب مصر حقيقة لا مجاز وهو باعث نهضتنا بعد محمد على فالتجربة المصرية في الخمسينات والستينات حفلت بإنجازات وخبرات لا ينكرها إلا جاحد بعض معاونيه أساءوا إليه ولكن البعض الآخر كانوا من الأوفياء والأمناء أيضا لكنه مات معنويا بعد نكسة 1967 كانت صداقته بالمشير عامر مضرب الأمثال في الارتباط والحميمية واذكر أثناء حضوري حفلات زفاف بنات عبد الناصر في نادي الضباط أن المشير عامر كان يتبع عبد الناصر إذا ذهب لدورة المياه وكانت تصرفاته منبعها المحبة فالمشير كان يتصف أيضا بالشهامة الصعيدية ولكن شيطان السياسة فرق بينهما أما السيدة الفاضلة تحية عبد الناصر فهي امرأة استثنائية للغاية فقد كانت السيدة الأولى لكنها كانت في غاية التواضع واذكر أنها طلبت مني في أحد الأيام وهي ترجوني بصدق أن أعاملها مثل زوجة البواب! فسألتها لماذا يا هانم؟ أجابت لأنني أعاني من كيس ذهني بسيط والأطباء يريدون سفري لاستئصاله في الخارج وأنا لا أريد السفر فهل زوجة البواب تسافر للخارج؟

ما هي الآثار السلبية لهزيمة 1967 من وجهة نظرك ونطاق تخصصك؟

لقد تغير النمط الطبي وسمعنا عن أمراض لم تكن شائعة بمصر مثل تقرحات القولون نتيجة للقلق النفسي وكان أول حالة اكتشفها لطالبة في كلية الآداب فمشاعر الحب على النقيض ترفع من كفاءة جهاز المناعة فالنكسة كانت من أبرز الأحداث التي هزت كيان الوطن فمصر في القرن الماضي تعرضت لمواقف تسترعي التأمل واستخلاص الدروس المستفادة وأهمها قانون الإصلاح الزراعي والتأميم وإغلاق مضايق البحر الأحمر وسحب قوات الطوارئ الدولية ومن ثم قامت حرب 1967 ورغبة في التخفيف من الشعور بوطأة الهزيمة تم التوسع في التعليم على نطاق كبير دون وجود مخصصات مالية كافية لأن المقدرات المالية كانت موجهة للتسليح العسكري وإعادة بناء الجيش الأمر الذي تسبب في تدني مستوي التعليم إضافة لاهتزاز كيان الأسرة نتيجة لغياب الآباء وفتح باب الإعارات، كل ذلك ساهم في عدم رفع المستوي التعليمي في مصر لمدة خمسين عامًا تقريبًا تضاعف العلم خلالها وحققت البشرية خلال تلك المدة ما لم تحققه في ألفي عام فالأولويات العسكرية استنفذت كل الطاقة البشرية والصحية وتضاعف عدد السكان ثلاث مرات تقريبًا خلال ستين عاما وتزايد متوسط العمر مرتين فميزانية البحث العلمي لجامعة القاهرة كانت تقدر بـ 4000 جنيه بعد حرب 1973.

بعض المتشائمين - وما أكثرهم - يروجون أن مصر اقتربت من الحضيض وهي تنحدر مثل عربة تتدحرج في هوة سحيقة لا سبيل لإنقاذها إلا حين تصل للدرك الأسفل تماما فيتم انتشالها؟

يا إلهي مصر قد تكون مرهقة أو مجهدة لكنها لن تشيخ أو تموت أبدا ما اذكره.. ليس كلاما مرسلا ولكنه تاريخنا الرسمي الذي يؤكد أننا في عهد الهكسوس وما أحدثوه من دمار لم تنته مصر حتى أن المصريين كانوا يشربون بول البغال والحمير وأكلوا الجيف في بعض العصور وفي عهد شجرة الدر تخلفت مصر بدرجة كبيرة وانتشر الحشيش وكانت إذا أجهضت سيدة تتعارك أسرة الزوجة والزوج أيهما أحق (بأكل الجنين) نتيجة للضنك والعوز. ولكن في عهد محمد على نهضت مصر مرة أخرى وكانت أول دفعة في الطب عام 1832 وكان عددهم 12 طالبا وأمر محمد على كلوت بك بسفرهم إلى مونبلييه بفرنسا ليطمأن على مستواهم العلمي بالنسبة لأقرانهم وكانت المفاجأة أنهم حصدوا المراكز الأولى في أوروبا بأكملها ورفعوا شأن فرنسا أيضا وقاموا

بترجمة 76 كتابًا من الفرنسية إلى العربية وللأسف الشديد بعض وسائل الإعلام أساءت لسمعة الطب في مصر بالرغم من ريادتنا فلدينا أطباء عظماء ينتمون لمهنة عريقة.

كيف نعيد أذن مشاعر الثقة والانتماء التي كنتم تتمتعون بها للأجيال الحالية؟

الانتماء في جوهره أخذ وعطاء (عشم) كما نقول بالعامية شعور بالوحدة فالوطن لا يمن علينا ونحن كذلك.. مصيرنا مشترك والثقة والإيمان بالله وزرع الأمل في النفوس والوعي بأهمية الوقت فالساعة التي تنقضي هباء لا تعود أبدًا!!

تتلمذت على يد أعلام الطب فما الذي كان يميز الأجواء الدراسية آنذاك؟

يجيب د. بدران باعتزاز: أساتذتنا هم (أسيادنا) هكذا نشأنا على تبجيلهم وإدراك مبلغ علمهم فلم يبخلوا علينا بالوقت والنصائح والصحة أيضا فبعضهم ونحن في المدارس الثانوية كان يعاني أمراضا مزمنة ويستمرون في الشرح بعد انتهاء الحصة أما في كلية الطب فقد حالفني الحظ بمعاصرة الفطاحل أمثال د. عبد الوهاب مورو ومصطفي الشربيني ونجيب مقار وغيرهم وكان إذا تعذر علينا الوصول لاعراض مرض ما أو نجد صعوبة في التشخيص نذهب بالمريض إلى أحد أساتذتنا شفيق شلبي أو عبد الله الكاتب مثلا وكانوا يطلبون منا ذلك فلم نعهد منهم إلا الشفافية والصدق والتفاني فأنا انتمي لجيل كان يعرف مريض الحمي دون عمل التحاليل وكان أساتذتنا يعرفون مريض الحمي من مجرد شم رائحة غرفته اذكر ونحن أطفال صغار كنا نسكن في حي المنيل نلعب كرة القدم في قطعة أرض فضاء ملاصقة لفيلا سليمان باشا عزمي عميد كلية الطب وأستاذ أمراض الباطنة وكثيرا ما كان يجري بواب الفيلا خلفنا بالمقشة لكي يصرفنا عن المكان لأننا كنا نحدث دوشة والباشا نائم لأنه سهران طول الليل يذاكر على حد تعبيره حتى أنه بلغ الستين نتيجة لانغماسه في العلم ولم يتزوج إضافة إلى أن السنتين اللذين كنا نقضيهما في بيت النواب في الكلية كنا نستفيد منهما للغاية فنحن نتحدث مع بعضنا البعض ما يقرب من 18 ساعة يوميا في الطب جرعات مكثفة من المعرفة فكان يتحقق تراكم معرفي ونقل الخبرات والتجارب مع الآخذ في الاعتبار أن المدرس هو القوام الرئيسي للعملية التعليمية وأي تقدم يرتجي فعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وانهيار دول بأكملها كانت دول أوربا

وعلي رأسها ألمانيا تجلس أبناءها على هذه الأرض وفي الحقول لأن المدارس هدمت لكن المدرس هو الأبقي والأهم من أي بنيان!!

السياسة في مفهومها العام تعني الوعي بالبشر والأحداث ومعالجة الأمور بحكمة واستشـراف الآفاق البعيدة ما هي الملامح التي تختزنها ذاكرتك كسياسي في عهد عبد الناصر والسادات؟

في عهد عبد الناصر كنت وكيلا لكلية الطب وحدثت مظاهرات الطلبة التي انتهت ببيان 30 مـارس عام 1968 وتصـادف أن قابلت على صبري في مستشـفي الدكتور مجدي فطلب مني التوجه إلى الجامعة مع بعض الأسـاتذة الأعزاء للوقوف على الحالة العامة وكانت الأمور تسير عـلى ما يرام في كلية الطب وهنـاك واقعة أخرى تتعلق بأسـتاذي د. مصطفي الشربيني حيث تعـرض لبعض المضايقات وشـاءت الأقدار أن التقي بشـعراوي جمعة وكنـت أعالجه من جمرة في رقبته فشرحت له أن أسـتاذي لا شـأن له بالسياسـة وهو رجل علم فطلب مني الانخراط في الاتحاد الاشـتراكي لكي أتابع موقفه ووافقت على ذلك شـفهيا من أجل أستاذي وفي عهد الرئيس السادات كنت وزيرا للصحة في حكومة ممدوح سالم ووقعت أحداث يناير 1977التي اسماها الرئيس السادات بانتفاضة الحرامية وأشهد أمام الله للتاريخ أن ممدوح سالم أمر رجال الشرطة بعدم اسـتعمال القـوة ولا العصي مع المتظاهرين لذلك كانت نسـبة الإصابـات في تلك الثورة الشعبية تبلغ 40 عسـكريًا مقابل ثلاثة مدنيين وفقا لسجلات وزارة الصحة واسترعي اهتمامي كسـياسي ووزير مسئول أن الفئة العمرية التي اشـتركت في الأحداث معظمها يتراوح ما بين 12 ـ 19 سنة وشاءت الظروف أن أرد زيارة لوزير الصحة العامة بإنجلترا وحين وطئت قدماي البلاد وسـئلت عما أريد مشـاهدته طلبت نتيجة لما صدر من تصرفات الناشئين والمراهقين في أحـداث 1977 رؤية كيفية تعامل الشرطة مع الشـباب وذهبت إلى سـجن بركسـتون الخاص بانحرافـات الشـباب وكانـت المفاجأة أن المسـئول عنه أسـتاذا في الأمراض النفسـية بجامعة لنـدن وبهدوء أجاب عن سـؤالي قائلا: نحن لا نتعامـل يا عزيزي مع الشـباب مباشرة ولكننا نبـدأ بمراقبة المواليد وهم أجنة في بطون أمهاتهـم من خلال متابعتنا للأسرة ككل وتلك المهمة منوطة بممرضة مشتركة بين وزارتي الصحة والداخلية وكل منطقة بإنجلترا بها (ممرضة أسرية) تراقب سـلوكيات الأسرة وتجنب الأم الأدوية الخطأ أو أي انحراف ترتكبه الأسرة ومن شـأنه

التأثير على سلامة الجنين فمن المعلوم طبيًا أن الأم الخائفة أو المقهورة أو الجائعة لا يمكن أن تلد طفلا سليما وأضاف الرجل بأن 97 % من الأسر الإنجليزية أسر سوية أما الأسر المنحرفة فيأخذون إنذارات متوالية من الممرضة الأسرية و إذا لم يلتزموا يتم إعطاء الرضيع بعد ولادته لأسرة لا تنجب لذلك كل منطقة في إنجلترا تحتفظ بسجل دقيق للمجرمين والمؤهلين له بحكم تاريخهم الأسري والجيني أيضا ففي بعض الحالات يكون العامل الوراثي أساسيا في الجرائم لأنه متوارث ومن هنا جاءت سمعة سكوتلانديارد العالمية ولكن في معظم حالات الانحراف يتم الاستفادة أيضا من هذه المواهب المنحرفة فمن يجيد تسلق المواسير يتم تدريبه والاستعانة به عند حدوث حريق لكي يصعد الأدوار العليا مثلا.

النزعة الدينية تغلف معظم توجهاتك العلمية والحياتية فلتحدثنا عن بعض الدروب التي تتبعها.. فربما أضاءت للآخرين؟

نحن جديرون بإمعان النظر والتأمل في الإعجاز العلمي في القرآن دون مبالغة لأن القرآن ليس كتابًا علميًا.. فمراحل تكوين الجنين مذكورة في القرآن ولم يكتشفها العلم إلا مؤخرا في الثلاثينيات فالقرآن بداخله (كوامن) لم تكتشف بعد، وأنا غير مؤمن بالدورانية فالإنسان لم يتطور تاريخيًا من القرد ـ كما أنني أؤمن بالعلم «اللدوني» الذي وهبه الله لسيدنا سليمان وسيدنا الخضر فالصادقين ينور الله بصيرتهم دائمًا لفعل الخير ودائما إذا تأزمت الأمور أتذكر هذه الآية الكريمة «ولسوف يعطيك ربك فترضي» فالرزق لا يقتصر على المال أو الجاه و إنما هو رضا بالمقام الأول وراحة بال.. إضافة إلى أن الإيمان والاستيعاب الكامل للنص القرآني يؤكد وحدة الرسالة التي نزل بها الرسل، وان كانت بإيمانيات مختلفة سواء كانت يهودية أو مسيحية أو إسلام ومدي السماحة في الديانتين المسيحية والإسلامية على وجه الخصوص.

كما أن العلم منحة يجب أن ترد للآخرين والتفكير العلمي هو أفضل سياج لأن العقل إذا كان خواء ترسبت فيه أسوأ الأفكار على حد تعبير الشيخ أمين الخولي.

قمت بوضع سياسة تكنولوجية لمصر لأول مرة عام 1984 حين كنت رئيسا لأكاديمية البحث العلمي فما هو مآلها الآن وهل المناخ العام في المجتمع بكل ما يكتنفه من ارتجال في التخطيط وأصولية دينية تؤمن بالحقائق المطلقة من الممكن أن تعرقل شيوع النزعة العلمية في المجتمع؟

التحديـات عديـدة ما أكثرهـا ومنذ عدة عقود وصـف العالم الكبير جمـال حمدان مصر بأنها «العقل المكتسـح والجسـم الكسـيح» فمعظـم الأفـكار العظيمة والإبداعـات تنهزم في مرحلـة التنفيذ بين أيـدي الإدارات الدنيا.. فالنداء الإلهي اليومـي يحثنا «حي على الصلاة حي عـلى الفـلاح».. فالتزامنـا بالصلاة ونسـينا الفلاح وهو يعـني التجويد والأخذ بأسـباب العلم والإصـلاح.. ففي أوائل الثمانينـات بدأنا نفكر في وضع سياسـة تكنولوجية لمصر وكان لنا في الهند أسوة حسـنة لأنها أول دولة نامية تقتحم المجال التكنولوجي في الخمسينيات والستينيات وأخذت أنديرا غاندي على عاتقها إعادة بناء الهند واسـتعانت ببعض العلماء المشـهورين مثل تاتا ومنون وأحضرنا هؤلاء العلماء وعلماء آخرين من كوريا وفرنسا وسافرت إلى فرنسا وألمانيا وكوريـا الجنوبية التـي بدأت نهضتها عـام 1974 وأنتجت أول مليون طن حديد صلب سـنة 1974بتكنولوجيا مسـتوردة بنسبة 95 % وكورية بنسـبة 5 % ولكن بحلول عام 1982 كانت النسـبة معكوسـة لصالح التكنولوجية الكورية (أي 95 % تكنولوجيا كورية) بينما نحن في مصر بدأنا صناعة الصلب عام 1954 لنصف مليون طن.. زادت عام 1970 لثلاثة أرباع طن.. ولكن مصر لم تعدم يومًا كفاءاتها العلمية فاسـتطعنا بالتعاون مع الهند من إنتاج طائرة كانت تنتج الهند جسـمها ونحن الموتـور وطارت هذه الطائرة في الهـواء.. وقمنا بعمل صاروخ لكن كان ينقصـه جهاز التوجيه ولكن أجهضت هذه المحاولات من قبل إسرائيل وتم تهديد العلماء وأصيـب بالفعل أثنين من العلماء الألمان بالعمى.. نفس السـيناريو الذي يجري الآن مع إيران وكأن التاريخ يعيد نفسـه ولكننا عملنا لإصدار الوثيقـة التكنولوجية منذ عام 1981 حتى عام 1984 وكنـا أكـثر من 300 عـالم وكتبنا عشرة آلاف ورقـة بحثية قمت بتلخيصهـا في 47 ورقة وتم توزيعها على 5000 جهة في الدولة اتسـاقًا مع دعـوة الرئيس مبارك للارتقاء بالعلم باعتباره السبيل الوحيد للتقدم.. ولكن لا حياة لمن تنادي.

ويجب ألا تطول غفوتنا لأن المجال العلمي المتاح أمام العالم الإسلامي تغير عقب أحداث سبتمبر 2001 فأمريكا قررت إغلاق أربعة عشر مجالا للعلوم المتقدمة في وجه الدول الإسلامية بصفة عامة.

المجتمـع المدني معظمه ملتفـا حول قضايا بعينها ولم يشـهد حراكًا في مجال دعم البحث العلمي فكيف السبيل لاستنهاضه؟

التغيير يبدأ بالمعرفة والنموذج الذي يحتذي به.. فأثناء حضوري لجلسات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية تعرفت بإحسان دوجرماتشي وهو شخصية تركية رفيعة فهو ثري لكنه.. وظف ثـراءه لخدمة بلاده وقام ببناء جامعتين عملاقتين على مسـاحة أرض تبلـغ 5 ملايين متر حصل عليها بأسـعار مخفضة مـن الحكومة.. إحداهما «هـادي طب» للعلوم الطبيـة والأخرى «بيل كنـت» للعلوم التكنولوجيـة وأنفق عليهما الكثير وهو رجل متميـز للغاية فهو يجيد التحدث بتسـع لغات ووضع وقفية في جنيف وأوقاف محلية أخرى للإنفـاق الذاتي على الجامعة وترتيبه يأتي بعد رئيس الجمهورية مباشرة في هيراركية الدولة بصفته رئيسًـا لاتحاد الجامعات التركية.. كان مولًا لحرب البوسـنة والهرسـك وجامعاته تنفق على ذاتها أما منزله فهو عبارة عن متحف فني به تحف لا تقل عن 200 مليون دولار أوصي بعد وفاته أن يؤل للحكومة التركية وأقنع أبناءه بالتنـازل عـن نصيبهم في الميراث لصالح الخير.. أتمني من رجال الأعـمال في بلادنا أن يحتذوا به وهذا ليس عسيرا لأن طلعت حرب كان من نفس المدرسة في المبادرة والعطاء.

ما الذي تستشفه في خطاب الرؤساء؟

خطب الرؤساء تكتب بعناية فائقة وكل كلمة فيها تعني الكثير وأستطيع أن أستنتج بعد سـماعها العديد من الاحتمالات ومن أبرز الخطب التي سمعتها لعبد الناصر خطبته الأخيرة في جامعة القاهرة في يوليو 1970 والتي أسميتها خطبة الوداع لأنها كانت آخر خطبه حيث طلب قبل إلقائها استبعاد المراسلين الأجانب والسفراء من القاعة لأنه يريد أن يتحدث مع أبنائه بمفرده وذكر كم عاني من سـهام الأشـقاء العرب وظلم ذوي القربي وتشـاءمت عقب سـماعها ولم اسـتبشر خيرًا وحدث نفس الشيء عقب سـماعي لخطبة السـادات التي ألقي فيها القبض على أكثر من ألف وسـتمائة مواطن.. وقطعت رحلتي لرومانيا وعدت إلى مصر وطلبت الالتقاء بالسيدة الفاضلة جيهان السادات وتحادثنا في الأمر ثلاث ساعات فالسادات ألقـي القبض على أولاده من مختلف المجالات وقلت لها مجـازا.. كان أهون أن يقبض عليهم بالتقسـيط أي تدريجي وليس في يوم واحد فانا لسـت مسـتبشرًا فقالت لي: أن السادات منذ أن اقترب منه بعض الوزراء لم يعد يأمن للشـارع المصري ويبدي تخوفه إزائه وكان ما كان ولكن السادات كانت له إنجازات عظيمة بلغت أوجها في حرب أكتوبر 1973، وعمل معه «أجاويد مصر» وأفضل كفاءاتها.

كيف تنظر لطبيعة عمل الجراح وهو صاحب قرار ربما كان سياديًا؟

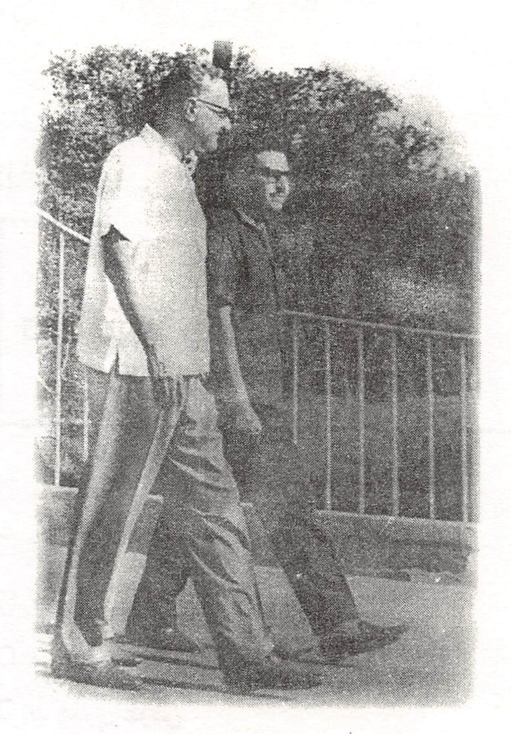
الجـراح صاحب قرار وليسـت مصادفة أن الطبيب يسـمي حكيما لأنـه يفاضل بين عدة بدائل.. فيجب أن ينسي نفسـه تماما بمجرد دخوله غرفة العمليات فنحن نتحرك في مسـافة بين قضاء الله وهو (نافذ) وبين رحمته وقد كتبها على نفسـه.. وكلما زاد العلم زادت هذه المسـافة ولكن العلم والتقدم، لا يشتري، ولا يباع، ولا يستعار ولكنه يكتسب بالجهد والعرق والدموع.. فالتنمية فقه لأن لها ثوابت للانطلاق تبدأ من العلم وإعلاء شأنه وشأن منظومة القيم الإنسانية «لا خير فيمن لم يضف» كما يقول الحديث الشريف.

❑❑❑

الفصل الخامس

ظلال الحكايات

- د. الصاوي حبيب
- جمال الشرقاوي
- د. رفعت السعيد
- د. عبد المنعم جنيد
- د. هنري عوض



د. الصاوي حبيب الطبيب الخاص لناصر وتمشية يومية مع الزعيم

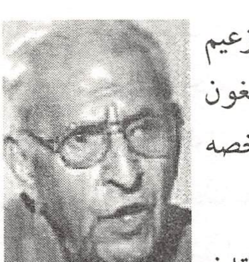


مفتي فلسطين أمين الحسيني مع نجيب وناصر والسادات

21- د. الصاوى حبيب

يتحدث عن الأسباب الحقيقية لوفاة عبد الناصر!

عبد الناصر كان يتناول طعامه من يد زوجته ويعمل 18 ساعة يوميا



ربما كانت صفة «الافتتان» هي أهم ما يميز سيرة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لدي محبيه ومعظمهم يبلغون الحد الأقصى في المحبة إلى درجة التعصب لشخصه فالعواطف الصادقة لا تعرف عدم الانحياز.

بل إن صاحب الحركة ذاته كان متطرفا في حبه لمصر.. مستغرقا في عمله فكان كل متعته وملاذه ثم مرضه وموته.. وكثيرا ما تكون قصة الموت هي أفضل سيرة حياة.. فالدكتور الصاوي حبيب أستاذ الأمراض الباطنة والقلب وطبيبه الخاص.. اصطفته الأقدار لمشاهدة أضعف لحظات الزعيم ـ لحظات المرض التي تنحني أمامها أعلى الهامات وأشدها قوة وكبرياء.. و إذا كان الإنسان لا يمهد لحياته تمهيدا مستفيضا في شتي المجالات.. لذلك تظل يد القدر هي الأعلى.. هكذا دفعت الأقدار بالدكتور الصاوي- من وجهة نظره_ بين عشية وضحاها ليصبح طبيبا خاصا لعبد الناصر منذ يوليو 1967 وحتى وفاته 1970 يرصد يوميا التغلغل القاسي لمرض السكر وهو ينخر جسد زعيم كثيرا ما امتلك زمام الأقدار التاريخية.. والمبادأة والوقوف في مهب الريح.. والتجربة بالرغم من قصر مداها الزمني تحمل ملخصا عن مجمل حياته الخاصة.. وما هي درجة اهتمامه بصحته التي استنزفت قطرة قطرة كالشمعة المنصهرة؟ وكيف ارتبطت حالته الصحية بالأجواء السياسية العالمية؟ و إذا كان التاريخ يحمل درجات متعددة من المصداقية نتيجة لاختلاط الحدث بالرأي في بعض الوقائع فالدكتور الصاوي أثر أن يكون من رواة الحدث فقط.. بالرغم من غزارة حصاده من المعلومات لأن

السيرة الذاتية لعبد الناصر كتبت دائما بضمير الغائب والطبيب سمي (حكيما) لأنه يوازن بين عدة بدائل يختار الأنسب من بينها لمريضه.. لذلك ما قيل عن وفاة عبد الناصر لم يكن صحيحا لأنه لم يقرأ بحكمة على حد تعبيره.

كيف بدأت علاقتك بالرئيس عبد الناصر؟

كنت أعمل طبيبا برئاسة الجمهورية منذ عام 1961 وكنت من ضمن الأطباء الذين يصحبونه في الركاب ولكن الاتصال المباشر وجها لوجه حدث عام 1964 حيث كنت كعادتي في الركاب في طريق مصر إسكندرية الصحراوي وكان مقررا أن يتقابل عبد الناصر والزعيم الروسي خروشوف في مزرعة نموذجية وكان برفقة عبد الناصر في سيارته المشير عبد الحكيم عامر وسكرتيره الخاص محمد أحمد والذي فوجئت بعد توقف الركاب المفاجئ أنه يطلب مني التوجه إلى سيارة الرئيس لأنه يشعر بالتعب فسألته عما يشعر به فقال: عرق ورغبة في القئ وعزيت الأمر إلى مضاعفات السكر الذي كان يعاني منه وأعطيته قرصا لمنع القئ وأشارت عليه بالعودة إلى الاستراحة وعدم إكمال الزيارة واندهشت حين رأيته مطيعا للغاية وأنه امتثل للأمر بسهولة لم أتوقعها.

ما هي المهام المنوطة إليك استنادا إلى عملك المستمر معه منذ يوليو1967 وهل يحمل التاريخ دلالة مرضية أثرت على الرئيس؟

الرئيس كان يحيط به كوكبة من أفضل الأطباء في مختلف التخصصات وكان الدكتور أحمد ثروت رحمه الله هو الطبيب الخاص للرئيس وقد تأثر بهزيمة يونيو بصورة مؤلمة فتدهورت صحته تدريجيا ولم يتمكن من الحضور في أحد الأيام وكنا في شهر يوليو 1967 فطلب مني محمد أحمد - وكان يتصف بالمروءة - الاستعداد للكشف على الرئيس فتوجهت إلى غرفة نومه وكان من المعتاد أن يقوم بعمل تحليل بول يوميا وعلي أساسه يتم تقدير كمية الأنسولين التي يحقن بها. وفي المرة الأولى كان يتحدث تليفونيا فاستدار بوجه وأعطيته الحقنة وانصرفت وفيما بعد ابلغني أنني لا علاقة لي بمحادثاته التليفونية_ أي أنني يجب ألا انصرف حين أدخل غرفته وهو يتحدث بل استكمل عملي وأقوم بإعطائه الحقنة اليومية ولكني لم أرض عن هذا الأسلوب فقلت كيف أعطيه حقنة أنسولين دون أن أعرف شيئا عن تاريخه المرضي فطلبت

منه السماح لي بالكشف عليه تفصيليا واكتشفت أنه يعاني من دوالي في الشعب أسفل أحدي الرئتين وضعف في نبض القدمين وتصلب في شرايينها بصورة واضحة وحين أخبرته بالتشخيص علمت أنها المرة الأولى التي يعلم فيها ذلك وقررت التوجه لعميد معهد السكر د. إسماعيل عبده حيث قام بعمل كتيب غذائي بالسعرات المقررة يوميا المناسبة لوزنه البالغ90 كيلو جراما وطوله183 سنتيمتر واستغرق إعداده شهرا على أساس أن المريض يبذل مجهودا عضليا خفيفا وحين قدمته لعبد الناصر قال لي: يا ابني أنا أكل اقل كثيرا من هذا الكلام المكتوب وبمرور الوقت اكتشفت ذلك فعلا فأكله بسيط للغاية ويفضل الجبنة البيضاء وعصير البرتقال ولكنه بالرغم من ذلك لا يريد قيودا على طعامه.

ولماذا كان لا يقوم بالمجهود العضلي كالرياضة والمشي الذي هو جزء أساسي من علاج السكر؟

المشي كان شغلنا الشاغل لكنه يفضل لعبة التنس ويلعبها نحو ثلاث مرات أسبوعيا ويسبح في الصيف بالإسكندرية ويهوي الشطرنج كلعبة فكرية وكان يمشي أيضا ولكن المسافات كانت متواضعة فلم يكن من كتيبة المشائين التي تقطع مسافات كبيرة يوميا فالرئيس كان يبذل مجهودا نفسيا كبيرا لا يواكبه نفس المجهود العضلي لذلك كانت الصحة عليلة وحدثت انفراجة حين استقدم د. على البدري ساعة من ألمانيا تقوم برصد المسافات كلما تحرك الشخص فأعجب بها عبد الناصر واستخدمها وفي نهاية اليوم كانت تعطي إجمالي المسافة التي قطعها.

إلى أي مدى كان حريصا على صحته فقد أوثر عن الرئيس السادات قوله أن طريقة سامي شرف في عرض البوستة والأوراق على عبد الناصر خلصت عليه وأنا لا أريد نفس المصير. هل كان متوترا بالفعل طوال الوقت لا يستريح ومن ثم لا يريح وقد ذكر فتحي رضوان في مذكراته أن عبد الناصر كان يعقد جلسات مجلس الوزراء حتى الثانية صباحا وكان يداعبهم بقوله: (الصاحي) بدلا من الموافق يرفع أيده؟

سأجيب عما رأيته فعبد الناصر يكون في أروع حالاته وهو يمارس مهام عمله فالعبرة بالحالة النفسية للإنسان أثناء انشغاله بأمر ما لأن ذلك ينعكس ايجابيا على صحته. وكان يسهر بالفعل في مجلس الوزراء وأحيانا كان يخبرني أنه في حالة جيدة بالرغم من عودته للمنزل في الثانية صباحا لأنه بطبعه كان كائنا ليليا يشعر بالتوهج الفكري في المساء!!

هذه الإجابة تستدعي حالة عبد الحليم حافظ حين كان يصيبه النزيف بعد الغناء ولكن الأطباء سمحوا له بالغناء لأنه لو لم يفعل لمات بسبب الامتناع عن الغناء هل حالة عبد الناصر تحمل بعض هذه الملامح؟

إلى حد بعيد فالعمل مصدر سعادته الكبرى ـ لا المال ولا الطعام ـ يضاف إلى ما تقدم عوامل أخرى جديرة بالاعتبار، فالزعامة والشعبية الطاغية والمسئولية التي طوقت عنقه لم تكن تسمح له بأخذ قسطا من الراحة وحقيقة الأمر أن عبد الناصر كان مدمنا للعمل بدون انقطاع ويمتلك قدرة فريدة على مواصلته ومن المعروف أن الإنسان حين يتعرض للمخاطر والأحداث المباغتة يسارع المخ بإفراز هرمونات منبهة للكورتيزون والأدرينالين تسبب اليقظة والأرق وتستثير الطاقات الكامنة لمواجهة هذه الأعباء لكنها أيضا ترفع الضغط والسكر وعبد الناصر نتيجة للظروف الدولية المحيطة حوله كان أشبه ما يكون في حالة طوارئ دائمة ولكن في المقابل فالمخ يفرز بعض المواد المهدئة التي توقف مفعول الهرمونات النشيطة وخلال فترة عملي مع عبد الناصر والتي واكبت حرب الاستنزاف كانت أقصي أجازة حصل عليها لا تتعدي أسبوعا في أبريل 1970 حين حدث تغيير في رسم القلب الذي كان يجريه يوميا بل أنه لم يمتثل لأوامر د. شازوف الطبيب الروسي الشهير الذي أشرف على علاجه في مدينة تسخالطوبو عام 1968 حيث كان يعالج بالمياه الطبيعية في تلك المدينة التي تطل على البحر الأسود.

هل كانت طلباته عسيرة فعبد الناصر هو القائل: «إذا كتب علينا القتال سنقاتل» فلماذا أحجم عن قتال المرض؟

جمال عبد الناصر كان مريضا مطيعا بصفة عامة لكن فترة علاجه في تسخالطوبو لم تخل أيضا من مقابلات مع بعض القادة السوفيت وكنت بصحبته وأذكر أنه تقابل مع مصمم الطائرة الميج وكانت متطلبات د. شازوف من الراحة والاستجمام فوق طاقته فقد طلب منه أخذ أجازة ثلاثة أسابيع عقب العودة إلى مصر لكي يظهر مفعول العلاج وتخصيص يومين أسبوعيا للراحة وتخفيض عدد ساعات العمل التي كانت تصل إلى (18 ساعة) يوميا إلى سبع ساعات!! وفي النهاية قال عبد الناصر: من الأفضل أن أبحث عن عمل آخر ولم يمتثل لهذه التعليمات.

هل كان عصبيا في منزله.. وكيف كانت طقوس التعامل معه يوميا؟

عبد الناصر كان دمث الخلق يراعي الآخرين إلى أقصي حد وحين استمع إلى النقائص التي ينسبها إليه البعض مثل إصابته بالبارانويا أشعر أنهم يتحدثون عن شخص آخر فلو كان مصابا بالبارانويا لسمي السد العالي باسمه أو مدينة نصر مثلا بالرغم من أن العبرة بالإنجازات لا المسميات وأنا أشهد أنه كان في جميع تعاملاته يتعامل بأسلوب رفيع وخاصة داخل منزله فلم أشاهده ولا مرة أثناء عملي معه ثائرا أو غاضبا بل كان أبا مثاليا حريصا على الاجتماع بأفراد أسرته يوميا على مأدبة الغذاء بالرغم من مسئولياته الفادحة وحين يسافر للخارج كان الاتصال بزوجته السيدة الفاضلة تحية هو أول ما يبادر بتنفيذه لكي يطمئنها على نفسه وكان لا يحاسب الآخرين على الخطأ غير المقصود في أحدي ليالي الصيف طلب مني قرصا مهدئا لكي يخلد للنوم وفي صباح اليوم التالي قلت له: لعلك نمت نوما هادئا يا سيادة الرئيس؟ فأجاب أن عامل السويتش أيقظه في الثانية صباحا حين كان يقوم بتحويل التليفون لأحد الضباط فحوله بالخطأ على غرفته ولك أن تتخيلي ما الذي يفعله أي شخص حين يوقظه أحد من النوم وقد تناول منوما فلم أراه يتوعده أو يسب أو أي شيء من ذلك ولم يعاقبه بالمثل بل أنه كان متسامحا فيما يخصه من علاج ففي بعض الأحيان كنت أتفق معه على إرسال دواء ما في المساء وفي غمرة الانهماك في العمل، أنسى تماما وكان من جانبه لا يلومني بل أنني في إحدى المرات أرسلت إليه مرهم للجلد ولم أكن أعلم أن صلاحيته قد انتهت فاعتذرت وطلب مني إرسال مرهم آخر وتصادف أن اجتمع بالدكتور منصور فايز في غرفته وكان يتحدث تليفونيا مع السادات الذي يبدو أنه كان بحاجة لطبيب فقال له الرئيس: الدكتور منصور فايز بجواري وسيتحدث إليك وحين استمع إلى الدكتور منصور يقول الساعة السادسة حتى أخذ التليفون من يده قائلا: يا أنور هؤلاء أطباء لهم عيادات خاصة والدكتور منصور عيادته من الخامسة إلى السابعة والأفضل أن يكشف عليك قبل الخامسة وقد كان!! وأذكر أن أحد أفراد حراسته الخاصة تم إلقاء القبض على خاله لأنه من الإخوان المسلمين ورفض أن ينتقل هذا الضابط بجريرة خاله وعشرات الأمثلة التي يضيق عنها المكان!!

عبد الناصر ظل يدخن حتى نهاية حياته.. هل كانت هناك محاولات لمنع التدخين وخاصة أنه كان مريضا بالقلب؟

حاولنا مرارا وعقب مرور عام على عملي معه كتبت تقريرا طبيا عن حالته وكان الامتناع عن التدخين هو أبرز ما جاء فيه، فالتدخين ضار جدا بتصلب الشرايين والرئة ولكني أحبطت حين وجدته يتصفحه سريعا ويضعه بجواره في المكتبة وبعد مضي فترة زمنية زاره طبيب عالمي وأوصاه بالامتناع عن التدخين أيضا.

يقال إنه كان منظما للغاية لأنه كان قائدا لتنظيم سري «الضباط الأحرار» هل لمست ذلك بنفسك؟

بدون شك. فله عاداته ونظامه ومواعيده منضبطة تماما وكانت هناك أربعة أجراس تتوالى كل منها له هدف محدد: فحين يضرب الجرس الأول للسفرجي يبادر بتقديم الشاي والعسل إليه والجرس الثاني كان يعني دخولي لإعطائه حقنة الأنسولين وعمل الإجراءات الطبية اللازمة والجرس الثالث كان بمثابة إشارة لدخول غرفته وإعادة توضيبها ريثما ينتهي من حمامه الخاص الذي يستغرق20 دقيقة بالتمام والكمال والجرس الأخير كان إيذانا بتقديم الإفطار ودخول السيدة زوجته وكنت دائما ما أنسي نظارتي الطبية في غرفة نومه فوجدته ينصحني بضرورة وضعها هي والمفاتيح في مكان ثابت وشرح لي أن النظام يريح الإنسان من عناء التفكير في مثل هذه الصغائر لكي يتفرغ للموضوعات الأهم وفاجأني بقوله: أنني منذ أن عملت معه. قمت بلخبطة الأدوية في شنطته المخصصة لذلك وأنه كان بإمكانه فيما مضي الحصول على ما يريده منها في الظلام الدامس لأنها مرتبه ولم يشك إلا حين جاءت المناسبة وتلك كانت عادته.

ما هو الموقف الانفعالي الذي أثاره بصورة استوقفتك؟

عبد الناصر كان إنسانا بسيطا في أسلوب حياته منزله مكون من طابقين لا توجد به ديكورات لافتة يفضل البيجاما المصرية المقلمة والكرافتات السوليكا معتدلا في انفعالاته ما لم تمس الصالح العام ولدي يقين أن قيمة أي إنسان فيما يثيره فالرجل التافه كثير الانفعال يثيره أي شيء لكن الرجل العظيم يتملك زمام نفسه عند الغضب فيما يتعلق بانفعالات عبد الناصر فقد لاحظته غاضبا بشدة عقب الغارة الإسرائيلية على البحر الأحمر فسألته للمرة الأولى: ما الأمر يا فندم؟ قال: لماذا: قلت له سيادتك في حالة ضيق وأضاف هل أبدو كذلك قلت: نعم فاسترسل في الحديث وكان بطبعه قليل الكلام قائلا: ماذا أفعل لقد حذرت القيادة العسكرية

بضرورة أخذ الحذر إزاء العملية التي قمنا بها مؤخرا وأخبرتهم أن إسرائيل لن ترد إلا في البحر الأحمر لكني فوجئت بأنهم بدلا من تعزيز الموقع المستهدف قاموا بسحب كتيبة للتدريب!!

هذا يأخذنا إلى موقفه من المشير والخلافات التي نشأت بينهما منذ حرب 1956 بسبب تباعد الأساليب والرؤي العسكرية بينهما فلماذا أبقي على المشير ولماذا طالته الاتهامات عقب انتحاره وهل السياسة والأخلاق لا يجتمعان حقا؟

كان المشير عبد الحكيم عامر من أبرز أخطاء الرئيس عبد الناصر فلم يكن الشخص المناسب في المكان المناسب وأنا أخذ عليه أنه تعامل معه بأخلاقيات وشهامة أبناء القرية من منطلق أنه صديقه ولكن السياسة لا تحتمل تبعات الصداقة في كل الأوقات. وأنا أري أن السياسة والأخلاق لا ينفصلان فعبد الناصر رجل نزيه وشريف بكل ما تحمله الكلمة من معان فالأخلاق الجيدة تصنعها النظم الجيدة ولكنه في النهاية مسئول عن كل كبيرة وصغيرة وأنتهز هذه الفرصة لأوضح نقطة مهمة كثيرا ما تأتي بالباطل على السنة البعض فقد ظل عبد الناصر بعد هزيمة 1967 ممسكا بجميع الخيوط وموجها للأحداث وليس صحيحا أنه أحبط وأنه كانت توجد عصابة تدير البلد ولا يعلم عنها شيئا وفي النهاية الإنسان لا يحترم إلا السياسي النظيف والذي يثق في ولائه التام للوطن صحيح أن ميكافيللي نصح باختيار مساعدين سيئين لكي لا يرفعوا رؤوسهم وأصواتهم ولكن هذه سمات الدول اللا أخلاقية ولم نكن كذلك.

حضرت محاولة المشير الأولى للانتحار وكانت في منزل عبد الناصر.. فلماذا لم يتم أخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا تتكرر؟

من يقدم على الإنتحار ويفشل عادة ما يعيد المحاولة مرة أخرى. في 25 أغسطس 1967 كنت أجلس في السكرتارية في مكتب محمد أحمد فسمعت ضوضاء وهيصة سألت فقيل المشير جاء إلى منزل الرئيس وحراسته تم التحفظ عليها ودخلت الساعة الثامنة والنصف للراحة بعض الوقت في مكتب السكرتارية ففوجئت بمصطفي عزيز رئيس الحرس يصرخ قائلا: المشير انتحر فجريت على الفور وكانت شنطتي إلى جواري متوجها لمنزل الرئيس فقابلني زكريا محيي الدين وأخبرني أن المشير دخل دورة المياه وعقب خروجه اكتشفوا وجود شريط دواء منزوع الغلاف وبداخله بودرة ووجدت المشير جالسا على الكنبة ويجلس أمامه حسين الشافعي وأنور السادات وكانا متماسكين وهو يقول خلاص انتحرت فسألته ماذا أخذت لكي

أساعدك فقال: «لما تشوف حلمة ودنك» وفكرت كيف أنقذ حياته بأقصى سرعة في حالة تعاطيه أحد السموم وتوصلت لغسيل المعدة ولم تكن حالته تسمح بذلك فلن يرضخ_ فقلت أسرع وسيلة هي إحداث القيئ المتكرر لكي يفرغ ما في معدته وحاولت أن أمسك ذراعه ولم أفلح وحاول السادات ودفعه المشير غاضبا ثم جاء حسين الشافعي وقام بتلجيمه بالقوة وقمت بإعطائه حوالي ثلاث حقن متتالية في الوريد.

ولماذا كنت تحتفظ بالحقن المسببة للقئ دون وجود ما يستدعي ذلك؟

لم تكن الحقن مسببة للقيئ بالأساس ولكنها حقن منبه للتنفس إذا شعر الإنسان بأي ضيق ولكن إذا تضاعفت الجرعة يحدث القيئ وعقب ذلك أعطيته بعض السوائل المنعشة وجاءني السيد أمين هويدي يخبرني أن الرئيس عبد الناصر - ولم يكن موجودا بالمنزل - يسألني عن جميع الطلبات اللازمة لإنقاذ حياته فذكرت أنني أريد مبطلات السموم من مستشفي الطيران واستدعاء مدير الخدمات الطبية لكنه كان موجودا بالبحر الأحمر واستأذنت الجميع في الذهاب إلى منزلي لإحضار حقنه (ريتالين) منشطة وبعد عودتي لم أجد المشير وأخبروني أنه عاد إلى منزله فقلت لمحمد أحمد (السكرتير الخاص) أنا أخشي أن أذهب لزيارته ولا أعود مرة ثانية فضحك فذهبت إليه في الصباح الباكر وحين شاهدني قال: أنت فاكر نفسك جبت الديب من ديله؟! قلت له: نعم يا فندم وبالفعل كنت سعيدا لأني أنقذت حياته.. وكان هادئا نسبيا_ وحين عدت إلى منزل الرئيس سألني عن المادة التي تناولها فأخبرته أن السجادة تم تنظيفها ولم يتيسر لي القيام بتحليلها وإذا كان أطباء النفس يؤكدون أن محاولة الانتحار غالبا ما تتكرر فقد حدث ذلك بالفعل مع المشير عقب مرور ما يقرب من أسبوعين حين كنت في الإسكندرية بصحبة الرئيس وفوجئت بأنه ترك لي رسالة لكي ألحق به لأنه اضطر للسفر إلى القاهرة لأن المشير انتحر!! أما ما قيل عن اتهام عبد الناصر بالقتل فشئ لا يصدقه عقل وغير صحيح بالمرة.

كيف استقبل خبر وفاته هل كان رابط الجأش قيل أن الرئيس حين بلغه نبأ انتحاره في المرة الأولى قال المشير أجبن من أن ينتحر؟

كما أخبرتك فقوة الإنسان بما يثيره وكان بطبعه متزنا متماسكا ولم يقل الرئيس هذه العبارة ويؤسفني أن التاريخ لا يكتب صحيحا ومن الصعب أن يكون كذلك!!

كيف كانت حالة الرئيس النفسية عقب هزيمة 1967؟

كان متأثرا بالطبع واتخذ قرار التنحي وفوجئت بالجماهير تجري في شارع سليمان باشا وهو لم ينته من خطابه فلم تكن تمثيلية ـ وكانت هذه التظاهرة الشعبية التلقائية إلى جانب الحفاوة التي إحاطته من الشعب السوداني أثناء زيارته للخرطوم في أغسطس 1967 وكنت بصحبته وفي بنغازي 1970 ولم افترق عنه يوما واحدا حتى وفاته وكانت هذه المحبة من أهم العوامل التي ساعدت على رفع معنوياته بصورة بالغة.

يوجد نظام متعارف عليه لحماية الرؤساء فلماذا أحاطت الشكوك بوفاة عبد الناصر؟

بادئ ذي بدء فأغلبية الناس لم تكن تعلم عندما سمعت خبر وفاته أنه كان مريضا بالقلب وأصيب بالجلطة الأولى في الشريان التاجي عام 1969 وكانت جلطة بدون ألم وهو أمر شائع لدي بعض مرضي السكر وفي عام 1970 أصابته الجلطة الثانية التي سببت وفاته، فالناس اعتادت رؤيته يوميا وقد توفي في الثانية والخمسين من العمر، والكثيرون يعانون من السكر لكنه لا يسبب الوفاة هكذا كان وقع الخبر إضافة إلى الملابسات التي إحاطته فقيل إن الرئيس تناول كوبا من عصير البرتقال وهو في المطار يودع أمير الكويت والوفد المرافق بعد انتهاء مؤتمر القمة العربي وحقيقة الأمر أن الرئيس كان له سفرجيا خاصا به يقوم بإعداد الطعام وتقديمه له في المآدب الرسمية في أماكن مختلفة دون أن يلحظ أحد ذلك وكان يأكل من يد السيدة الفاضلة زوجته وكان يعاونها الطباخ بالطبع إضافة إلى وجود طبيب متخصص في التغذية كان يصاحبه وغالبا ما يكون خبيرا بالسموم ويقال أن أمير الكويت كان بصحبته خبير تغذية أمريكي هو الذي قدم له العصير ولكن لا توجد دلائل تؤكد ذلك فمن الصعب جدا اختراق هذا السياج الخاص بحمايته.

الأعمار بيد الله ولكن هل يوجد تاريخ مرضي في عائلته؟

إذا شئنا أن نبحث كيف مات فينبغي أن نقرأ جيدا كيف عاش.. فحياته كانت مثقلة بالهموم والمسئوليات خاصة بعد هزيمة 1967 حيث كانت حرب الاستنزاف على أشدها فأغارت إسرائيل على جزيرة شدوان عند مدخل خليج السويس وعلي مصنع أبي زعبل وعلي

مدرسة بحر البقر وردت مصر على كل ذلك وسافر إلى موسكو للحصول على صواريخ أرض جو لحماية العمق المصري ودخل مفاوضات وأعلن قبول مصر مبادرة روجرز واختطف الفلسطينيون أربع طائرات أمريكية مدنية عملاقة وقاموا بنسفها واتجهوا بإحداها إلى القاهرة.. إضافة لزيارته للجبهة واكتملت المصائب بالحرب التي اندلعت بين الفلسطينيين والأردنيين (أيلول الأسود) وكان الجهد غير العادي الذي بذله في مؤتمر القمة العربي في القاهرة للحيلولة دون تدهور الموقف وانحداره يمثل قمة الإعياء والإرهاق بالنسبة لمريض بالقلب حيث استقبل ملوك ورؤساء تسع دول وقام بتوديعهم وأجري مباحثات مع كل منهم ففي عام 1970 وحده استقبل 38 رئيس دولة ورأس مجلس الوزراء سبعة عشر مرة ومن المؤكد أنه استمع إلى تسجيل السفارة الأمريكية الذي جري بين أحد رجالها و إسرائيلي يقرران فيه أهمية التخلص منه بالموت أو المرض وأنه راجع إجراءات الأمن وكذلك لم تكن المياه الطبيعية في تسخالطوبو مسممة لأنني كنت والمرافقين بصحبته نتناول حماماتنا فيها أيضا ولكن الفاعل الرئيسي هو الموروث الجيني في عائله الرئيس فقد توفي أخاه الليثي وعز العرب بأزمات قلبية في نفس السن تقريبا ولم ينج إلا أخوه شوقي ولكن نجله اجري عملية قلب مفتوح فعبد الناصر مات بالقلب وهو المرض الوراثي في عائلته!!

□□□

22- جمال الشرقاوي

أفيشات في الشوارع اندلع منها اللهيب قبل حريق القاهرة!

قبل الحريق قامت جهة ما بشراء بنزين الولاعات من شركة شل

«عش في خطر» نصيحة نافذة تستدعي كل الحواس والمشاعر والطاقات الكامنة داخل الإنسان للتأهب والاستنفار، وعادة ما يحدث العكس في فترات الاستقرار والرخاء وقد تجلت هذه العبارة في أروع صورها في فترة الكفاح المسلح والعمل الفدائي في مصر منذ الاحتلال الانجليزي عام 1882 وبلغت ذروتها عام 1951 بعد إلغاء معاهدة 1936 بين مصر وبريطانيا من قبل النحاس باشا في 8 أكتوبر 1951 ذلك القرار الذي وصفه تشرشل بأنه يمثل إهانة للكرامة الإنجليزية. اتحد الشعب المصري بكل طوائفه لمقاومة الانجليز بدءا من النحاس باشا وفؤاد سراج الدين وانتهاء بأم صابر شهيدة السويس. كان هناك تسابق وتدافع للسفر إلى منطقة القناة للاشتراك في كتائب الفدائيين. رفض العمال البسطاء على الرغم من تواضع حالهم العمل في معسكرات الانجليز. اختلت السنة الدراسة عام 1951 - 1952 ولم تنتظم الدراسة إلا مائة يوم فقط. عقب مذبحة الإسماعيلية في 25 يناير. شهدت مصر أطول وأسوأ يوم في تاريخها. احترقت القاهرة في 26 يناير وأتت النيران على قلب العاصمة بصورة لم يسبق لها مثيل في العالم على حد وصف الخبراء. لم تحسم النتائج. علامات استفهام عديدة ظلت بلا إجابة شافية فأثار الأمر الفضول البحثي للأستاذ جمال الشرقاوي المؤرخ القدير والكاتب الصحفي فتصدي لدراسة هذا الحادث الجلل إيمانا منه بأن الحقيقة قد تتواري بعض الوقت. لكنها لا تموت. فالمغزى السياسي من استخدام أساليب العنف والمؤامرات يتكرر في أشكال تناسب كل عصر لكنها لا تختلف كثيرا في الجوهر عن العبارة الخالدة لميكافيللي «الغاية تبرر الوسيلة».

ما الذي دفعك لدراسة حريق القاهرة على وجه الخصوص؟

ربما كان هذا الغموض الذي لف القضية هو الذي أثار فضولي البحثي والصحفي أيضًا. فأنا خريج آداب قسم تاريخ وأعمل بالصحافة وكان حريق القاهرة قد أثار اهتمام الرأي العام العالمي لكونه أخطر مؤامرة عدوانية شهدتها مصر في فترة ما قبل الثورة - وعدم تحقيق الحدث كان يشكل نقصا في الفكر السياسي.. باستثناء دراستين جادتين لسعد زهران وأستاذي محمد أنيس. حيث قام الأخير بدراسة الحادث ونشر نتائجه في جريدة الجمهورية ثم أصدرها في كتاب. وكنت أنوي القيام بعمل رسالة ماجستير عن هذا الموضوع لكني توقفت حين علمت أن محمد أنيس (أستاذ التاريخ الحديث الشهير) أتم دراسته. لكن حين قرأتها. لم أتفق تماما مع معظم ما ورد فيها. وفضلت أن ابتعد عن الدراسة الأكاديمية وأن استخدم كل أدواتي الصحفية وأستفيد من تنوعها فقمت بمقابلة أكثر من خمسين شخصية عامة ممن كانت لهم صلة مباشرة بالحريق والعمل السياسي وعلي رأسهم فؤاد سراج الدين وزير الداخلية آنذاك وعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية الوفدي ومراد الخولي حكمدار العاصمة واللواء إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسي وأحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي الذي وجه إليه الاتهام الرسمي بحريق القاهرة!! وذهبت للمتحف القضائي وقضيت ما يقرب من العام تقريبا اطلعت فيه على ملف القضية بالكامل ولم اترك شاردة ولا واردة ولا أي ورقة أو مستند دون قراءته. بالإضافة للاطلاع على كل أطراف الحدث وملابساته. ولم أكتف بذلك ولكني عقدت العزم على السفر إلى لندن عام 1983 بعد مرور عام واحد على الوثائق المحجوبة لمدة ثلاثين عاما عن حريق القاهرة ومكثت أكثر من ثلاث شهور أتردد فيها على دار الوثائق البريطانية حتي تبلور الموضوع تماما وتجمعت معظم الخيوط أمامي على مائدة البحث. وتأكدت من الوثائق أن مذبحة البوليس في الإسماعيلية يوم 25 يناير مدبرة من قبل حدوثها على مستوي رئاسة الأركان البريطانية.. وتم الإعداد الكامل لها بما في ذلك الحملة الإعلامية والبيان الرسمي الذي سيلقي كل ذلك قبل 26 يناير بوقت كاف. وبعيدًا عن الوثائق. ظهرت في بعض المناطق في القاهرة مثل شبرا ومصر القديمة وشارع فؤاد - يوم 25 يناير أفيشات تصور مدينة القاهرة وهي تحترق وألسنة اللهيب الحمراء تتصدرها وكتب تحتها «الشيوعيون فعلوا هذا».

هل الوثائق كتبت بطريقة مقنعة بحيث لا يفهم مغزاها إلا ما بين السطور أم كانت صريحة سافرة؟

كانت لدي تساؤلات وبعض الاستنتاجات في الدراسة الأولى بعضها تأكد من الوثائق. وكان فيها ما يكفي فقد كتبت بلغة دبلوماسية ولا تحتاج للقراءة ما بين السطور. كانت بشائر الفرح بادية في هذه الوثائق نتيجة لتنفيذ العملية. وجاء في برقيات السفير البريطاني أن الملك كان يعتزم الاستعانة بالانجليز إذا تدهور الموقف في اليوم التالي!! وقد وصف انتوني ايدن عملية الإسماعيلية بأنها نفذت بطريقة سيئة ومشينة أما حريق القاهرة فهو عملية مرسومة.

يقال أن الظروف لا يمكن خلقها مرة أخرى ولكن ما هي الأجواء التي أحاطت بالحريق والظروف التي دفعت بالأحداث حتى هذا المطاف الذي لم تعهده مصر من قبل؟

جاءت حكومة الوفد برئاسة النحاس إلى الحكم عام 1950 ووجدت ترحيبا شعبيا لأن الملك كان دائم الإطاحة بالوفد والاستعانة بحكومات أحزاب الأقلية ولم تكن لها شعبية. وانعقدت الآمال على هذه الحكومة في حسم قضية جلاء الانجليز. ومنذ صيف 1951 ومصر تغلي كالمرجل. فالمؤتمرات السياسية والاجتماعات والمظاهرات لا تنقطع. وتعاهد الجميع على بطلان معاهدة 1936. ودعوة مصر كلها حكومة وشعبا لرفضها من خلال إيقاف التعامل مع الانجليز على المستوي المدني والعسكري والامتناع عن توريد الأدوية والطعام لمعسكراتهم وامتنع عمال السكك الحديدية وآلاف العمال البسطاء الذين كانوا لا يجدون قوت يومهم. وتجلت روح ثورية سرت في الحياة السياسية في مصر وتحت هذا الضغط الشعبي الرهيب ألغت حكومة الوفد معاهدة 1936.

احترق قلب القاهرة. وفقدنا تراثا معماريا فريدا يعود لعهد الخديو إسماعيل. حيث قام بتشييد معظم هذه المباني على الطراز الفرنسي. الأمر الذي لا يعلمه الكثيرون لظنهم أن هذه المنشآت التاريخية منذ عهد إسماعيل وربما لا يعلمون أنه تم تجديدها وإعادة بنائها. عقب الحريق. فما هي أهم الخسائر التي تم حصرها؟

طال الحريق قلب العاصمة وامتدت النيران في بعض المناطق حتى شارع الهرم. اندلع

الحريق من كازينو بديعة بالأوبرا الساعة 21.03 تقريبا واستمر حتى الحادية عشرة مساء. وطال معظم شوارع وسط البلد شارع عدلي وسليمان باشا وقصر النيل وفؤاد وعبد الخالق ثروت وشارع شريف والبستان وعماد الدين ونجيب الريحاني وشارع الجمهورية وميدان التوفيقية والإسماعيلية (التحرير) وميدان رمسيس وشارع الشواربي والفلكي وشامبليون وكلوت بك ومحمد على والفجالة والبستان ومحمد فريد - وقدرت الخسائر بأكثر من 700 حريق منها 300 شركة كبري و 117 مكتبا و 40 دار سينما (ريفولي وديانا ومترو وراديو وميامي) وثلاثة عشر فندقا أشهرها شبرد و 37 مقهي ومطعما و 61 ناديا وأكثر من 300 محل تجاري وبنك باركليز الانجليزي. وقدرت الخسائر البشرية بوفاة 36 شخصا وإصابة أكثر من خمسمائة، بالإضافة للجرحي. أما الخسائر المالية فقدرت بمائة مليون جنيه. كنت في العشرين من عمري حين وقع الحريق. كانت القاهرة ثائرة على المستوي الشعبي كالبركان وتطايرت الحمم رمادا ودخانا ملأ سماء القاهرة وعجز الجميع عن فعل أي شيء لإيقاف الحريق فالمطافئ كانت قوتها تقترب من (1000) عسكري يعملون في ظروف شديدة الصعوبة. حيث كان يتم قطع خراطيم المياه والعمل على إشعال الحرائق مرة أخرى من قبل الجماهير الذين وصفوا - بالرعاع - في التحقيقات الرسمية وما تكاد المطافئ تطفئ حريقا حتى يشتعل آخر بهدف التشتيت. وتحمس العديد من الأفراد العاديين وشعروا أنهم يقاومون بعمل وطني حين قيل لهم إن الحريق يهدف لتدمير المحلات الأجنبية وجميع ممتلكات الانجليز احتجاجا على مذبحة الإسماعيلية!

هل تم الاستعانة بجماعات اندست وسط الجماهير للقيام بهذه الأعمال التخريبية. ولماذا لم تتصدي لهم قوات الأمن، فقد قيل إن فؤاد سراج الدين كان يشتري عمارة في ذلك اليوم وقام بتسجيلها في الشهر العقاري ولم ينكر هو شخصيا الواقعة، وقال إن الأمر لم يستغرق إلا دقائق معدودة؟

التحقيقات التي أجرتها النيابة أثبتت أن إشعال الحرائق تم باستخدام الكيروسين والبنزين وبعض المواد الفسفورية مثل البودرة الحارقة وشوهد رجل له ملامح أوروبية يرتدي (مريلة) يكتبش من هذه البودرة ويقوم بإلقائها وكانت مادة نادرة غير متوافرة في الجيش ذاته!! مع الأخذ في الاعتبار أن يوم الحريق (السبت) كان عطلة في معظم المحال

الأجنبية مثل شيكوريل فتمت الاستعانة بالبلط لكسر هذه المحال لفتحها وقذفها بكرات مغموسة بالبنزين وصفائح البنزين لتتحول إلى قطعة من جهنم. أما الشيء المؤسف حقا الذي اكتشفته النيابة فيتعلق باستخدام علب البنزين الصغيرة المخصصة لملء الولاعات التي كانت تنتجها شركة شل الإنجليزية. وأثبتت التحقيقات أن رصيد الشركة نفد منذ 18 ديسمبر 1951. أي أن جهة ما قامت بشراء كل المخزون لاستخدامه يوم 26 يناير 1952. وأشارت الصحافة آنذاك بأصابع الاتهام إلى الانجليز حيث غادر موظفو الشركات الانجليزية مكاتبهم قبل الحريق بساعات وقام بنك باركليز بنقل جميع تعاملاته من فرع قصر النيل إلى الموسكي قبل الحريق بيوم واحد وخلا النادي الانجليزي (الترف كلوب) من الرواد على غير عادته. فيما يتعلق بفؤاد سراج الدين فقد كان وزيرا للداخلية وداعما للنشاط الفدائي في نفس الوقت، وكذلك عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية الذي وجهت إليه تهمة إلقاء خطبة في ساحة مجلس الوزراء. كانت سببا في تأجيج مشاعر الغضب عند الجماهير و إقدامهم على الاشتراك في الحريق.. فالحكومة الوفدية كانت داعمة للنشاط الفدائي. وكان يواجهها تحد يتمثل في عدم الصدام المباشر مع الانجليز. لذلك تم اعتقال كلا الوزيرين لتنسيقهما بين الكتائب الفدائية وحددت إقامة كلا من سراج الدين وعبد الفتاح حسن في بلدته. وحين تحدثت مع عبد الفتاح حسن رحمه الله عن هذا الموضوع لم ينكر خطبته لكنها لم تكن سببا في الحريق لأنها كانت الساعة 4.45 والحريق بدأ 3.21 تقريبا. ولكنه أعلن في الخطبة أن جماعة (إخوان الحرية) الانجليزية وهي تضم عملاء مصريين هم الذين أشعلوا الحريق وأصدرت أمرا بإغلاق نواديهم. وذكرت ما فعلوه بكنيسة السويس يوم 4 فبراير من تدمير حتى أنني وأنا مسلم حين شاهدتها دمعت عيناي وتنبأت أنهم سيقومون بعمل أكثر تدميرا. وأكد عبد الفتاح حسن أن الانجليز أرادوا الانتقام منه. لأنه قام بهدم ثكنات قصر النيل التي حوكم فيها عرابي ـ بالإضافة إلى أنه كان هناك مشروعان وافق عليهما مجلس النواب الأول يقضي بتأميم كل من يتعاون مع قوات الاحتلال والثاني يبيح حمل السلاح للعامة فجاء الحريق وقضي على المشروعين. فيما يتعلق بقوة الأمن فكانت مكونة من 900 عسكري من قوة دورية الليل أي أنها كانت منهكة ليس معهم رصاصة واحدة يتصدون بها لسكان القاهرة 4 ملايين نسمة!

تغلغلت بريطانيا في الحياة الاجتماعية في مصر. وقيل إنها كانت تعلم أدق خصائصنا. فكيف تهيأ لهم ذلك؟

كان يوجد في مصر جماعات عديدة على صلة تامة مع المخابرات البريطانية وفي مقدمتها الشركات والمؤسسات البريطانية الكبرى ومعظم كبار الموظفين في هذه الشركات كانوا يعملون مع الانجليز وقد أخبرني كمال رفعت من الضباط الأحرار ومسئول المخابرات في منطقة القناة بعد الثورة أن بريطانيا استخدمت أساليب عديدة لاختراق الحياة في مصر مثل حفلات الصالونات والاتحاد المصري البريطاني. ويضم العديد من الشخصيات البارزة وجماعة إخوان الحرية وكانت تضم العديد من الطلاب. بالإضافة لشركة شل ومكتب الشاي الدولي. وكان لديهم معسكر سيئ السمعة في كسفريت للتدريب على الأعمال القذرة.

لماذا أشارت أصابع الاتهام إلى الملك. هل بسبب المأدبة الملكية. أم لإقالة حكومة الوفد. وقد رد حسن يوسف وكيل الديوان الملكي بأن الملك لا يحتاج لحريق لإقالة حكومة النحاس فلماذا تم تبادل الاتهامات وتداولها ما بين الملك والانجليز والوفد والشيوعيون والضباط الأحرار؟

في تلك الآونة كان الملك فاروق يحتفل بقدوم ولي العهد أحمد فؤاد وأقام القصر أربع مآدب غداء. وكان مفترضا أن تكون المأدبة الأخيرة يوم 24 يناير للضباط (الجيش والبوليس) ولكن تم إرجاؤها من قبل رجال القصر لكي لا يحضر الملك مأدبتين في يومين متتاليين ـ وتم إرسال الدعوة في البداية لكبار الضباط ثم أرسلت إشارة لاحقة باللاسلكي للأقسام بدعوة الضباط صاغ فما فوق في كل القاهرة وجميع مأموري الأقسام باستثناء وزير الداخلية سراج الدين والحربية مصطفي نصرت وتوجه الضباط يوم 26 يناير الساعة الثانية عشر والنصف إلى قصر عابدين واندلع الحريق وهم بالداخل. وصدرت الأوامر لهم بالخروج من الباب الخلفي لقصر عابدين تجنبا للزحام والاضطرابات. وهكذا احترقت القاهرة وجميع الضباط بمنأى عن هذا الحدث الجلل. وقد تم توجيه الاتهام الرسمي لأحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي وكانت له مقالات نارية ضد الملك ومعاديا لحزب الوفد حيث أدانته النيابة بإحراق عدة أماكن في القاهرة عمدا واستندت إلى شهود العيان ولكن اتضح فيما بعد أنه كان هناك شبيه لأحمد حسين تم إلقاء القبض عليه هو وصديقه أيضًا حيث تصادف وجودهما في منطقة وسط البلد وقت الحريق وقد اضرب أحمد حسين عن الطعام وقد تعمدت النيابة ألا يظهرا في وقت واحد لكي لا يتضح الشبه بينهما وكان الملك يضمر له كراهية شديدة ويريد شنقه لأنه سليط اللسان

على حد تعبير فؤاد سراج الدين. وفيما بعد أفرج عن هذا الرجل و يدعي على عبد الحليم أما أحمد حسين فلم يفرج عنه إلا بعد قيام الثورة بستة أشهر. لان على ماهر اصر على ذلك مستندا إلى أنها قضية رأي عام عالمي. فيما يتعلق بالضباط الأحرار فقد رفض عبد الناصر التحرك للاستيلاء على السلطة في ذلك اليوم الأمر الذي أغضب عبد اللطيف بغدادي ولزم بيته وقد نزل عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لمشاهدة الحريق. ولم يكن هناك أي تخطيط للقيام برد فعل لأن ذلك كان مقررا له عام 1955.

كيف سار التحقيق في الوثائق البريطانية؟

المحقق المصري يؤخذ عليه انه أبعد الاتهام عن الفاعل الحقيقي. فجميع الاتهامات التي وجهت لأحمد حسين كان يتم تفنيدها من قبل النيابة. كان هناك فساد متعمد لأسباب سياسية. التحقيق البريطاني في الوثائق كان مشتتا فذكروا على سبيل المثال: «أن الذين قاموا بالحريق عصابات منظمة. بصورة لم يعهدها الشعب المصري في تاريخه وان أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكي لا يستطيع القيام بهذه المهمة وحده..وأشاروا إلى البودرة الحارقة التي لا تباع أو تستخدم في مصر. وكانت المفاجأة التي حصلت عليها أثناء بحثي تتمثل في خطاب أرسله مجهول إلى على ماهر رئيس الوزراء يفيد بتتبعه لسيارة جيب يوم الحريق التقت مع سيارة أخرى ومنح أفرادها نقودًا وانطلقوا في شوارع القاهرة وتتبعها الشاهد فحول مرتضي المراغي الخطاب لإبراهيم إمام رئيس البوليس السياسي وتمت المراقبة لأكثر من ثلاثين يوما ـ حيث نجح البوليس في حصر شبكة مخابرات بريطانية وتحديد أماكنهم ولكن هذا التقرير الهام صدر بعد يوم واحد من صدور قرار النائب العام باعتقال أحمد حسين!! لذلك لم يعتد به في ملف القضية.

ما الذي استوقفك كباحث في ملف هذه القضية الشائكة؟

بداية الانجليز لا يقومون بعمل أي شيء دون وجود خطة مسبقة وعلي مراحل. وبالفعل كانت هناك خطة تدعي (روديو) للتصدي لإلغاء المعاهدة والمقاومة الوطنية تتمثل في احتلال الإسكندرية (مرة أخرى) والقاهرة والإسماعيلية. بعد أن رحلت قواتهم عن مصر بعد إلغاء المعاهدة وانحصروا في منطقة القناة. ولو طبقت هذه الخطة كانت ستكون كارثة لا تحتمل.

وقـد لا يعلـم البعض أن أمر يـكا تورطت في الحر يـق وقبل الثورة عهـدت بالملف المصري إلى كيرميت روزفلت حفيد الرئيس تيودور روزفلت وهو من أكفأ رجال المخابرات يجيد العربية وأكـثر مـن لغة. انتقلت أمر يـكا للعالم العربي خوفا من انتشـار الزحف الشـيوعي ولإزاحة بر يطانيا عن مصر قلب الأمة العربية.

وقـد وجدت صمتا مر يبـا في الوثائق الأمر يكية عـن هذا اليوم وكأنـه لم يكن له وجود فهل يعقل أن يغفل السـفير الأمر يكي عن مراسـلة وزير خارجيته بشـأن هذا الحادث المهيب الـذي اهتزت له الدنيا وحين وجهت انتقادا بهذا الشـأن على صفحات جر يدة الأهالي. أرسـل لي السـفير الأمر يكي في القاهرة فرانك وزنر. وحاولت السـفارة مساعدتي للحصول على وثائق هذا اليوم عن طر يـق المركز الثقافي الأمر يكي ومكتبة الكونجرس ولم نحصل على أية نتيجة. ولكني حصلت فيما بعد بمسـاعدة بعض الأصدقاء في أمر يـكا على صور وثائق عام 1952 ولم نجد شيئا أيضا يعتد به عن أحداث هذا اليوم في حين أن السفير البر يطاني ذكر في رسائله أكثر من مرة أنه تقابل مع السفير الأمر يكي وأن الأخير تقابل مع الملك فاروق يوم 26 يناير بناء على طلب فاروق. إذن أمر يكا تري أن هذه المراسـلات لا يجب نشرها حتى الآن بعد مرور ثمانية وخمسين عاما ولكن هناك من سيقرئها حتما من الأجيال القادمة لعله يحظي بالإجابة الشافية.

□□□

٨ صفحات

١٥ مليما

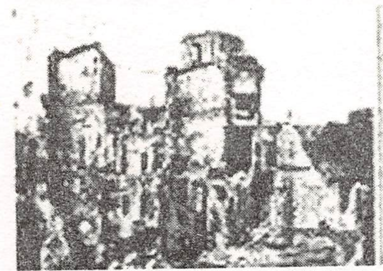


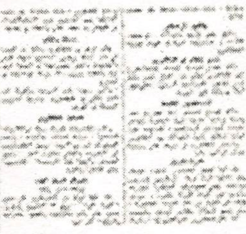


مأساة القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢

تدمير فندق شبرد وبنك باركليز وصفوة المتاجر الكبرى ومعظم دور السينما

الحريق يشتعل في ٢١٧ مؤسسة عامة مصرية وأجنبية ويلتهم بعض موظفيها ونزلائها





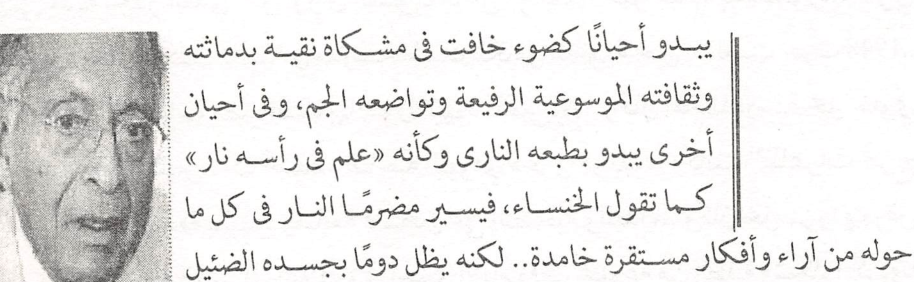


حريق القاهرة .. اشتعل فيه معظم سينمات القاهرة (سينما ريفولي)

23- د رفعت السعيد

أصبحت شيوعياً بالمصادفة!

اعتقلت لأنني قلت (بس)



يبدو أحيانًا كضوء خافت فى مشكاة نقية بدماثته وثقافته الموسوعية الرفيعة وتواضعه الجم، وفى أحيان أخرى يبدو بطبعه النارى وكأنه «علم فى رأسه نار» كما تقول الخنساء، فيسير مضرمًا النار فى كل ما حوله من آراء وأفكار مستقرة خامدة.. لكنه يظل دومًا بجسده الضئيل وابتسامته الخجولة نموذجًا لليسارى النهم للمعرفة والجدل.. فالدكتور رفعت السعيد شخصية تبعث على الحيرة لدى الكثيرين.. اتهمه معارضوه «بالزئبقية» ولكن الرجل ينفى الاتهام ويستند إلى أنه لا يعف عند المغنم فقط ولكنه يؤكد أنه ليس هناك مغنم من الأساس سوى إعلاء صوت الحقيقة مهما كلفته من سجون واعتقالات وأسمال بالية بعيدًا عن طيات الحرير والمقاعد الوثيرة والجلوس فى الأبراج العاجية.. ارتبط اسم د. رفعت بالإخوان المسلمين وكانا من أشهر الثنائيات السياسية لا يعبأ بالهجاء الذى لم يزده إلا صلابة وإصرار فهو لا يتوقف عن المراجعات وإرجاع البصر كرتين ومن ثم يبدو تبديل المواقف اتساقًا مع الواقع والوقائع.. لأن الحياة لا تتناقض مع الخطأ.. لكنها تتنافى مع الجمود.. فهو ينشد ليبرالية تناضل من أجل التغيير ولا تغرد لذاتها كالعصفور، لذلك من الصعب أن يكون الإنسان ليبراليًا ومتخلفًا فى آن.. تبلغ مؤلفات د. رفعت 65 كتابًا أما دراسته عن تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر والتى استغرقت من عمره 20 عامًا فهى من مآثر أعماله لأنها أضاءت الأركان الخافتة عن طبيعة النشاط الشيوعى ومعظمه يتسم بالسرية فى معظم الفترات. خلف د. رفعت فارس الثورة النبيل خالد محيى الدين فى رئاسة حزب التجمع بتاريخه ونضاله ورموزه اللامعة منذ نشأته عام 1976.. ولكن بعد ثورة

يناير تعرض التجمع كغيره من الأحزاب للاختبار لأن الشارع تجاوزهم جميعًا كما يقال.. لكن د. رفعت يؤكد أن الحزب مازال يدمدم بالحيوية وروح المقاومة والكوادر الجديدة.. فهل سيتحقق ذلك آجلا؟

كنت أصغر معتقل سياسي في مصر عام 1948.. فكيف ترى ظلال هذه التجربة الآن وما هو الوشم التي تركته في وجدانك؟

بابتسامة هادئة يجيب: هذه تجربة لا تنسى حتى استدعيها ولكنها قابعة دومًا في اللاوعي فهي بمثابة الجذر الذي حمل أوراق الشوك أنا من مواليد «كفر غنام» بالمنصورة.. أسرتي ميسورة الحال.. كنت تلميذًا في مدرسة الملك الكامل الثانوية حين أندلعت حرب 1948.. وبدأ الإخوان وجماعة مصر الفتاة يهاجمون اليهود المصريين.. زكان أمام المدرسة محل خلوي سمسمية وفولية شهير.. كنا أصدقاء صاحبه اليهودي «عزرا دويك». وكانت الظاهرات تخرج وقت الفسحة مندِدة باليهود ومبايعة فلسطين على التضحية والفداء.. وكان محل عزرا يتعرض للضرب بالحجارة فيضطر إلى إغلاقه وفي إحدى الأيام وقف مجموعة من الطلبة وشكلوا كردونًا بشريًا لحماية المحل.. فوقفت معهم.. وسارع مخبر المنطقة بكتابة اسمي بالقلم الكوبية وفي اليوم التالي فوجئت ببعض الطلبة ينادونني: أهلًا يا رفيق.. وسُئلت: هل أنا شيوعيًا؟ فأجبت بلا.. وكانت إجابة متوقعة لأن الشيوعي لا يعلن عن نفسه وهكذا أصبحت في البداية شيوعيًا بالصدفة وكان طرد اليهود غلطة لأنهم أصبحوا فيما بعد ذخيرة لإسرائيل فهم أدرى الناس بشعب مصر وجغرافيتها وتاريخها ثم تطور الأمر تدريجيًا وبدأت التعرف على البنية الفكرية تدريجيًا وبصورة طبيعية وطلب مني أحد الأشخاص الذين كان يستعين بهم الأمن لمعرفة الشيوعيين كتابة اسمي الأصلي واسمي الحركي في ورقة لكي يخطر به الرفاق.. فطلبت منه أن يقوم هو بذلك وحين قبض على لم يكن التوقيع مطابقًا لخطي ومع ذلك تم ترحيلي لسجن الهايكستب.. كنت وحيدًا وسط غرباء بلا أدنى اهتمام أو عاطفة أبوية فكنت أشعر أنني قطة بلا صاحب.. وتعلمت أن السياسي إنسان قبل أي شيء و إن الشعور بالأبوة يجب أن يتوازى مع حجم المسئولية القيادية.. كنت طرى العود.. صغير السن والوعي.. والقوم حولي في السجن يلوكون عبارات رنانة مثل البلشفية والانتهازية والبروليتاريا. وأدركت أن الشعارات هي أهون ما يحرص عليه الإنسان واقعيًا وشرح لي أستاذ الطبيعة أمين تكلا في

المعتقل سبب حالة السيولة لدى بعض الشيوعيين.. إنها «نظرية الاستيك» إذا شددناه بقوة في اتجاه اليسار فبمجرد أن نتركه يندفع تلقائيًا نحو اليمين.. لذلك تخلى الكثيرون من أصحاب الحناجر الثورية عن نضالهم طواعية وهجروا اليسار تمامًا وتعمقت في نفسي أهمية التفرقة بين الأشخاص وتصرفاتهم من جهة وبين الفكرة وما تطرحه في حدود ذاتها ودون الخلط بين الفكر والأشخاص وأذكر أنني انزعجت من تعليقات المساجين الذين استقبلونا في معتقل الهايكستب فقال بعضهم بمجرد أن شاهدوني بالشورت والقميص «الحكاية عيلت يا جدعان» وبدأت تنتشر الشيوعية في المنصورة وكل مصر وأصبحت ملء السمع والبصر وأصبح الكثيرون من فلاحي كفر الغنام من الشيوعيين.

تكررت مرات اعتقالك.. واصبح مستقبلك في قبضة القدر وحياتك أقرب للارتجال ثم أكملت دراستك وحصلت على الدكتوراه من ألمانيا فكيف حدثت هذه النقلة النوعية؟

الاعتقال الثاني جاء في يناير 1952 بعد المذبحة إلى تعرض لها ضباط البوليس في الإسماعيلية.. هذه المرة في معتقل الماطة حيث الخليط يضم كل الأطياف شيوعين و إخوان مسلمين و إشتراكين وفدائيين وشبيحة وهو لفظ كان يطلق على اللصوص المتخصصين في سرقة معسكرات الإنجليز وتوسط أبي عند أحد أصدقائه وكان يعرف حافظ عفيفي باشا رئيس الديوان الأسبق ودفع الوالد خمسمائة جنيه مقابل خروجي.. ثم جاء الاعتقال الثالث لمدة خمس سنوات من 1953 حتى 1958 في سجن مصر ثم انتقلت إلى سجن القناطر أسوأ سجون مصر وأكثرها رطوبة وكنا نذهب للمحاكمة في سجن الاستئناف وكان بجوار السجن بلكونة الست أم حسن وكانت ملاصقة للسجن وتؤجرها بالدقائق لراغبي التحدث مع السجناء من أقاربهم.. وقد تم اعتقالي وأنا مازلت طالبًا في كلية الحقوق وتعطلت مسيرتي الجامعية ولم أكملها إلا وأنا في الثانية والثلاثين حيث أعدت قيد نفسي مرة أخرى ثم حصلت على دكتوراه الفلسفة في التاريخ عام 1969 من جامعة ليبزج بألمانيا الديمقراطية لكني منعت من التدريس في الجامعة في عهد عبد الناصر ولكي تتم ترقيتي إلى درجة الأستاذية لابد أن أنشر أبحاثًا فحصلت على دكتوراه أخرى في علوم التاريخ عام 1988 من خلال طلب أستاذي الألماني بنشر 14 بحثًا تاريخيًا لكي أصبح بروفيسور مثله.. وركز على رموز

الحياة السياسـية في مصر وطلب كتابًا عن حسـن البنا. وكانت القراءة في السـجن بديلًا عن الجنون أو الانهيار.

ولكن لماذا سجنت مرة أخرى.. هل كنت متمردًا مشاغبًا إلى هذا الحد؟

القصة بسيطة للغاية.. ففي عام 1953 كنت طالبًا في كلية حقوق عين شمس ووصل إلى أسـماعنا أن جامعـة القاهرة بها مظاهرات وأن عبد النـاصر وخالد محيي الدين في طريقهما إليها.. لاسـتطلاع الأوضاع هناك.. وأطلق الإخوان عبارات التأييد بل أن الصحفي حسـن دوح خاطـب عبد النـاصر قائلًا: يا رجـل الثورة أعطنا حرية في العمل وسـاعتها سـنقول للشـيوعية اخرجـي مـن بلادنـا ونصيـح في كل معارضيـك أيها النمـل ادخلوا مسـاكنكم ليحكمنكم سـليمان وجنوده» ثم دخل عبد الناصر مكتب مورو باشـا واختفينا بعيدًا عن هذا الصخب وبمجرد خروج عبد الناصر وخالد محيي الدين هتفنا الدسـتور.. ديمقراطية.. الحرية.. بعدها بأسـبوعين تم إلقاء القبض عليَّ لمدة خمس سـنوات حتـى عام 1958.. وبعد خروجي مباشرة بدأ عبد الناصر حملة هجوم جديدة على الشـيوعيين فهربت لمدة شهور ثم ألقي القبض علينا مرة أخرى واعتقلت في سجن القناطر وأثناء زيارة اللواء وهبة سألني عن أسـباب تواجدي بالسـجن بالرغم من حبنا وتأييدنا لسياسات عبد الناصر وقلت للواء وهبة لكننا نريد (بس) شـوية ديمقراطية.. فاستشـاط غضبًا ونظر إلى المأمـور متوعدًا وقال له: الـواد بيقولي بس ثم نزلت فوق رأسي وجسـدي عشرات الضربات واللكمات وأمر بحبسي في سجن انفرادي وتركني لمدة عام ونصف العام.

اقترن اسـمك بالهجـوم المتوالي على جماعة الإخوان المسـلمين وحسـن البنا علـى وجه الخصوص وكنت أول من صك تعبير (التأسـلم) البعض يرى أنك تفرغت لمهاجمة الإخوان ويتسـاءل وما الذي يربط لينين بحسـن البنا وسـيد قطب.. مطلوب التفسير والإيضاح؟

بداية أوضح أنني نشـأت في بيئة متدينة. كان يقال عني وأنا طفل صغير أن يدي بها البركة لأن عمـي هو خـالي في نفس الوقت ومن يحظى بهـذه الصلة النادرة يصبح بركـة أما المنصورة فكانت مدينة كوموبوليتانية تضم أجناس شتى لكنني كنت أنتقد دائمًا موقف الإخوان مؤكدًا أنهم يسـعون نحو دولة دينية والإسـلام لا يعرف ذلك وفي أوائل الثمانينات ومع تصاعد حدة

الإرهاب كان الجميع يخشـاهم.. كنت أتصدى لهم بالحجة وأدين ما أسميته بالتأسلم أي إدعاء مواقف خاطئة ومتشددة ونسبها زورًا للإسلام لكي يستقوى صاحبها بالدين ولم أعبأ بمهاجمتهم لي وهـذا مبدئي بصفـة عامة.. أما الذي اسـتفزني في فكر الإخوان فيتمثل في تلـك العبارة التي وردت في المؤتمر الثالث للإخوان المسـلمين حيث ختم حسـن البنا برنامجه بقوله: «لا نسـتطيع أن ننتقد هذا البرنامج».. وتصبح هذه العبارة القاطعة أشبه بمن يصادر الإسلام لصالح الجماعة على حد تعبير أحد المفكرين السياسـيين الكبار قبل أن ينضم لصفوف الجماعة.. واكتشـفت أن الإخـوان يحاولون الوقوف عـلى الهامش بين الموقف الدعوى والسـياسي كلما تطلب الأمر ذلك ورفضت الجماعة منذ صدورها في عام 1928 أن تصبح حزبًا وكان إشهار الأحزاب آنذاك عـن طريق الإخطار بخطاب مسـجل بقرش صاغ.. لكنها فضلت هـذا التأرجح.. والموضوع يتلخص بالنسبة لي في العدل الاجتماعي بصرف النظر عن المسمى.

ولكنك صرحت في إحدى المرات أن كتاب ريتشارد ميتشل «الإخوان المسلمون» كان إيجابياً أكثر من اللازم وإن كتابك عن حسـن البنا كان سـلبياً وهذا اعتراف بالتحامل ضدهم.. لماذا؟

ذكرت سالفًا أن المشرف الألماني على رسالة الدكتوراه وضع قائمة بأسماء الأبحاث المطلوبة مني على مدى أربعة عشر عامًا بمعدل بحث كل عام وطلب بحثًا عن حسـن البنا ودراسـة عن الإخـوان وأصدرت كتابًا عن حسـن البنا وفي التاريخ لابد أن يكـون الباحث محايدًا لا يتخذ موقفًا مسبقًا من الشخصية ولكننا بشر ننحاز أو نميل أحيانًا.. فأحمد حسين مؤسس حزب مصر الفتاة مثلًا كنت أشعر تجاهه بإعجاب لكنني بعد أن قرأت التحقيقات معاه في أحداث حريق القاهرة غيرت رأيي تمامًا.. وكونه شريكًا في الإيعاز للجماهير بمقاطعة سينما ريفولي واعترافه في التحقيقات أنه كان يفعل ذلك إرضاء لشركاء سينما ريفولي «إخوان جعفر» الذين يريدون شراء حصـة الشريك اليهودي.. وبدأت أقـرأ مذكرات البنا «الدعوة والداعية» وحصلت على نسـخة سـليمة لأنهم فيما بعد أعادوا طباعتها وفي كل مرة يتم تغييرهـا وأثناء نقاشي في إحدى المـرات مع الأخ مأمون الهضيبي رحمه الله قـال: أنت مقفلها علينا تذكر كل شيء في يوم كذا صفحة كذا ولكني بمجرد أن انتهيت من دراسـة البنا شـعرت أنه شخص شديد الذكاء والقدرة على التنظيم ومن ثم فهو شديد الخطورة.

وجهت إليك انتقادات شـديدة لأنك رفضت اشـتراك حزب التجمع في ثورة 25 يناير إرضاء للنظام ووصفت شـباب الفيس بوك منذ عامين بأنهم شـوية عيال لاسعة وتواجهون الآن اتهاماً بأنكم تحاولون ركوب الموجة؟

لم يحدث ذلك على الإطلاق ولكننا في مركز القيادة بالحزب كانت لنا وجهة نظر عبرنا عنها وتتمثل في اعتزازنا بعيد الشرطة في الإسماعيلية حيث تصدى ضباطها بالبنادق لنيران الدبابات وقلنا إننا نفضل يومي 17، 18 يناير اللذين عرفا في مصر بثورة الخبز عام 1977 ولكننا قلنا إننا مع عيال لاسعة فكانت عنوانًا لحوار في الأهرام علق بالأذهان دون الالتفات لمتن الحديث وكنت أنتقد فيه شخصًا مقيمًا في أوسلو كان يطلق على نفسه اسم «نسر الشمال» يدعو للاستيلاء على السلطة على الفيس بوك بطريقة عجيبة وجنونية ولم أقل التعبير على إطلاقه.

قيل بعد الثورة أن الأحزاب الموجودة ورقية لم تفلح في تحريك الشـارع بالرغم من وجودها منذ 35 عاماً.. وان مستقبل حزب التجمع وراءه.. فما تعليقك؟

يجب أن نعلم أن الشباب هم المحرضون والمنظمون لثورة يناير وهم يعبرون عن الحالة العامة في المجتمع المصري لكن الشعب المصري يتحرك بقانون خاص جدًا لم يفك أحد شفرته إلى الآن ففـي ثورة 1919 ذهب جمع إلى عبد العزيز باشـا فهمي وقالوا له نريد عمل مظاهرة في مدرسـة الحقوق السـلطانية.. فقال لهم لا تثيروا غضب القوم علينا ولكنهم أكدوا له أنهم سـيتظاهرون ويسـبون الإنجليز فرد قائلًا: المسـألة ليست لعب عيال!! لكنهم أثبتوا أنها (لعب عيال) وقامت ثـورة 1919 دون تخطيط من أحد فالمصريـون يراكمون الغضب وحين يتصاعد ينفجرون كما حـدث في 2011.. فالثـورة كالنبات تغرس وتنبت وتنمو وتورق وتزدهـر فإذا كان من يتخيل أن الشعب المصري اجتمع كله وعمل ثورة بدأت في 25 يناير وتحققت في نفس اليوم وأن شخصًا ولع عود كبريت فاشـتعلت الثورة فهذا غير صحيح علميًا وواقعيًا فالثورة تراكمت في الوجدان من الممارسـات الرديئة.. ومعظم الشعارات التي رفعت فيها هي شعارات حزب التجمع لأن التجمع بشعاراته جزء من الحياة السياسية في مصر فتسربت هذه الشعارات إلى وجدان الجميع.

ولكـن حين يقال مثل هـذا يرد معارضوك بأنك حولت حـزب التجمع إلى فرع للحزب الوطني (المنحل)؟

هـذا افتئـات وتجني عـلى دور التجمـع فمن يتصـور أن الهامـش الديمقراطـي الذي منح للصحـف الحزبية والمسـتقلة والفضائيات قد هبط من السـماء فهو واهم لكنـه نتيجة نضال طويـل مـن الاعتقالات والـضرب والتعذيب و إغلاق مقـر الحزب الذي نجلـس فيه عشرات المرات والاستيلاء على المطبعة ومصادرة جريدته الأهالي ثماني مرات متتالية. في يوم من الأيام (كنسـت) هذا الحزب بالمقشـة بعـد أن داهمته قوات الغـزاة من المباحث وكـسروا المكاتب وبعـثروا الأوراق بحثًا عما يفيدهم واندهش المستشـار يوسـف دراز رئيـس النيابة حين جاء ونـاداني قائلًا يا ولد تعـال هنا.. فالتفت إليه وفوجئ بمظهري قائلًا مـا الذي تفعله يا دكتور.. أجبـت: أنـني أنظف حزبي أي بيتي بـكل كرامة.. فربت على كتفي مؤكـدًا أننا بهذه الروح لـن تسـتطيع أية قوة أن تثني عزمنـا و إرادتنا الفولاذية الحزب يضم شـخصيات عديدة أعطت بإخلاص للوطن وبلا مقابل منهم أناس بسطاء مثل عم «برق» الذي كان يخوض في عالم الآلات الكاتبـة يتحايل بكل الطرق لإصـلاح القديم وحين قبض عليه وهو يطبع على ورق إستنسـل ووجدوا بصمته على الورقة.. قام بوضع أوهو على أصبعه وفركه في الأرض فاختلفت البصمة.. وقال لي بسـخرية: «يا بيه حكومـة صايعة.. عاوزة ناس صايعـة».. وفي إحدى المرات نشرنا مضبطـة مجلس الشـعب في جريدة الأهالي وعرضنا موقف الحـزب المهاجم في البرلمان لمعاهدة كامب ديفيد كنا الحزب الوحيد المعارض وقد عانينا كثيرًا في عهد السـادات فهو يُحسَب له أنه فتح باب التعددية لكنه كان يريد معارضة أشـبه بعصفور ربطت سـاقه بخيط في يد السلطة يمنعه من التحليق بعيدًا.. فيما يتعلق بعضويتي في مجلس الشـورى والتي يتخذونها مطعنًا فقد جـاءت بطلب من الحكومة موجهًا للحزب واقترح خالـد محيي الدين أن نجري انتخابًا داخل الحزب في القيادة وأن يتم ترشيح ثلاثة أسماء.. فحصلت على المرتبة الأولى وبعض الأسماء التي تنتقدني الآن رشحت نفسها.

ولمـاذا كانـت الحكومة حريصة علـى خطـب ود المعارضة.. فمـا هو الهدف بصفتـك خضت هذه التجربة في مجلس الشـورى لمدة ثـلاث دورات وأن لم تكتمل الثالثة؟

اعتقد أن الحكومة أرادت الارتقاء بشـأن المعارضة و إحـداث شيء من التوازن والقوة فى صفـوف المعارضـة لتقوية المجلس ولا يزايد علينا أحد في النضال والتصدي لكل السـلبيات..

وأنا في مجلس الشورى هاجمت الحكومة أكثر من مرة وقلت احذروا من ثورة الجياع وذكرت في مؤتمر الحزب في 2010 أن مصر تحتاج حكمًا جديدًا لأن الحكم الحالي لم يعد قادرًا أن يحكم بغير العدل وأن الفساد شريعة هذا النظام.. وقد تعلمت من خالد محيي الدين أنني أستطيع أن أفتح الحوار في أي موضوع وأوجه انتقادات حادة لكنها لا تجرح أو تدمي الخصم أو تمس شخصه.. والحرص على وجود مساحة من الاحترام المتبادل بين الطرفين مع عدم الرجوع عن الأخطاء وتلك هي الليبرالية الحقة والأخلاقيات التي أتى بها الإسلام «أذهبا إلى فرعون إنه طغى وقولا له قولا لينا» لكن البعض يفهم هذه المرونة خطأ ويعتبرها موقفًا غير ثوري أو زئبقية.

كيف تعرفت بخالد محيي الدين وذكرياتك عن فترة عملك مديراً لمكتبه حين كان رئيساً لمجلس إدارة أخبار اليوم؟

التحقت بأخبار اليوم عام 1964.. في نفس العام الذي أعدت فيه تقييد أسمى في كلية الحقوق وعملت في قسم الأبحاث وكان الأستاذ فهمي عبد اللطيف يطلق على اسم «ترجمان الثورة» لأنني كلفت بترجمة كل المصطلحات الغربية التي ترد من وكالات الأنباء وتصف الاتحاد السوفيتي بالستار الحديدي والصين الشيوعية وعصابات فيتنام مهمة بسيطة جدًا لكنها علمتني كيف تلتقط عيني الخطأ وكانت أخبار اليوم لها تقاليد خاصة في الحصول على أكبر قدر من الأخبار والمعلومات المثيرة للاهتمام من خلال كل الصحفيين وكانت الظروف يكتب عليها (للعلم) وبها أسرار خاصة في كل المجالات وكان مصطفى أمين يرتبط بصلات خاصة بكل المأذونين الشرعيين في كافة أنحاء الجمهورية ويوافيهم باشتراكات إصدارات الأخبار ويتصلون به في أي وقت وعن طريق أحدهم علم بنبأ زواج المشير عبد الحكيم عامر وبرلنتي عبد الحميد وأخبر جمال عبد الناصر بالخبر أما خالد محيي الدين فكان زميلًا لابن خالة زوجتي محمود المانسترلي في سلاح الفرسان وحدثه عني وبعد قدومه إلى أخبار اليوم قام مدير مكتبه بتوقيعه على طلب تعيين إحدى قريباته خلسة فطلب مديرًا لمكتبه وفاتحني قائلًا بأدب جم: ما رأيك نشتغل سويًا ونجرب بعض!! وكان قدومه بميوله اليسارية ووصف الصاغ الأحمر الذي أطلقه عليه عبد الناصر تربة خصبة لترصدنا وحذرني من أنهم سيحاولون الإيقاع بي لأنهم لن ينجحوا في ذلك معه أبداً وكان يقال عن المجموعة التي استقدمها خالد محي الدين معه

من اليساريين لأحداث نوع من التوازن (الوافدين الحمر) فاستعان بمحمد سيد أحمد وجمال الشرقاوي ونبيل زكي وعادل حسين وآخرين أما موسى صبري فكان يطلق على خالد (أسقف كانتربري) لدماثته وحين اضطر خالد محيي الدين لتقديم استقالته نتيجة عدم انتظام الأوضاع في لجنة الصحافة التي كان يرأسها في الاتحاد الاشتراكي طردت بعد خروجه بأسبوع وقابلني في جروبي وهون عليّ الأمر مؤكدًا أنه لن يتركني حتى لو اضطر أن يتقاسم معاشه معي وصحبني إلى هيئة الكتاب وقابلنا د. سهير القلماوي رئيسة الهيئة وتم تعييني باحثًا أول واشترطت أن أعطيها وعدًا بإنهاء رسالة الدكتوراه.

تم اعتقالك عقب مظاهرات 17، 18 يناير 1977 وكنت المتهم الأول فهل كنت ضالعاً بالفعل في خروج الشعب في تلك المظاهرات العارمة أم أن الأمر كان تهمة أمنية؟

خروج المظاهرات بهذه الصورة شرف لا أدعيه ولكن الرئيس السادات كان يعتقد أنني المسئول الأول عن المظاهرات ولهذا الاعتقاد جذور فحين تم تأسيس المنابر عام 1976 كنا نستخدم مقر الاتحاد الاشتراكي مع حزب الأحرار ونستخدم شبكة تلكس تربط فروع حزب التجمع بالفروع في المحافظات فقمت بإرسال تلكس بتوقيعي أدعو فيه كافة الزملاء للمشاركة في الانتفاضة الجماهيرية مع الحرص على مواجهة أي أعمال تخريب فاحتجز الأمن التلكس وحدثني د. مصطفى خليل أمين عام الاتحاد الاشتراكي آنذاك وحدثت مشاورات وطلب إرسال تلكس آخر يلغي الأول الذي لم يرسل من الأساس وانتفض الشعب وكان ما كان ونزل الجيش وفرض حظر التجوال وكان السادات في أسوان وطلب مني د. مصطفى خليل أن أتوجه للتليفزيون وأدعو الجماهير لعدم النزول إلى الشارع مرة أخرى فاعترضت لأنني لو فعلت ذلك سأصبح المحرك لهم في المرة الأولى فالناس نزلوا إلى الشوارع وحدهم ولم أحرك هذه الملايين ولكننا تحركنا مع الآخرين وحاول د. مصطفى خليل أن يفرض صيغة للبيان ولكني رفضتها ثم صدرت جريدة الجمهورية وفي المانشيت «إلقاء القبض على رفعت السعيد» وبحلول المساء تم إلقاء القبض عليّ وفيما بعد اكتشفت أنني المسجون الوحيد في سجن القلعة وكانت فترة خصبة للدراسة واستكمال الأبحاث.

□□□

2B- د. جنيد ضابط الحرس الملكى الذي رافق فاروق على متن المحروسة يتحدث لأول مرة

شماشرجى الملك يعين محافظ القاهرة!

ثورة يوليو غيرت الوجه الاجتماعى لمصر بأسلوب خاطئ



د. عبد المنعم جنيد شاهد على حدث قطع شوطًا من الاستقرار التاريخى، وهو في حواره معنا استنهض ذاكرته وأعاد تفسير بعض الأحداث التى اتسمت بالمراوغة وكثرة التأويلات، فقد توغل في بعض الأحداث المهمة كشاهد عيان فتطرق للحديث عن: خبيئة الملك الذهبية وأمتعته التى سافر بها إلى إيطاليا ومدى صحة ذلك، واستهتاره بقوة الضباط الأحرار حتى اللحظات الأخيرة وسوء طوية حاشيته ووطنيته وحبه لمصر.. انتقل د. جنيد من الحرس الملكى وبذخ القصور الذى لبس فيه ثوب العيش الأخضر، كما يقول المتنبى، إلى الحياة المدنية ووصل إلى أعلى درجات الأكاديمية بسلاسة تستحق التأمل.. شهد مصر بين عهدين لم يختلف فيهما بطش السلطة أو غضب السلطان في بعض الأحيان.

قامت الثورة وأصبح ضابط الحرس الملكى سابقًا عضوًا في اللجنة التنفيذية لتصفية الإقطاع ومديرًا لمكتب شعراوى جمعة بالاتحاد الاشتراكى ثم توالت الأحداث وقضية مراكز القوى واحتدم الصراع بين رجال الثورة، فكان ذلك كافيًا ليستخلص منه أن البدايات كثيرًا ما تتشابه مع النهايات.. وأن من سره زمن ساءته أزمان.. وأن الأسد (الحقيقة) ليس إلا مجموعة من الخراف المهضومة، وعلى هدى هذه المقولة الفرنسية تعاد من آن لآخر قراءة بعض الأحداث الجزئية لتصب في مجرى التاريخ كلما توافر لدينا شهود حريصون على إبراء ذمتهم أمام التاريخ.

الإنســان قد يخطط لحياتــه ويأتى القدر أحيانا ليقوم بــدور المهندس التنفيذى لهذا المخطط.. فكيف سارت بك الأقدار منذ البداية؟

بتلقائية شـديدة يجيب على الفور: القدر كان مواكبـا فى البدايات الأولى فأنا تخرجت فى كلية البوليس الملكية عام 1950 وعينت ضابطا بقسـم أول الجيزة.. وكنا فى شهر رمضان نطلق مدفعا إيذانا بموعد آذان المغرب والإفطار.. ففرقعت الذخيرة وشب حريق بالقسم واضطررت لاخـراج المحتجزين وكانوا أكثر من أربعين شـخصا خوفا من اختناقهـم من الدخان.. وجاء على الفور مفتش وزارة الداخلية وكانت هناك ثلاث حالات وفاة. والبعض الآخر نط فى النيل لإطفاء الحريق ففوجئت برد فعله الذى احبطنى لأنه لامنى على خروج المحتجزين واكتشفنا هروب ثلاثة أفراد وقلت له أتوقع أن تولى جل اهتمامك للموتى فقال: الهاربون أولا، ولم أشعر بالحماس تجاه هذه القسـوة فى المشـاعر وإن كان قد ظهر فيما بعد أن الثلاثة المفقودين كانوا يتلقـون العلاج فى القصر العينى وقررت ترك العمل بالقسـم وقدمت طلبـا للداخلية للحصول على موافقتهم بسـفرى إلى منطقة القناة ـ بورسـعيد تحديدًا - للعمل مع الفدائيين.. كنا فى عام 1951 وفى ديسمبر من نفس العام تلقيت تلغرافا بوفاة والدى فعدت على الفور إلى القاهرة وفى المسـاء وأنـا اتلقى العزاء فى الصوان جـاءنى أفراد من الحرس الملكى لا أعرفهم قدموا أنفسـهم وأخـبرونى بأن السراى وقائد بوليس القصور أحمد باشـا كامل لديه رغبة فى انضمامى للحرس الملـكى وتوجهت لمقابلتـه فى اليوم التالى، وإلى يومنا هذا لا أعلم مـن هو مصدر هذه التزكية، وحاولت العودة إلى بورسـعيد لتسـليم الذخيرة والأسـلحة التى كانت بحـوزتى لكنهم رفضوا واخبرونى بأنهم سيتولون هذه المهمة، وتزامن فى الانضمام معى للحرس الملكى محيى سالم شقيق صلاح وجمال سالم، وصلاح محرم ومحمد عزت على وتنقلنا لمدة ثلاث أسابيع بين القصور لمعرفة دخائلهـا ونقاط المرور ورصدها وهى قصور قمـة فى الفخامة والأبهة ويعد قصر عابدين من أجمـل قصور العالم كل حوائطه كانت مبطنة بالحرير أو الرخام، وحزنت كثيرًا حين تعرض للإهمال فى أوائل عهد الثورة.. كان مخصصا للاسـتقبالات الرسمية وتشكيل الوزارات وحلف اليمين لكنه لم يكن قصرا مريحا للمعيشة والسكن، وكان فاروق يفضل المعيشة فى قصر القبة وكان به دور مسـحور به متعلقاته الخاصة لا يدخله إلا بوللى ومحمد حسـن الشماشرجى.. وفى 16 ينايـر 1952 رزق فاروق بولى عهـده أحمد فؤاد الثانى فكانت مناسـبة مبهجة للغاية فأنعم

علينـا بالنياشـين تعبيرا عن فرحته ومنحنى نـوط الجدارة الفضية أنا وبعـض الضباط احتفـالا بهذا الحدث السـعيد، ويوم 26 يناير قرر عمل مأدبة لضباط الجيش والبوليس وحدث حريق القاهرة المشئوم، وكان اتهام الملك بتدبير الحريق من أكثر الافتراءات كذبا وبهتانا لأننى كنت شاهدا على مدى اضطرابه وخوفه وحزنه الشديد على ما آلت اليه الأحوال وأمر بنزول الجيش بل أنه نزل يجوب شـوارع القاهرة بسيارته فى المسـاء بصحبة حرسه الخاص للوقوف على مدى الضرر والإتلاف والخسـائر، فنحن عهدناه وطنيا محبا لبلاده وأذكر أن معظم شـوارع وسـط المدينة لم تسلم من الحرائق ففى القصر شاهدنا فى البداية مظاهرة قادمة من ميدان الإسماعيلية (التحريـر) مرت من أمام قصر عابدين وتوجهت إلى شـارع عبـد العزيز فتصدى لهم الصاغ نجيب بسـيونى مأمور قسـم عابدين واسـتطاع تحويل المظاهرة من الغوغائية والتخريب إلى مظاهرة سالمة ونجا شارع عبد العزيز من الحرائق بفضل هذا الضابط الجسور.

هـذا يأخذنـا لأحوال الملك كيف كانـت تصرفاته فى ظل هـذا المناخ العام والمظاهرات تتوالى والأزمات تسـتحكم وبلغت ذروتها فى أزمة نادى الضباط والحريق الذى اعتبر بمثابة شهادة وفاة معنوية للملكية؟

حضرت مع الملك آخر تشريفة فى القاهرة وكانت المناسبة افتتاح الغرفة التجارية بالقاهرة فى مايو 1952 ثم توجهنا رأسا إلى الإسكندرية وكانت أحوال الملك عادية للغاية فى شهرى مايو ويوليو فكان دائم السـهر يلتقى بشـلة المساء وعلى رأسـها كريم ثابت وفى الصباح كان محاطا بحاشـيته الإيطاليـة وكانت لها حظوة ومكانـة وكعب عال وفى مقدمتهـا «بوللى بك» كهربائى القصر الذى أصبح المسـئول الأول عن شـئون الملك الخاصة، كان معظـم الوزراء وكبار رجال الدولة يعملون له ألف حسـاب ولم يكن الاتصال به متاحًا ولكنه يتم عن طريق محمد حسـن الشماشرجى وهو «اللبيس» الخاص بالملك، وبحكم قربه المكانى اكتسب المكانة وكانت كلمته مسـموعة وصاحب نفوذ يكفـى أن تعلمى أنه كان وراء تعيين محافـظ القاهرة كامل قاويش، بالإضافـة لبترو «حلاقـه الخاص» وكافاتسى «مـدرب الكلاب» وجارو «حـلاق الملك فؤاد» أذكـر أننا حين ذهبنا إلى الإسـكندرية تم توزيعنـا على قصر المنتـزة ورأس التين وكان ممنوعا بالنسبة لنا كضباط أن نقود سيارات القصر الحمراء فى ممرات القصر مهما تكن الأسباب ولكن الحاشية الإيطالية كان مصرح لها بذلك وهم يتحدثون العربية بطلاقة ويتفوهون بعبارات مثل

أولاد البلد تماما، والملك فاروق كان بطبيعته إنسانا متواضعا يحب الفكاهة فقد عاد فى إحدى الليالى فى الثالثة صباحا وسأل عن ضابط الحرس النوبتجى ولم يجدنى.. كنت نائما فى الاستراحة الخاصة بنا فايقظونى وقمت مفزوعا وارتديت الكاب والجاكت على عجل وبمجرد أن شاهدنى بهذه الصورة المركبة تعالت ضحكاته وقال لى: خلاص خلاص عد كما كنت، ومرة أخرى تمردت على النظام وقمت بقيادة إحدى سيارات القصر الحمراء وتوجهت بها من قصر المنتزه باتجاه المعمورة التى كانت تزرع كلها بالجوافه البناتى وفجأة شاهدت سيارته من على بعد آتية من السلاملك فأسرعت وتوقفت بالسيارة عند البوابة التى كانت تبنى آنذاك بين المعمورة والمنتزة وتعللت بأننى أتابع العمال وافتعلت الصياح معهم وحثهم على الانتهاء من العمل سريعا فاقترب بسيارته وضحك عاليا ونظر فى وجهى تعبيرا عن اكتشافه حقيقة الموقف.

كيف تهيأ لك السفر معه يوم 26 يوليو على متن المحروسة وهل تم تخيركم فى هذا الشأن؟

فى هذه الواقعة تحديدا كان القدر يمسك بتلابيب الأحداث ففى مساء أحد الأيام جاءتنى إشارة تفيد بقدوم رئيس أركان حرب الجيش «حسين فريد» إلى قصر المنتزه لمقابلة الملك فقمت بفتح نقاط المرور له لمقابلة الملك الذى كان يجلس فى السلاملك، ولكن الضابط الذى بلغنىّ أفاد أنه فى الحرملك وتضايقت وقمت بتغيير نقاط المرور لرئيس الأركان فى المكان الصحيح وبعد انتهاء الزيارة غضبت وعاتبت هذا الضابط فتم توجيه اللوم لى على هذا العتاب من عبد الرحمن قطبى وكيل الحرس وتم نقلى إلى قصر رأس التين، وحين قامت الثورة ووقع الملك وثيقة التنازل عن العرش تم اختيار ستة ضباط من قصر رأس التين: اثنان من الجيش والأربعة من الحرس الملكى وكنت أحدهم.

يعد يوم التنازل عن العرش في حياة الملك من أطول الأيام فى حياته فما هى الأمتعة التى حرص عليها وهو مسافر وحقيقة توقيعه مرتين على وثيقة التنازل عن العرش وهل حدث اختراق للحرس الملكى بوجود محيى سالم معكم شقيق صلاح وجمال سالم؟

كانت تتوارد إلى أسماعنا أخبار الضباط الأحرار، وفى تقديرى لم يكن الملك يتخيل أن الأمور ستتطور إلى هذا الحد وفقًا لردود أفعاله ـ فكان يحسب أن الأمر لا يتعدى فئة تعبر عن

سخطها وغير راضية عن بعض الأوضاع، ففى مساء 22 يوليو علمنا أن قصر عابدين تم حصاره ومقر قيادة الأركان وحدثت تحركات فى وحدات الجيش وفى الطريق إلى الإسكندرية بعض القوات وبالفعل حاصر عبد المنعم عبد الرءوف قصر رأس التين وصدر بيان الثورة فى الصباح.. وتطورت الأحداث سريعًا كان الملك فى قصر المنتزه وجاء على ماهر رأس التين وحلف اليمين واستقالت وزارة الهلالى التى استمرت 18 ساعة فقط ولم يكن الملك موجودًا وقت تشكيل الوزارة ويوم 25 وصل الملك من المنتزه إلى رأس التين فى السادسة صباحًا فى سيارته الكابورليه مع طياره الخاص أمين عاطف وناريمان وبناته وولى عهده أحمد فؤاد ودخل القصر على الفور وامارات الانفعال والقلق تعلو وجهه.. وحدثت اشتباكات خفيفة وتبادل نارى بين قوات الجيش والحرس الملكى وأصيب قائم المقام على مقلد فى قدمه.. فذهب اللواء النجومى باشا للتهدئة ولك نهم قبضوا عليه وأودع ثكنات مصطفى باشا، وهنا أمر فاروق بإيقاف إطلاق النار لأنه لا يرغب فى أن يتقاتل أبناء مصر من أجله، فيما يتعلق بوثيقة التنازل عن العرش والتى حملها إليه سليمان حافظ رئيس مجلس الدولة فقد كنت شاهدًا على هذه الواقعة واقف بباب القاعة التى شهدت هذا الاجتماع فقرأ الملك الوثيقة فى البداية وتبادل كلمات قليلة مع سليمان حافظ وتم التوقيع على مائدة منخفضة وكان سليمان حافظ واقفًا يستعدل الوثيقة.. فقال له الملك بهدوء التوقيع غير جيد وذهبا معًا لمائدة أعلى وقام الملك بالتوقيع ولم يحدث شيء غير ذلك ولم يرتعش أو تظهر عليه علامات الخوف كما قيل وانصرف سليمان حافظ.. وأخبرنا على ماهر أنه تم اختيارنا لمرافقة الملك للسفر معه والوصول إلى أول سفارة مصرية، ولم نعرف وجهتنا وعلمنا أننا سنمكث مع الملك ولن نعود لذلك وقع اختيارهم على الضباط غير المتزوجين.. لم أكن أتجاوز الخامسة والعشرين عامًا ولم اكن متزوجًا ولم أخبر أهلى باعتزامى السفر وكانت مغامرة من مغامراتى.. ولم يكن الوقت المخصص لتجهيز المحروسة يسمح بعمل catering فكل شيء تم فى عجالة بالإمكانيات المتاحة، ودون ترتيب ولا أعتقد ان ذلك كان مقصودا، لذلك عانينا من نقص الطعام نسبيًا وكنا نأكل على «مائدة المعية» كالمعتاد ولكن الطعام كان أشبه بالتصبيرات ولم يكن معنا صابون على ظهر المحروسة حتى أن الأميرة فريال سمعتنا ونحن نتحدث فى هذا الأمر فقالت لى سأحضر لك صابونة وبالفعل عادت وقد أخفتها تحت البلوفر وقالت أرجو الانتهاء سريعًا لأنها صابونة والدى والأميرة فريال كان شخصية فى منتهى اللطف.. اذكر انني قلت لها انها ستعود بإذن الله إلى مصر مرة أخرى فقالت:

وهل سمعت عن ملك خلع من عرشه وعاد مرة أخرى.. فلتتذكر مآل نابليون من جهة أخرى ولم يأخذ الملك معه إلا أقل القليل من الأمتعة لأن معظم ملابسه وأمتعته كانت فى قصر المنتزه والأمتعة الكاملة كانت فى القاهرة، وأذكر أن أحذية ناريمان لم تكن متوافقة فكانت فردة يمين بدون الشمال مثلًا وأشياء أخرى من هذا القبيل.. أما صناديق الذهب فكانت تمثل الأكذوبة الكبرى فى سلسلة الإفتراءات.. فقد شاهدت الأمتعة بنفسى وليس من شاهد كمن سمع ..وفيما يتعلق بسؤالك عن محيى سالم فلم يسافر معنا على المحروسة وحين عدت إلى مصر وأخبرته بواقعة جمال سالم مع الملك يوم 26 يوليو ضحك وقال.. أنه شقيقه وكان صادقًا فيما يقول.

وما هى واقعة جمال سالم مع الملك؟

كانت الوثيقة تشير إلى مغادرة الملك فاروق البلاد وتنازله عن عرشه لأبنه أحمد فؤاد فى تمام الساعة السادسة مساء والتزم بالموعد المحدد وكانت المحروسة تقف بعيدًا عن الرصيف البحرى فتم تجهيز اللنش الملكى واستعرض الملك نموذجا مصغرا لقرة قول الشرف من البحرية وعزف السلام الملكى.. وكانت تعليماته لجميع الضباط المرافقين له تقضى بعدم السماح بتصويره على اللنش أو المحروسة على الإطلاق والصورة الوحيدة التى أخذت له وهو يستعرض حرس الشرف أمام قصر رأس التين.. وحين حضر اللنش قام بضمى أنا وزميلى الملازم حسين حسنى وكان معنا أيضًا عمر حسن وبهاء الدين باهى من البوليس وضابطان من الجيش عبد الرحيم التهامى والغريب الحسينى والأخير نسب عددا من الوقائع لم تسلم من التهويل والاستنتاجات لا الحقائق، وتأخر محمد نجيب عن وداع الملك.. الذى حرص على وداعه شقيقتاه فوزية وفائزة والسفير الأمريكى كافرى والقائم بالأعمال البريطانى فى مصر كرزويل.. وبعد مرور ما يقرب من نصف ساعة أخبرنا الملك بقدوم محمد نجيب بصحبة بعض الأفراد فأمر بصعوده وكان معه حسين الشافعى وجمال سالم.. فسلم على الملك بود واحترام وكان جمال سالم يضع عصا القيادة تحت إبطه، وبمجرد أن قال له الملك بهدوء أنزل هذه العصا.. امتثل بتلقائية ووقعت العصا من تحت إبطه لا أكثر ولا أقل ولم ينظر للملك بعصبية واستياء كما قيل فى هذا الشأن، وانصرف نجيب وودعه فاروق بهذه العبارة «أرجو أن يوفقكم الله فى مهمتكم» وأطلقت المدفعية 21 طلقة ولم نكن نعلم بذلك مسبقا فخشينا أن تكون هناك محاولة لضرب المحروسة

ولكن الملك كان يعلم مسبقا لكنه دهش مثلنا حين شاهد سربا من الطائرات يحوم فوق قصر راس التين بعد توقيع وثيقة التنازل عن العرش وقال: «ماذا يريدون لقد وقعنا على كل شيء»!!
نعود للمحروسة التى أبحرت فى الغروب تقريبا ولم يتمالك الملك نفسه فقد ظهرت الدموع فى مقلتيه وهو يودع ضباط البحرية أمام رأس التين وظهر حزنه جليًا بعد تحرك اليخت مباشرة..
ولم يخرج إطلاقًا من جناحه فى اليوم الأول وإن كانت ناريمان تبدو هادئة غير منفعلة وفى اليوم التالى خرج وجاء إلى الكوردة وكنا نجلس ننظف أسلحتنا فقال لنا: الحمد لله أننى ما زلت محاطًا بالمصريين لن أجعلكم تحتاجون لأى شيء على اعتبار أننا سنظل معه فى البلد الذى سيستقر به ومن الطريف أننا لم نكن نعلم أين سيستقر به المطاف فلم يخبرنا أمير البحر جلال علوبة أو أى فرد فكنا نخمن أننا ربما ذهبنا إلى أسبانيا أو فرنسا، وجاءت إشارة من المملكة العربية السعودية ترحب بوجود الملك فى أراضيها ويبدو أن هذا التعتيم كان جزءًا من خطة تأمين المحروسة التى نفذها الأمريكان وسفيرهم كافرى.. وفوجئنا بالإشارات تتوالى على جلال علوبة تسأل عن أشخاص بعينهم ومحمد حسن الشماشرجى بصفة خاصة ونتيجة لأن محمد حسن حلاق فاروق كان يحمل نفس الاسم وكان معنا على المحروسة.. فطلبوا من جلال علوبة العودة بالمصريين جميعًا مرة أخرى بعد أن وافق على ماهر على بقائنا مع الملك وأصدروا تعليمات بنزول الملك وزوجته وأبنائه وحاشيته الإيطالية.. ولم يكونوا يعلمون أن الشماشرجى ذهب إلى مسقط رأسه فى السودان هاربًا منذ اللحظات الأولى للثورة ولم يعد إلى مصر إلا بعد أن أعطوه الأمان، وهكذا تسبب الشماشرجى فى تغيير مجرى حياتى وحياة الضباط المرافقين بل وحياة الملك، فحاشية فاروق بكل أسف أنزلته أرضًا - كما يقال - واستغرقت الرحلة أربعة أيام لأننا ذهبنا إلى نابولى عن طريق مضيق «مسينا» الذى يفصل بين إيطاليا وجزيرة صقلية وقبل أن نصل إلى نابولى أنضم حمدى الجريتلى وكان مسئولًا عن اليخوت الملكية ويخت فخر البحار وكان فى مسابقة فى نابولى وبمجرد أن اقتربت المحروسة شاهدنا مئات المصورين بكاميراتهم، وجاء بوسيتى صديق فاروق الإيطالى والذى كان يمتلك فندقًا فى كابرى باللنش وأمر فاروق جلال علوبة بأن تدخل المحروسة الرصيف بسيفها وتم إنزال القلوع ونزل الجميع من الخلف إلى اللنش ولم يتم تصوير الملك كما أراد، وكان الوداع حارًا من جانبه وجانبنا وبمجرد أن شاهد بترو منازل نابولى حتى غادر مسرعًا قائلًا: بيتى هناك أنظروا لن أعود معكم وكانوا جميعًا يحملون جنسيات مصرية وإيطالية.

هـل كان عودا حميدا، كما يقال، وكيـف تأقلمت مع قرار العودة المفاجئ إلى مصـر والانتقال من الأبهـة الملكية إلى العنفوان الثورى وما هـى مزايا الملكية من وجهة نظرك؟

أهـم مزايا الملكية الأبهـة والفخامة فى المقام الأول وبكل صراحـة لكنها كنظام تجاوزه الزمـن.. أذكر إننى حين كنت أرتدى بدلة الحرس الملكى وأتوجه لمحل شـيكوريل مثلًا.. يأتى مديـر المحل لاسـتقبالى والترحيـب بى.. فيما عدا هذه المظاهر والقشـور فقـد تأقلمنا سريعًا بالرغـم مـن أننا كنا فى أكثر مناطق العمل تميزًا.. وكنت قد سـافرت عام 1953 إلى أوربا وكان بصحبتـى د. عبد العزيز حجازى وأنيس منصور ود. زرقانة أسـتاذ الجغرافيا وحسـن نجيب مديـر الأنتربول فيما بعد.. وحين اسـتقر بى المقام تم تخييرى بـين العمل فى الحرس الجمهورى أو بوليـس القصور فاخترت الأخـير لأننى بدأت أدرس فى كلية التجـارة وبالفعل حصلت على البكالوريـوس وأتممت دراسـاتى العليا وحصلت على دكتوراه الدولـة من جامعة السربون فى الإدارة العامة وأصبحت فيما بعد عميدًا لكلية التجارة الخارجية وعميد تجارة طنطا وتغير مسار حيـاتى تمامًا وتم إنتدابى للعمل بالاتحاد الاشـتراكى وأصبحت عضوًا فى السـكرتارية التنفيذية التابعة للجنة تصفية الإقطاع والتى كان يرأسها عبد الحكيم عامر.

هكذا أصبح التناقض جلياً فى مسـار حياتك فمن الملكية.. لمصادرتها كيف تواءمت مع هذه الأحداث وهل يعود ذلك لقناعتك؟

نعـم. كنت مقتنعـًا بالثورة وأهدافها مؤمنـًا بصدق عبدالناصر ونبل رسـالته وكانت لجنة تصفية الإقطاع معنية بالنظر فى الإقطاع الإجرامى الذى كان صاحبه يملك الأرض ومن عليها ويسومون الناس العذاب ولم يكن هذا مجرد كلام ثورى ولكنه واقع يشهد عليه فقراء القرى الـذى كانوا يعاملون بلا آدمية.. ينخر الفقر عظامهم.. وكنا نتصدى لإقطاع الأراضى الضخم ونعيـد صياغة الواقع الاجتماعى لمصر بصورة أكثر عدلًا ننتشـل الأفدنـة التى جعلت البعض يتحكـم بمجرى حياة البشر ومـشروع الحفاء معروف للجميع ولكن لم تـؤت التجربة ثمارها المرجوة ولم يتم الاسـتفادة منها وعدنا الآن لزراعة المسـاحات الشاسـعة والزراعة الكثيفة، وتفتيت الأرض كان يجب أن يخضع لدراسـة أعمق والأمر كذلك بالنسـبة لمزاد 1954 والذى بيعـت فيه مقتنيات القصور الملكية باللوطات فعشر سلاسـل تباع دفعـة واحدة مثلًا كيف؟

وهكـذا.. أهدرت هـذه الكنوز والتحف الفنية ولم يتم الاستفادة مـن حصيلتها ومعظم من اشـتراها كان من الأجانب لأن المصريين كانوا يخشون الغد آنذاك.. وحدثت تجاوزات أيضًا فى عمليات المصادرة أثناء جرد القصور خاصة فى الدخول للمرة الأولى.. ولكنى أشـهد أن عبد الحكيـم عامر لم يكن يسـكت على أى تجاوز فى لجنة تصفية الإقطـاع وكان هناك الكثير من المهازل من قبل الضباط الصغار، فبعضهم كانت سلوكياته تتصف بالشذوذ فى التصرفات كأن يقتحم غرفة رجل وزوجته لمصادرة ذهبها أو أخذ المواشى.. كنت عضوًا فى اللجنة التى تحضر تقاريـر جهـات التقصى لرد المظـالم وكثيرًا ما كان يلجـأ الإقطاعيون لكتابة الأرض بأسـماء ذويهـم وأقاربهـم، واذكر للتاريخ أن صلاح نـصر كان يحضر هذه الاجتماعـات وكنت أراه هادئًا.. متزنًا لا تشى شخصيته بالفظائع التى نسبت إليه فلم يكن سريع الغضب، أما شعراوى جمعة فهو من أنقى الرجال الذين قابلتهم فى حياتى وعملت معهم.

ما هى المهام التى أوكلت إليك من قبل شـعراوى جمعة وهل حقًا كانت تربطه علاقة عاطفية بفنانة شهيرة كما أذيع فى تسجيلات مايو 1971؟

كنت مديرًا لمكتب شـعراوى جمعة بالاتحاد الاشـتراكى.. كان يعمل منذ السابعة صباحًا ومكتبـه مفتوحـا للجميع فهو يعشـق خدمة النـاس.. فى إحدى المرات جاء ممدوح سـالم إلى مكتبـه وأخبرنى برغبته فى مقابلته فقلت له أنتظر قليلًا ريثما ينتهى من لقائه، وكان اللقاء بين شـعراوى جمعة وبواب إحدى العمارات لديه شـكوى، أما قصة الفنانة فكان صديقًا لشـقيق زوجها أنها الشـائعات التى كثيرًا ما علقت بالشـخصيات العامة.. شـعراوى جمعة كان رجلًا ملتزمًا عائليًا وحين فرضت عليه الحراسة لم يجدوا لديه سوى دفاتر توفير أولاده وكان يسكن فى شقة بالإيجار.

لماذا كان يتم وصف أى شـخص يتصف بالديماجوجية والثرثرة بأنه - عفواً - من الاتحاد الاشتراكى؟

يبتسـم د. عبد المنعم قائلًا: لأنه كان يضم بعض الأشخاص غير الأسوياء مثل أى مكان، لكننى أؤكد لك أنه بعد الاتحاد الاشـتراكى لا توجد تربية سياسـية لأننا كنا نطلع على المدارس الفكرية واتجاهاتها وتمت الاسـتعانة بالمبعوثين وكنا خمسة عشر مبعوثًا للوقوف على أفكارهم

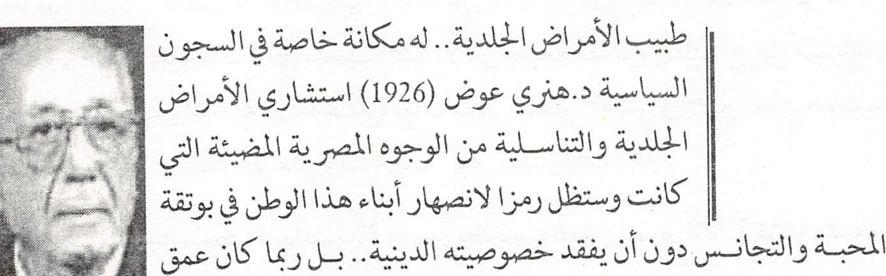
وتم عمل معسكر فى حلوان تحت إشراف أساطين السياسة والفكر أمثال زكريا محيى الدين وعلى صبرى وغيرهما.. الآن أصبح العمل السياسى يتسم بالضحالة والأدعياء لأنه لا يستند لأسس فكرية باستثناءات قليلة جادة تغرد خارج السرب فى هدوء لا يتواءم مع المناخ العام الصاخب فالسياسة علم يجب ألا يخضع للعشوائية والارتجال.

□□□

25- د. هنري عوض

اشتريت مصحف الحسن البصري من بائع روبابيكيا

طبيب الأمراض الجلدية يحسب له ألف حساب في السجون



طبيب الأمراض الجلدية.. له مكانة خاصة في السجون السياسية د.هنري عوض (1926) استشاري الأمراض الجلدية والتناسلية من الوجوه المصرية المضيئة التي كانت وستظل رمزا لانصهار أبناء هذا الوطن في بوتقة المحبة والتجانس دون أن يفقد خصوصيته الدينية.. بل ربما كان عمق إيمانه هو دافعه لاحتواء الآخر والتعمق في أسرار الطب النبوي والعلاج بالأعشاب واكتشاف برديات إسلامية استلهم منها العديد من طرق العلاج.. د.هنري متعدد الهوايات والمواهب، فبجانب كونه طبيبا فهو متعمقا في الصيدلة والتاريخ والآثار، فتجربته الإنسانية في الحياة تستحق الوقوف مليا.. استوقفني كم المتعة التي يستشعرها وهو يتحدث عن تاريخنا وآثارنا فهو صاحب مشروع تراثي تجشم عناء جمعه، وتحقيقه والتعريف بعلماء الحضارة الإسلامية في المحافل الدولية.

وشأن أي مؤرخ أو أثري حب الاستطلاع كان دافعه الأول.. لكن ما أكثر الصدمات التي تعرض لها الرجل، وأعني تلك الإهداءات الثمينة التي كبدته أموالا طائلة وتبرع بها طواعية لمحارب الفن والمتاحف وإذا به يفاجأ باستلاب القراصنة المحترفين لهذا التراث النفيس.. وبالرغم من أن الأسلحة الجديدة لابد من استخدامها في أي حرب لاختبارها إلا أن اللصوص لا يعانون من تلك الفرضية التي تحتم عليهم الابتكار والتجديد، فأسلحتهم قديمة والحرب صورة باهتة لمشاهد متكررة تحتمل فيضا من الاحتمالات دون جدوى أو نتائج.

تخرجت في كلية طب القصر العيني عام 1950 حين كان الطب يدرس على أيدي الفطاحل.. فما الذي تعلمته من أساتذتك؟

بالفعل تعلمنا على يد الكبار وكانت الدفعة لا تزيد عن مائة طالب كان أستاذي «داري» هو رائد تشريح المومياوات عالميًا.. وتعلمنا أمراض النساء من د. مجدي باشا. أما الدكتور أنور المفتي أستاذ الباطنة فقد علمني دقة التشخيص والعناية بالكشف الطبي وقلة الدواء، وهو أمر محوري للغاية في مجال الطب.. الآن أري روشتات مليئة بالأدوية التي قد تساهم في ازدياد حالة المريض سوءًا لا شفائه والسبب أن بعض الأجيال من الأطباء تفتقد القدرة على التشخيص الصحيح للمرض.. أما طبيب الأطباء علي باشا إبراهيم فقد ورثت عنه هوايته في جمع التحف النادرة وتوجد قاعة في متحف كلية الآثار جامعة القاهرة بها الكثير من مقتنياته. كنت نائبًا للأمراض الجلدية، وكنا عشرة نواب فقط بالقصر العيني في جميع التخصصات.. وكلمة نائب تعني أنه «ملك غير متوج».. مرتب كبير ومسئوليات أكبر.

ماذا عن اهتماماتك السياسية؟ فمصر كانت تموج عام 1950 بالعديد من الأحداث وكيف كان انطباعكم عن الملك؟

الجامعة كانت تضم كافة الأطياف.. بعض الطلاب كانوا منخرطين في العمل السياسي تمامًا.. فالمظاهرات من سمات العصر.. ومصر كانت تحت الاحتلال.. لكني لا أدعي أننا كنا نرقب الملك فاروق ونترصده.. فقد كان بالنسبة لنا نجمًا عاليًا بعيدًا في السماء لا يراه إلا من يمتلك ميكروسكوبًا وإن كنت قد سمعت فيما بعد من صهري د. رفعت شفيق غالي ابن شفيق غالي الجوهري الشهير أن الملك كانت تصرفاته تتسم بالطفولية.. لأنه حدث احتكاك غير مباشر أثناء إقامة الملك سعود في فيلا صهري بالهرم.. لكني أؤكد لك أن الأغلبية كانت مثلي منصرفة إلى دروسها وتحصيل العلم وتري في ذلك أنجع وسيلة للجهاد.. وبعض الزملاء الأفاضل كان لديهم قناعة بأهمية العمل السياسي وعلي رأسهم زميلي فؤاد محيى الدين وهو يسبقني بدفعة واحدة.. كان متحدثًا لبقًا وسياسيًا بارعًا يجيد التحدث في المحافل والندوات وفي إحدى المرات انفعلت وصارحته قائلًا: كفي.. هل ندرس طب أم سياسة ما هذا الكلام الفارغ؟.. فقام على الفور بتسديد لكمة في وجهي.. وبعد يومين علم عميد الكلية وأرسل مستفسرًا وسألني من الذي اعتدي عليك بالضرب من زملائك؟ فأنكرت وأخبرته أننا كنا

نمزح سـويًا ومنذ ذلك اليوم نشـأت صداقة عميقة بيني وبين فؤاد محيـي الدين الذي أصبح رئيسًا للوزراء فيما بعد.

كانـت حياتنا مليئة بالصداقات البعيدة المـدى.. والحياة في مصر بصفة عامة كانت تكفل الحياة الكريمة للطبقة المتوسطة.. فأنذكر أن مصروفي وأنا طالب في الكلية كان يتراوح ما بين عشرين وخمسين قرشاً شهرياً.

وحين لاحظ دكتور هنري دهشـتي أضاف: كانت سـلع كثيرة تباع بالمليم وكنت أشتري بدلة كاملة وقميصا وكرافتة وحذاء بجنيه واحد من شارع كلوت بك وما أدراك ما هو كلوت بك؟

لماذا.. هل لارتباطه بالبغاء؟

نعم، فالشـارع له تاريخ في البغاء حيث كان مقنن رسميًا وطبيًا.. كانت سياسة الاحتلال الانجليزي تهدف للترويح عن ضباطهم وجنودهم... وكانت توجد غرف صغيرة منفصلة تقف على بابها الفتيات.. وخشي الإنجليز من تفشي الأمراض بين رجالهم بالرغم من أنهم ساهموا في البقـاء على هـذا المناخ اللا أخلاقي لكنهـم كانوا حريصين على الكشـف الطبي على الفتيات المومسـات في مستشـفي الحوض المرصود الذي ساهمت في إعادة تأسيسـه عام 1959 في منطقة مـصر القديمة بجوار جامـع ابن طولون وتوليت منصب وكيله، فأنـا لا أحب أن أكون الرجل الأول، وقـد جـاء ذكر الحوض المرصود في الخطط التوفيقية لعلي باشـا مبـارك.. وورد أنه كان يوجد في هذه المنطقة حوض من الصوان جُعل للسـقي أتت به الحملة الفرنسـية واستولي عليه الإنجليز واستقر في المتحف البريطاني.. وهناك اعتقاد سائد بين العامة بأن له قوة شفاء كامنة وطلبت من زاهي حواس محاولة استرداده.. وقد أكد لي الرئيس محمد نجيب أن موقع مستشفى الحوض المرصود كان مخزنًا للذخيرة وكان جده «قومندانًا» على هذا الموقع العسكري.

هذا يأخذنا لطبيعة العلاقة التي ربطت بينـك وبين الرئيس محمد نجيب... فقد أسـدل ستار على اسـمه وشـخصيته فترة زمنية طويلة وأنت من القلائل الذين اقتربوا منه.. فمن هو محمد نجيب الإنسان؟

محمد نجيب كان قمة في التواضع والأخلاق والوطنية.. شامخًا مرفوع الرأس دائمًا لم أر أي

انكسار في عينيه أبدًا.. وهو رجل قوي البنيان مفتول العضلات ولم أعهده إلا منافحًا لمصاعب الحياة والمرض.. فرض عليه تحديد الإقامة في فيلا زينب الوكيل بالمرج وكان يتولي حراسته 3 أفراد وقد تهيأ لي رؤية هذه الفيلا ومشاهدة زينب الوكيل في فترة زمنية سابقة وهي سيدة ذات جبروت، لم تكن امرأة عادية وكانت حالة المنزل سيئة للغاية حين استقر فيه نجيب.. كنت طبيبه الخاص وسمحت السلطات بذلك ولم يكن يأنس للحديث إلا بين أسرتي كنت بمثابة ابنه وفترة طفولتي بالسودان عمقت ذلك الشعور بالنسبة له.. كان يعالج من أشياء اعتيادية حريصًا على الأدوية التي تقوي العضلات والمفاصل وبعض مهدئات الأعصاب، وكنت أتجنب إعطاءه هرمونات لأنها ضارة في هذا السن الكبيرة وربما سببت بعض أنواع السرطانات لكنه كان حريصًا للغاية على أدوية اللياقة البدنية وهو رجل صعب المراس قوي الاحتمال.. أذكر أنني وجدته يعاني من احتباسًا بوليًا عنيفًا فطلبت منه التوجه على الفور إلى مستشفي المعادي، ولم يكن يصرخ أو يتألم، ومرة أخرى أثناء ارتدائه البنطلون وقع على الأرض وكسرت ساقه وكان يخرج بها لا يلوي على شيء متجاهلًا الألم، وطلب مني فقط إحضار عكاز من رومانيا أثناء سفري لحضور أحد المؤتمرات.. لم يكن حاقدًا ولا حانقًا على أحد واعتقد أن ذلك هو سر قوته وبالرغم من سوء علاقته بعبد الناصر والتي بدأت تأخذ هذا المنحي بعد زيارة نجيب لعلي ماهر بعد قيام الثورة مباشرة إلا أنه كان يعتقد أن أحد الأشخاص المقربين من عبد الناصر هو الذي أجج نار الوقيعة بينهما، وأشهد أنني لم أسمعه يومًا يتحدث بسوء عن عبد الناصر في جميع الجلسات التي ضمتنا، بل أنه كان يري أن عبد الناصر خامة طيبة أفسدتها الحاشية. كان يأتي عادة لعيادتي في الظاهر برفقة الحراسة المخصصة له وفي إحدى المرات انفعلت على الحرس المصاحب له لأن أحدهم أراد الدخول في منطقة الكشف على المريض وراء البرفان وبجوار السرير.. فقلت له: للمهنة كرامتها وللمريض حرمته.. فهل سنقوم أنا وسيادة اللواء بتدبير انقلاب ضد البلد في خمس دقائق وأنت معنا في نفس الغرفة؟ وطلبت منه الابتعاد والجلوس بجوار مكتبي ريثما انتهي من الكشف.. وأثناء حرب 1967 أُبعِدَ وتم ترحيله إلى مدينة «طما» واستقر في منزل شقيقه أحمد زغلول رئيس البوليس الحربي، وهذه الواقعة لها دلالة لا تجافي المنطق.. فإذا لم يكن محمد نجيب له شعبية وأسدًا هصورًا فلماذا كانت تخشاه السلطة آنذاك؟ فالإنسان عادة لا يقدم على حبس قطة غلبانة كما كان يتأن عنه:

هل اختصك بأسرار عن المشير عبد الحكيم عامر وقصة وفاته أو انتحاره؟

لا.. ولكني كنت شاهد عيان لما عاناه المشير وكان السبب جيرتي للمشير هذه المرة في شارع النيل بالجيزة.. فأنا أسكن في عمارة فريد الأطرش والمشير كان يسكن في فيلا على الناصية التي تلينا مباشرة، وذات يوم وأنا عائد من عيادتي مساء وجدت ستارًا حربيًا بالدشم يحيط بمنزل المشير وتم إغلاق هذا المربع السكني بالكامل وزرعه بالعساكر والضباط فصعدت إلى شقتي بصعوبة وأحضرت نظارة معظمة لكي أشاهد ما يحدث في الفيلا. فوجدت أحد الضباط يشير بيديه ويعطي أوامره بوضع مدفع رشاش فوق ظهر المبني وسمعنا دوي هائل حتى أنني خشيت بشدة على أبنائي وطلبت من زوجتي أن يدخلوا تحت السرير تحسبًا لتحطم الزجاج..وفجأة أضيئت فيلا المشير وحدث هرج ومرج وتعالي صوت سيدة يبدو أنها زوجته وهي تصيح «يا أولاد.... تعملوا كده في المشير بتاعكم؟ بكرة لما جمال يسمع ويعرف اللي انتم عملتوه.. شوفوا هيعمل فيكم أيه؟!». وبعد مرور دقائق فوجئت بنفس صوت السيدة وهي تصرخ ثم انطلقت به سيارة مجهولة، وكانت ليلة ليلاء لا تنسي أبدًا. عمومًا فقد شاهدت الأعاجيب في السجون السياسية والصداقة التي ربطت عبد الناصر بالمشير كانت مضرب الأمثال لذلك تحضرني آية من الكتاب المقدس تقول: «أحزان الصديقين كثيرة من جميعها ينجيهم الرب».

ولماذا دخلت السجون وأنت بعيد عن الشأن السياسي كما ذكرت؟

يبتسم د. هنري في أسي ويقول: كنت مكلفًا كطبيب أمراض جلدية بالمرور على سجن الاستئناف وسجن القاهرة (القراميدان) في القلعة - ولم يعد له وجود - والسجن الحربي بأبي زعبل داخل القلعة.. ويا لهول ما رأيت، فقد شاهدت رجالًا من ذوي المقامات الرفيعة وصلوا إلى أعلى المناصب تم إلقاؤهم في السجن الحربي وهم لا يعلمون أسباب دخولهم أو أوان خروجهم، وشاهدت مجموعة على صبري التي كانت متهمة في قضية التهريب الكبرى التي دبرت زورًا وبهتانًا نكاية في على صبري وكان معظم المساجين من الأثرياء المعروفين في عالم التجارة في تلك القضية. أما الذي آلمني بشدة فهو الكاتب الكبير مصطفي أمين لأنه كان يقف في سجن الاستئناف بالنصف ساعة أمام عتبة باب المأمور لكي يحصل على مبتغاه.. فالسجون علمتني أنها أكبر امتهان لكرامة الإنسان.. وطبيب الأمراض الجلدية يحسب له ألف حساب في السجون

لسببين: لأنه الوحيد الذي يمكنه أن يصرح للمسجون بأخذ حمام دافئ خاصة في الشتاء، وثانيًا: لأن بإمكانه منح السجين مرتبة إضافية توضع فوق «البرش» وتسمي مرتبة علاوة.

ارتبطت بعدد كبير من الفنانين، فما هي أبرز نوادرهم؟

بالفعل كانت تربطني صلة طيبة بفريد الأطرش وقد سكنت في عمارته عام1959 مقابل خلو رجل 5000 جنيها و إيجار شهري 20 جنيهًا وكانت شقتي يقطنها المخرج الشهير فطين عبد الوهاب.. وفؤاد الأطرش يعود إليه الفضل في تولي شئون شقيقته فريد وكان مخلصًا للغاية وزوجته سيدة فاضلة على درجة كبيرة من الذكاء.. أما فريد فكان يمثل حالة خاصة، إنسان مبتسم مقبل على الحياة طالع أو نازل معه أصدقاؤه ودائمًا مبسوط ولكنه خسر هذه العمارة الرائعة على مائدة القمار في بيروت لصالح الأستاذ سرور الصبان الذي كان يشغل منصب وزير المالية في إحدى الدول العربية.. فكان الرهان على العمارة، والتزم فريد بكلمته، وترك له الصبان دورًا بأكمله التماسًا لهذه الخسارة الفادحة.. وكانت تربطني بأحمد رامي صلة طيبة وهو خفيف الظل.. حدثني كيف أن أغنية «هلت ليالي القمر» التي غنتها أم كلثوم بدأت فكرتها في كازينو الحمام حين كان يشاهد القمر يتراقص أمامه على صفح النيل فكتب كلمات الأغنية على قائمة الطعام وعرفت هدي سلطان وكانت تطلب مني دائمًا وصفات شعبية.. وشكا عبد الوهاب أكثر من مرة من أرقه وأذكر أنه اتصل بالطبيب الصديق حلمي غالي الساعة الرابعة فجرًا يشكو الأرق.. فشخط فيه د. غالي قائلًا: ليكن... ماذا سيحدث لك إذا لم تنم هل شاهدت إنسانًا يموت من قلة النوم.. وأخبرني عبد الوهاب أنه نام في تلك الليلة جيدًا وعشرات الفنانين العظام في بلادنا مثل صالح عبد الحي وعبد المطلب وكمال الملاخ الذي كان يفيض أدبًا كنت أعالجه من الصدفية بالأعشاب.. فالفنانون يحرصون دائمًا على صحتهم لأنها رأسمالهم ويثقون بالأعشاب التي أعالج بها مرضاي.

وصفك د. زاهي حواس بأنك راهب الآثار الإسلامية وتم إهداؤك درع مكتبة الإسكندرية مرتين نتيجة لتبرعك للمكتبة، فكيف ترعرع هذا الحب الجارف للآثار الإسلامية بصفة خاصة؟

البداية كانت في السودان كما ذكرت حيث ترعرعت الموهبة في سنوات الطفولة الغضة..

والهواية نعمة من الله لأنها تنتشل الإنسان من عالمه وتجدد نشاطه وتمتص معظم الشحنات السلبية في الحياة اليومية وقد أهداني نجيب بعض المقتنيات وكذلك الإمبراطور «هيلاسلاسي» الذي منحني مجموعة من أندر الطوابع الحبشية.. أهديتها لمكتبة الإسكندرية واستمرت الموهبة في النمو وحصلت على خطاب من محمد نجيب يفيد أن هذه المقتنيات ملكية خاصة ولكن بعض القراصنة من مهربي الآثار كانوا يريدون تجريم حيازتي لها لأنني رفضت بيعها، وسفرها للخارج وكان ذلك قبل صدور القانون 117 لسنة 83 والذي يقنن هذه الملكية، واستمرت الهواية وفي أحد الأيام ساقت الأقدار أحد مرضاي ويدعي الرئيس سيد على لتولي مهمة استخراج السباخ من خرائب الفسطاط بجوار عيادتي في مصر القديمة.. فدعاني ذات مرة لمشاهدة الموقع.. فأسرني المكان بما يحويه من بقايا التراث والآثار المطمورة والتي اكتشفت أنها متناثرة تظهر قطع منها بعد عملية الغربلة.. وأخذ الريس محمد علي - المقاول ـ على عاتقه مهمة إحضار كل الأشياء التي سترمي في الزبالة.. فاستخرجت منها أول مجموعة لأدوات الجراحة الإسلامية في العالم تعود إلى القرن الثاني الهجري والتي أصبحت موضعًا لأكثر من رسالة ماجستير ودكتوراه في أوروبا. فالعرب في بداية الإسلام لم يكونوا على بداوة وجهل فالطب الإسلامي يتسم بأنه طب تجريبي. يقول الرازي طبيب العرب الأول «لا نستحل شيئًا قبل تجربته» وحصلت أيضًا على برديات إسلامية كان العمال يطلقون عليها أوراق الموز، ومنها حصلت على أول عقد زواج رسمي في الإسلام سنة 90 هـ، وحصلت على عملة نادرة لشجر الدر ودينار ذهبي لا مثيل له على مستوي العالم لأحد المماليك يدعي «بلباي» حكم مصر لمدة 58 يومًا وكان مشكوكًا في ملكه ولكن العملة حسمت الخلاف لأن النقود لا تضرب إلا للملوك، واعتز كثيرًا وأشعر بالآسي في نفس الوقت للمصحف الذي اشتريته من أحد باعة الروبابكيا بمبلغ سبعين جنيهًا ولفت انتباهي أنه مكتوب على رقائق من الجلد واكتشفت أنه مصحف الصحابي الحسن البصري، ويعود تاريخه لعام 77 هـ فاتصلت بجمال العطيفي وزير الثقافة آنذاك وطلبت منه التأكد من وجود المصحف في دار الكتب وأعطيته بياناته فجاء الرد بوجود المصحف في مكانه وبنفس الرقم واتضح أن اللصوص الخبراء قاموا باستبداله بمصحف آخر عثماني تحت نفس الرقم وحين علم العطيفي بهذه الكارثة انقلبت الدنيا وقمت بتسليم المصحف بمحضر رسمي لمدير أمن القاهرة ولم أتلق خطاب شكر أو استرد النقود الضئيلة التي دفعتها.. وقمت بإهداء المتحف المصري مجموعة ذهبية من العملات الإسلامية وفوجئت

بعـد فترة من الوقت باسـتبدالها فكتب أحمد رجب في نصف كلمة مشـيرًا للواقعة واصطدمنا بيوسف السباعي وزير الثقافة الذي هدد بتحويلنا للتحقيق أنا وأحمد رجب وللأسف الشديد فقد عاصرت كل وزراء الثقافة في مصر واعتقد أنه لو ألغيت وزارة الثقافة لأصبح لدينا ثقافة! فلدينا كنوز نهملها بإخلاص ولكن محبة الناس وثقتهم في الوصفات والعلاج بالأعشاب والذي اكتسـبت الكثير منه مـن البرديات الإسـلامية والتقدير والحفاوة التي استشـعرها في المحافل الدولية والامتنان إزاء الإهداءات التي قدمتها من آثار متنوعة لمتحف الفن الإسلامي والمتحف القبطي ومكتبة الإسـكندرية وكلية الآثار وجامعة جنوب الوادي... كل هذا يمنحني الدفء والشـعور بوحدة تراثنا الإنساني ويكفي أن رئيس جمعية المسـكوكات الأمريكية بنيويورك ذكر أنني قمت بسـد الفجوة الزمنية في سلسـلة النقود الإسـلامية في مصر وكانت تقفز مباشرة من العملة البيزنطية إلى العملة الإسـلامية فاكتشفت العملات بين هذه العصور المتباينة لذلك حصلت على الماجستير في الآثار الإسلامية.

ماذا كان شعورك حين سمعت عن سرقة لوحة زهرة الخشخاش؟

ابتسم قائلًا: ما أشبه اليوم بالبارحة!!

□□□

التعريف بالمؤلفة / سهير حلمي

نائب رئيس تحرير جريدة الأهرام.. بكالوريوس إعلام جامعة القاهرة.. عملت بمجلة نصف الدنيا والشباب وقسم التحقيقات.

المشرفة سابقًا على ملحق الجمعة بالأهرام وكانت أول صحفية تتولى هذا المنصب.

حصلت على جائزة مصطفى وعلي أمين عام 2005 وجائزة دبي للصحافة العربية (الحوار الصحفي) عام 2007.

صدر لها مؤلفات: كتاب فاروق ظالمًا ومظلومًا وأسرة محمد على و«أنيس منصور فيلسوف البسطاء» وملحق كامل بمجلة نصف الدنيا عن «عباس محمود العقاد».

شاركت في تحرير موسوعة المرأة العربية.. (عضو مجلس تحرير) الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

تتسم كتاباتها بالموسوعية والنزعة الأدبية وتنبض بالحس التاريخي.. ساهم كتابها «فاروق ظالمًا ومظلومًا» الذي صدرت طبعته الأولى عام 2005 في خلق تيار تمثل في إعادة قراءة الحقبة الملكية مرة أخرى (8 طبعات) وحظى باحتفاء القراء والكتّاب على السواء.